



26

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

مصر و فلسطين

تأليف

د. عواطف عبد الرحمان



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت

صدرت السلسلة في يناير 1978 بإشراف أحمد مشاري العدواني 1923 ـ 1990

26

مصر و فلسطين

تأليف

د. عواطف عبد الرحمان



المحتوى

المحتوى
المحتوى
المحتوى

مقدمه

رغم تعدد وتنوع الدراسات التي تناولت القضية الفلسطينية، يلاحظ أن معظم هذه الدراسات كانت تتناول القضية بمعزل عن الأحداث والإطار العربي سواء عن عمد أو عن غفلة. وكانت المحصلة النهائية هي حصر الصراع الذي كان يدور في فلسطين بين الأطراف الوطنية من ناحية في مواجهة الطرفين البريطاني والصهيوني في إطاره المحلي معزولا عن الظروف العربية والدولية لهذا الصراع، مما كان يؤدي في النهاية إلى الخروج باستنتاجات ورؤى مبتورة وغير متكاملة.

وإذا كان ثمة ضرورة تاريخية وموضوعية تدعو إلى فتح ملف القضية الفلسطينية والى إعادة النظر في الرؤية والمنهج الذي يستخدم في دراسة هذه القضية، فان التطورات التي طرأت على الواقع العربي بوجه عام والواقع الفلسطيني على وجه الخصوص خلال السنوات الأخيرة تجعل هذه الضرورة مطلبا قوميا ملحا، وذلك بهدف كشف الجوانب العديدة التي لا تزال خفية من القضية وخصوصا ما يتعلق بكفاح الشعب الفلسطيني من ناحية وصدى هذا الكفاح لدى الشعوب العربية من ناحية أخرى، مما يستلزم رصد الأشكال المتعددة للمشاركة العربية للشعب الفلسطيني في نضاله ضد الصهيونية وضد الانتداب البريطاني طوال تلك الحقبة أي منذ صدور وعد بلفور حتى قيام الكيان الصهيوني.

ومن ثم فان هذه الدراسة تهدف إلى تحقيق هدفين أساسين:

أولا: إبراز موقف القوى السياسية والرأي العام المصري من القضية الفلسطينية منذ بدأت تطرح نفسها على الواقع العربي في بدايات هذا القرن، وذلك من خلال دراسة اتجاهات الصحف المصرية التي تعد بمثابة مؤشر حساس للرؤية المصرية على المستويين الشعبي والرسمي على السواء.

ثانيا: تأكيد نضال الشعب الفلسطيني من أجل التشبث بالوطن الفلسطيني وطنا عربيا خالصا خلال ما يقرب من نصف قرن-هذا النضال الذي بدأ بصدور وعد بلفور 1917 ولم يتوقف حتى قيام الكيان الصهيوني فوق الأراضي الفلسطينية 1948.

والواقع أن القضية الفلسطينية لم تنشأ في عزلة عن الأحداث العالمية، بل كانت جزءا لا يتجزأ منها، ولذلك فلا بد عند بحثها من رؤية ظروف تطورها في المدى التاريخي. ولقد التقت على التربة الفلسطينية ثلاث قوى رئيسية تفاعلت فيما بينها وخلقت بصراعاتها القضية الفلسطينية، وتلك القوى هي الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية والحركة الوطنية الفلسطينية.

وإذا كانت بريطانيا قد نجحت طوال تلك الفترة في أن تضع بدايات تأسيس الوطن القومي اليهودي من خلال تشجيع الهجرة اليهودية بدون قيود وتمكين الحركة الصهيونية من الاستيلاء على أجود الأراضي العربية في فلسطين، فان هذه الفترة قد شهدت أيضا ردود الفعل العربية ضد مشروع الوطن القومي اليهودي في فلسطين. ونستطيع أن نقول أن قضية مقاومة الحركة الصهيونية كانت محورا لكل الأحداث التي وقعت خلال تلك المرحلة. فمنذ سنة 1919 أخذ النضال الفلسطيني يزداد تنوعا وشدة وعنفا. فمن الهجمات على المستعمرات والإحياء الصهيونية إلى المؤتمرات إلى الانتفاضات إلى الوفود إلى العرائض إلى المسيرات والاحتجاجات.

وكانت الحركة الوطنية الفلسطينية تواجه سلطات الانتداب كما تواجه الحركة الصهيونية في آن واحد. وقد دار النضال الوطني الفلسطيني طوال العشرينات والثلاثينات حتى منتصف الأربعينات حول ثلاثة محاور أساسية أولها وقف الهجرة الصهيونية، ثانيا: وقف بيع الأراضي، ثالثا: مقاومة قيام دولة صهيونية في فلسطين.

خلال هذه الفترة كانت مصر تبدأ مرحلة جديدة في نضالها الوطني بعد فشل ثورة 1919 وصدور تصريح 28 فبراير سنة 1922 الذي أتاح للبورجوازية المصرية نوعا من المشاركة في الحكم مع الاحتلال رغم التحفظات الأربعة. وتتسم هذه المرحلة في تاريخ مصر السياسي (العشرينات والثلاثينات والأربعينات) بتفرغ القوى الوطنية للمعركة الدستورية التي تمخضت عن دستور بورجوازي يعكس الواقع الاجتماعي والاقتصادي السائد ويبلور مصالح الفئة الحاكمة. وقد ظل هذا الدستور موضع انتهاك مستمر من جانب السراي مما أسفر عن انسحاب القوى الوطنية من مواقعها الأمامية في مواجهة الاستعمار، وكان لذلك إثارة السلبية على القضية الوطنية التي تراجعت وتركت مكان الصدارة للمعركة الدستورية. ورغم ضراوة المعارك التي خاضتها الصحافة المصرية في تلك المرحلة خصوصا في الثلاثينات دفاعا عن الدستور وما تعرضت له من أساليب المصادرة والتعطيل من جانب حكومات الأقلية (محمد محمود وإسماعيل صدقي) فقد استطاعت أن تعكس التيارات السياسية والفكرية في المجتمع المصري آنذاك.

ومما يجدر ذكره أن الاهتمام المصري بالقضية الفلسطينية قد بدأ من المدخل الإسلامي. فقد حركت أحداث البراق 1929 لدى الشعب المصري جماع المشاعر الوطنية الإسلامية والعربية الوليدة مما يؤكد وجهة النظر التي ترى (أن النزعتين العربية والإسلامية تتشابكان في مصر، وان الحركة العربية كانت تتسم في مصر بالطابع الإسلامي. وإذا كانت قضية فلسطين هي أكثر القضايا العربية خطورة على استقلال مصر وأمنها، فقد صاغت الظروف هذه القضية فكريا على نحو عربي إسلامي يشابه المنطلق الفكري المصري وقتها وهو المنطلق العربي الإسلامي. فكانت فلسطين هي البداية السياسية الفكرية لاكتشاف مصر لعروبتها).

ومما يثير الانتباه فيما يتعلق بالموقف المصري من القضية الفلسطينية هو ظاهرة التناقض القائمة بين موقف القوى السياسية من القضية وموقف الصحف. ففي حين اتسم موقف الأحزاب المصرية باللامبالاة إذ لم ترد في برامجها أية إشارة إلى القضايا العربية أو قضية فلسطين بالذات خلال العشرينات والثلاثينات، بالإضافة إلى أن ممارساتها اليومية كانت بعيدة

تماما عن هذا المجال بل وكانت مستغرقة في تفاصيل الحياة السياسية المصرية، يلاحظ أن الصحف كانت تتابع القضية الفلسطينية وتعلق عليها من خلال وجهة نظر مبلورة وواضحة، وقد بدت هذه الصحف أكثر إدراكا ووعيا بالخطر الصهيوني منذ بداية العشرينات في حين لم تبد الحكومات المصرية وعيا مماثلا بهذا الخطر. ودليل ذلك موقفها من النشاط الصهيوني في مصر في ذلك الوقت. إذ كانت مصر أحد المراكز الرئيسية للدعاية الصهيونية في العالم العربي. وكان الصهيونيون يلقون الرعاية والتسهيلات من جانب الحكومات المصرية. بينما كان الفلسطينيون يتلقون التهديد بالطرد لمحاولاتهم إثارة مشاعر الشعب المصري بإقحام القضية الفلسطينية على اهتماماته.

ولكن مما يجدر الإشارة إليه أن الأوضاع السياسية في مصر في الأربعينيات قد عجلت بتبلور انتمائها العربي على المستويين الشعبي والرسمي إذ استبدلت السراي المطامع العربية بمطمحها الإسلامية في العشرينات والثلاثينات واختارت المجال العربي كي تمارس فيه سلطاتها في مواجهة الحكومة والبرلمان والحركة الشعبية على أساس أن هذا المجال سوف يقلل احتمالات الصدام بينها وبين القوى الوطنية، كما إنه سيتيح لها فرصة انتزاع بعض المكاسب من خلال الالتقاء الشكلي مع الجماهير على المائدة العربية. هذا وقد لعب الكفاح العربي في كل قطر على حدة ضد العدو المشترك الذي تمثل في الاستعمار الأوروبي دورا أساسيا في تقريب المشاعر والاهتمامات القومية. ويمكن القول انه إذا كانت النزعة الإسلامية هي مدخل مصر إلى الفكرة العربية في العشرينات والثلاثينات فان التضامن بين الشعوب العربية ضد العدو المشترك وهو الاستعمار كان هو المنطلق المصري إلى العروبة أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها.

ولقد طرحت القضية الفلسطينية نفسها باعتبارها ذروة الصراع الدامي بين الشعب الفلسطيني والشعوب العربية من جانب والثورة الاستعمارية والصهيونية في الجانب المقابل. وكانت مظاهرات 2 نوفمبر1945 التي قادها الأخوان المسلمون التجسيد المادي لحضور القضية الفلسطينية في الشارع المصري. وكان عنفها وشمولها تعبيرا عن موقف المصريين عامة من مصير القضية الفلسطينية. كما كان مظهرا لالتحام قضية الشعب الفلسطيني

بالقضايا الأساسية التي تشغل المصريين عامة.

وقد تابع الرأي العام المصري جميع مراحل بحث القضية الفلسطينية داخل الأمم المتحدة والتي انتهت بقرار التقسيم في نوفمبر 1947. وقد كان لهذا القرار صداه الحاد في الشارع المصري إذ اجتاح الجماهير سخط عارم. وبدأت الإضرابات والمظاهرات منذ بداية نظر القضية أمام الجمعية العامة. ومنذ تلك اللحظة بدأت شعارات الكفاح المسلح ضد الصهيونية تطرح نفسها بحدة على الساحة المصرية.

اختيار عينة الدراسة:

وقد تم اختيار عينة من الصحف المصرية تمثل القوى السياسية والتيارات الفكرية السائدة في مصر خلال فترة الدراسة أي العشرينات والثلاثينات والأربعينات و قد أسفر ذلك عن التصنيف التالي:

أولا: الصحافة الحزبية وتتضمن:

1- صحافة حزب الوفد	جريدة كوكب الشرق والبلاغ
2- جريدة حزب الأحرار الدستوريين	جريدة السياسة اليومية
3- جماعة الأخوان المسلمين	مجلة الأخوان المسلمين
ثانيا: صحافة القصر:	جريدة الاتحاد
ثالثا: صحافة اليسار:	الحساب
رابعا: الصحافة الطائفية:	الوطن
خامسا: صحافة موالية للاحتلال البريطاني:	المقطم
سادسا: صحافة تزعم الحياد:	الأهرام
سابعا: الصحافة الصهيونية:	إسرائيل والشمس والاتحاد الإسرائيلي

وقد راعت الكاتبة في اختيارها للصحف الصهيونية آن تكون صحفا تصدر باللغة العربية، أي أنها كانت تستهدف التأثير في الرأي العام المصري ككل، ولم تكن مقصورة على الرأي العام اليهودي. كما أنها تمثل التنوع القائم داخل الجالية اليهودية في مصر. فإذا كانت صحيفة إسرائيل منبرا للدعاية الصهيونية في مصر، وقد أعلنت ذلك بوضوح في أكثر من مناسبة

فأن الشمس كانت تتحاش ذكر الحركة الصهيونية مع حرصها في ذات الوقت على خدمة الأهداف الصهيونية بإتقان الخلاص لا يقل عن صحيفة إسرائيل. أما الاتحاد الإسرائيلي فقد كانت لسان حال طائفة اليهود القرائن في مصر.

ثامنا: الصحافة الفلسطينية..... الشورى

المصادر:

وقد اعتمدت في إنجاز هذه الدراسة على أربعة مصادر أساسية:

1- الصحف والمجلات
2- المقابلات الشخصية
3- الدراسات
4- المراجع الأجنبية

أولا: الصحف والمجلات:

تعتبر الصحف في هذه الدراسة هي المرجع الأساسي الذي اعتمدت عليه الكاتبة. وليس من المتوقع بطبيعة الحال أن تحيط في هذه المقدمة بكل ما أفاد به البحث من هذه المصادر الأساسية ولكن يكفي أن نورد بعض الملاحظات الهامة:

1- كان هناك إجماع بين جميع المراجع التي تناولت الأيديولوجية العربية في مصر على أن اتجاه مصر للعروبة لم يتبلور ويأخذ شكلا واضحا محددا آلا في نهاية الثلاثينات وبداية الأربعينات، وقد قاد هذا الاستنتاج الخاطئ إلى مزيد من النتائج غير الصحيحة كانت كلها تدور حول استبعاد احتمال وجود اهتمام مصري بالقضايا العربية وخصوصا القضية الفلسطينية خلال العشرينات والثلاثينات. وقد ثبت من خلال استعراض الصحف في هذه الفترة خطأ هذا الاستنتاج. بل ثبت وجود اهتمام مصري غزير بالقضية الفلسطينية وتحسسا مبكرا للخطر الصهيوني في فلسطين.

2- لوحظ أن معظم الدراسات العربية والأجنبية كانت تتناول أحداث الثورات الفلسطينية من خلال منظار متحيز. فالمراجع العربية معظمها

يرجح كفة العرب والمراجع العبرية والبريطانية تبرز المواقف الصهيونية والبريطانية وتلقي اللوم على الجانب العربي. وقد جاءت تغطية الصحف لتلك الأحداث متضمنة تفاصيل لم ترد من قبل في هذه الدراسات كما أنها

تختلف أحيانا مع بعض ما ورد في هذه الدراسات وخصوصا في أحداث البراق 1929، وعمليات إجلاء الفلاحين الفلسطينيين عن أراضيهم في وادي الحارث والعفولة والزيادة، وكذلك مواقف الزعماء الوطنيين الفلسطينيين إزاء حكومة الانتداب والحركة الصهيونية، والخلافات التي كانت تنشب بينهم وأسبابها كما جاءت على ألسنتهم من خلال بعض الأحاديث الصحفية التي كانت تجريها هذه الصحف معهم وكذلك تصورهم للحلول التي كانوا يطرحونها لإنهاء وحسم الصراع الدائر في فلسطين.

3- انفردت الصحف المصرية بتغطية كثير من الجوانب التي ما زالت مجهولة في تاريخ القضية الفلسطينية مثل العلاقات المصرية الفلسطينية التي عالجتها بإسهاب على المستوى الرسمي الذي تمثل في زيارات المسئولين المصريين لفلسطين مثل إسماعيل صدقي باشا ولطفي السيد ومكرم عبيد وعلى المستوى الشعبي الذي يتمثل في علاقات جمعيات الشبان المسلمين في مصر بفروعها بفلسطين وتطوع نقابة المحامين المصرية للدفاع عن الأحرار الفلسطينيين الذين حوكموا في أحداث البراق 1929 ومشكلات العمال المصريين الدين كانوا يتعرضون للاضطهاد والطرد من جانب السلطات البريطانية في فلسطين.

كشفت الصحافة المصرية عن وجود نشاط صهيوني متزايد في مصر في فترة ما بين الحربين، وهذا لم يشر إليه من قبل أي كتاب سوى الكتيب الذي أصدره أحمد غنيم واحمد آبو كف عن اليهود والحركة الصهيونية في مصر الذي صدر سنة 1969 بالقاهرة ومع ذلك فهو لم يشر آلا إلى جزء ضئيل من هذا النشاط الذي تزخر به الصحف المصرية في تلك الفترة.

ثانيا: المقابلات الشخصية:

وقد قمت بحصر أسماء بعض الصحفيين المصريين والعرب الذين عاصروا هذه الفترة في مصر وعايشوا المواقف اليومية للصحافة المصرية تجاه القضية الفلسطينية، ومما يؤسف له أنني وجدت معظمهم قد توفاهم

الله أو ابتعدوا عن الحياة في مصر، ولم اخرج بنتائج مفيدة للبحث من اللقاءات التي تمت مع العدد القليل الذي لا زال يقيم بمصر. وقد أكد أغلبهم انهم عاصروا فترة الأربعينات، ولكن فيما يتعلق بالعشرينات والثلاثينات فان قضيتي الاستقلال والدستور كانت تستقطب اهتمام الرأي العام المصري. وان الاهتمام بالقضايا العربية لم يأخذ شكلا واضحا في الصحافة المصرية سوى في بداية الأربعينات، ولكنني استطعت أن اجني بعض الفائدة من اللقاءات التي أجريتها مع بعض اليهود المصريين الذين ما زالوا يقيمون في مصر مثل هارون شحاته المحامي والبير أربيه وأحمد صادق سعد وريمون دوبك (يقيم حاليا في باريس)، فقد أمدوني بخلفية عامة عن حياة اليهود في مصر والصراع الذي نشب بين اليهود التقدميين والحركة الصهيونية في منتصف الأربعينات.

كذلك أجريت حوارا مفيدا مع مسيو جاكودي كومب والسيدة هترييث دى كومب وهما من أوائل الماركسيين المصريين، وقد هاجرا إلى باريس منذ بداية الخمسينات وقد قاما بتزويدي ببعض المعلومات عن اليسار الماركسي المصري في الثلاثينات والأربعينات وموقفه من القضية الفلسطينية.

ثالثا: الدراسات:

وينقسم هذا النوع من المراجع إلى قسمين:

1- دراسات تتناول تاريخ القضية الفلسطينية وتاريخ مصر السياسي خلال فترة ما بين الحربين العالميتين.

2- دراسات تتناول تاريخ الصحافة في مصر والاتجاهات والفنون الصحفية خلال العشرينات والثلاثينات والأربعينات.

وفيما يتعلق بالنوع الأول فان أهم ما كتب فيها سلسلة الدراسات الأكاديمية التي أعدها الدكتور عبد العظيم رمضان عن الحركة الوطنية المصرية وهي تتضمن رسالتي الماجستير والدكتوراه وتقتصر الأولى على الفترة التي تبدأ من 1918- 1936. أما الثانية فهي تتناول الفترة من 1937- 1948... وتعد هذه المجموعة إضافة حقيقية إلى المكتبة العربية في هذا المجال، وذلك لما اتسمت به من دقة التحليل وعمق البحث. ولم تكشف فحسب عن قدرة الباحث على التنقيب في بطون الصحف والكتب والوثائق،

بل أبرزت حرصه على التدقيق وإعادة النظر بموضوعية في معظم المقالات والاستنتاجات السابقة. وقد أفدت على وجه الخصوص من الدراسة التي قدمها الدكتور رمضان في رسالة الدكتوراه عن الأيديولوجية العربية في مصر. إذ يبدو فيها واضحا الجهد الذي بذله وخصوصا أنه لم يقتصر على الكتب القليلة التي صدرت في هذا الموضوع بل لجأ إلى الصحف والمجلات باعتبارها المستودع الأساسي الذي يحوي الوثائق التاريخية الهامة لحركة الفكر المصري في تلك الفترة.

ومن أبرز الكتب التي استندت إليها في استكمال الجزء الخاص بالتيار العربي في مصر وتطور الاتجاه المصري نحو العربية.. كتاب الدكتور أنيس صابغ عن الفكرة العربية في مصر، الصادر في بيروت عام 1957. والحقيقة رغم أن هذه الدراسة في حاجة إلى مراجعة وتنقيح في بعض أجزائها ولكنها تعد أكمل دراسة لهذا الجانب حتى الآن. بالإضافة إلى كتيب آخر هام للدكتور أنيس صابغ عن تطور المفهوم القومي لدى العرب. وهو رغم صغر حجمه يقدم دراسة مركزة وجيدة في هذا الشأن.

ولقد أفدت إلى حد كبير من الاستنتاجات التي توصل إليها الدكتور محمد أنيس في الدراسة التي قدمها بالاشتراك مع الدكتور رجب حراز عن التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث. الصادر بالقاهرة عام 1972، وخاصة الجزء الذي يشر إلى التناقض التاريخي بين اتجاه الحركة الوطنية المصرية واتجاه الحركات الوطنية في العالم العربي قبل الحرب العالمية الأولى وذلك كنتيجة للتناقض الذي كان قائما بين مصالح الاستعماريين التركي والبريطاني في المنطقة. وكذلك التحليل الهام الذي أورده عن القوى الاجتماعية والقوى السياسية المصرية في فترة مما بين الحربين.

ومن الكتب الهامة التي استعنت بها كتاب الأستاذ طارق البشري عن «الحركة السياسية في مصر من 1945 - 1652» الصادر بالقاهرة 1972، ويتضمن هذا الكتاب فصلا هاما عن القضية الفلسطينية والقوى السياسية في مصر، أشار فيه بإيجاز. إلى تطور الاهتمام المصري بالقضية. وكان لا بد من الاطلاع عليه ومناقشة بعض الآراء التي جاءت به مع عدم إغفال بعض النتائج التي توصل إليها.

ومن أبرز الدراسات التي أفادت البحث وخصوصا الجزء الذي يتناول التيارات السياسية والفكرية في مصر فترة ما بين الحربين كتاب الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى عن تطور الفكر السياسي في مصر، وقد صدر عن معهد الدراسات العربية-بالقاهرة سنة 1973 ويتميز بتحيز واضح للتيار الإسلامي في مصر.

وهناك مجموعة الدراسات التي أصدرها الدكتور رفعت السعيد عن تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر وأبرزها «تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر 1900 - 1925» الصادر عن دار الفارابي ببيروت في مايو 1972، «اليسار المصري 1952 - 1950» الصادر عن دار الطليعة ببيروت 1973 ويعد هذان الكتابان إسهاما مباشرا في تزويد المكتبة العربية بمسح تاريخي هام عن اليسار الماركسي وموقعه داخل الحركة الوطنية المصرية. ورغم قلة التقييمات والاستنتاجات التي يحويها هذان الكتابان فان أهميتهما تتركز في أنهما أول محاولة تحوي جهدا تجميعيا عن اليسار المصري خلال الخمسين عاما الماضية. وقد أفاد البحث إلى مدى كبير من كتاب الدكتور رفعت السعيد عن «اليسار المصري والقضية الفلسطينية» الصادر عن دار الفارابي ببيروت يناير سنة 1975، وهو دراسة وثائقية عن موقف اليسار المصري من العروبة منذ العشرينات حتى الخمسينات. ويتناول بالتفصيل موقف فصائل اليسار الماركسي من القضية الفلسطينية. وتتميز هذه الدراسة بأنها أول دراسة من نوعها فضلا عن استنادها إلى مجموعة هامة من الوثائق العربية والأجنبية.

أما الدراسات التي تناولت القضية الفلسطينية فهي تتميز بالتعدد والتنوع ولكن هناك ملاحظتين:

الأولى: يلاحظ انعدام الدراسات. التي تتناول النشاط الصهيوني في فلسطين وفي العالم العربي رغم وجود دراسات أكاديمية جادة تناولت الحركة الوطنية الفلسطينية والانتداب البريطاني في فترة ما بين الحربين مثل الدراسة التي أعدها الزميل عادل غنيم ونال بها درجة الماجستير سنة 1971، وتناول فيها الحركة الوطنية الفلسطينية من 1917 إلى 1936 والدراسة التي قدمها الأستاذ كامل خلة للحصول على الدكتوراه سنة 1972 وتناولت الانتداب البريطاني في فلسطين من 1922 إلى 1939 - ولكن فيما يتعلق

بالنشاط الصهيوني لم اعثر سوى على دراسة الدكتورة خيرية قاسميه التي تناولت النشاط الصهيوني في الشرق العربي من 1908- 1918 ولم توجد دراسات مماثلة لاستكمال الفترات التاريخية اللاحقة لهذه الفترة ورغم وفرة الكتب والأبحاث التي أصدرها مركز الأبحاث الفلسطينية ببيروت وتناول فيها معظم جوانب القضية في مختلف مراحلها التاريخية غير انه لم يصدر دراسة مكتملة تتناول النشاط الصهيوني في فلسطين والعالم العربي خلال فترة ما بين الحربين العالميتين. بل كان هذا الجانب يمثل فقط وبشكل دائم أحد أجزاء الدراسات التي قدمت عن القضية وصدرت من المركز خلال السنوات العشر الأخيرة. ولم نخصص له دراسة كاملة رغم جدارته بذلك. وقد وجدت هذا الجانب بغزارة في المراجع الأجنبية التي كانت تركز اهتمامها على الحركة الصهيونية وجهودها في تعمير فلسطين. وقد تلونت معظم هذه المراجع بوجهة النظر الصهيونية والبريطانية.

الثانية: قلة الدراسات التي تتناول القضية الفلسطينية كجزء من حركة التحرير الوطني العربية. ولا توجد في هذا الصدد سوى الدراسة التي قام بها أميل توما الكاتب. الإسرائيلي اليساري. ورغم الجهد الواضح الذي بذله الكاتب لربط الكفاح الفلسطيني بالكفاح الوطني المعاصر في المنطقة العربية فلا يمكننا أن نضعها في عداد الدراسات الأكاديمية المتكاملة.

ومن أبرز الكتب التي أفادتني في تغطية الجانب الفلسطيني في البحث مجموعة كتب الدكتور عبد الوهاب كيالي عن تاريخ فلسطين الحديث ويتميز معظمها بالاعتماد على الوثائق والأوراق الرسمية البريطانية. وتكمن أهميتها بالنسبة للبحث في المقارنات التي كنت ألجأ إليها للتأكد من صحة بعض البيانات التي ترد في الصحف.

المراجع الأجنبية:

من أبرز المراجع الأجنبية التي أسهمت في تزويد هذه الدراسة ببعض المعلومات والاستنتاجات الهامة الدراسة التي قدمها «مين ايرنست» بعنوان (فلسطين في مفترق الطرق)، وقد صدرت عن دار جورج ألن للنشر بلندن 1937 بعنوان:

Palestine at the Crossroads, by Main Earnest, London, George, and Unwind Ltd, 1937.

(وتتحصر أهميتها في أنها قدمت وجهة النظر البريطانية في الصرع الفلسطيني الصهيوني أثناء فترة الانتداب).

وتعتبر الدراسة التي قدمتها مؤسسة أسكو التابعة لجامعة ييل الأمريكية سنة 1947 عن أطراف الصراع في فلسطين (العرب واليهود وبريطانيا) من أشمل الدراسات التي عالجت هذا الموضوع فقد تناولت موقع ودور كل طرف من أطراف الصراع على حدة، كما عالجت الأحداث طبقا للسياق الزمني. ورغم طابع الموضوعية الذي تحاول أن تغلف به تحليلاتها فانه يغلب عليها التحيز لوجهة النظر الصهيونية، وهى بعنوان:

Palestine, A Study of Jewish, Arab and British Policies. Esco Foundation for Palestine, New Haven, Yale Univ. Press 1947.

وتتميز الدراسة التي قدمها إسرائيل كوهين عن تاريخ الحركة الصهيونية بعنوان. A short History of Zionism بأهمية خاصة وذلك لعدة أسباب أولها أن المؤلف قد عاصر نشاط الحركة الصهيونية قرابة نصف قرن.. إذ شهد في عام 1896 المؤتمر العام الذي تحدث فيه هر تزل في لندن عن الدولة اليهودية كما شهد مولد دولة إسرائيل سنة 1948. وكان طوال هذه الفترة على مقربة من الأحداث. إذ اشترك في كافة المؤتمرات الصهيونية العالمية منذ 1903. وكان عضوا بارزا في المنظمة الصهيونية العالمية.

ويقدم المؤلف في هذا الكتاب استعراضا شاملا للفكرة الصهيونية منذ بداية نشأتها حتى تحقيق الحلم الصهيوني بإقامة دولة إسرائيل.

ورغم محاولة الكاتب التظاهر بالتزام الموضوعية فانه يعكس بوضوح وجهة النظر الصهيونية.

وتتميز المؤلفات الفرنسية التي عالجت القضية الفلسطينية بتحيزها الواضح إلى جانب العرب وربما يرجع ذلك إلى أن معظم الكتاب الفرنسيين الذين اهتموا بالقضية الفلسطينية كانوا ينتمون إلى تيارات فكرية يسارية. ومن أبرز الدراسات التي قمت بمراجعتها في هذا الشأن الدراسة التي قدمها مكسيم رودنسون عن (الرفض العربي لإسرائيل 75 عاما من التاريخ) التي أصدرتها دار النشر الفرنسية لوسيل 1968. وقد قامت هيئة

الاستعلامات بترجمتها، وعنوانها:

Israel et le refus Arabe: 75 Ans d'histoire, par Maxime Rodinson Editions de Seuil, Paris 1968.

وتستند هذه الدراسة إلى بعض الوثائق الهامة كما تحوى تحليلات عميقة عن الصراع بين القومية العربية وما يسمى بالقومية اليهودية في فلسطين.

وهناك العدد الخاص الذي أصدرته المجلة الجديدة بباريس في أبريل 1973 عن «الفلسطينيين بدون فلسطين» تناولت فيه تاريخ الثورات الفلسطينية منذ العشرينات حتى قيام دولة إسرائيل 1948..

La Revue Nouvelle. Numero special, Avril 1973 - 29 annee Tome LVII N - 4. Palestiniens sans Palestine.

ومن الكتب الهامة التي تناولت تاريخ الشعب اليهودي في العصر الحديث

The Course of Modern Jewish History by Howard Morley Sachar.

وقد عالج النشاط الصهيوني في فلسطين أثناء فترة الانتداب البريطاني. ويتميز بالتحليل الذي قدمه عن دور النازية في تأليب الشعور ضد اليهود.

وهناك دراسة صدرت في سنة 1970 باللغة العبرية عن الحركة الوطنية الفلسطينية قدمها يهوشع يورات البروفيسير بالجامعة العبرية بالقدس.. وقد أفادت في تزويدي بوجهة النظر الصهيونية في أحداث البراق سنة 1929. هذا وقد استعنت بجهود خبراء مركز الأبحاث الفلسطينية ببيروت في ترجمة هذا الكتاب. كذلك هناك دراسة هامة صدرت في إسرائيل باللغة العبرية قدمها أبرا هام كوهين في يونيو 1964 بعنوان إسرائيل والعالم العربي، والمؤلف من المهاجرين الأوائل الذين وفدوا إلى فلسطين 1929.

وترجع أهمية الدراسة إلى تركيزها على محاولات التوفيق بين العرب واليهود منذ صدور وعد بلفور سنة 1917، وتشير في هذا الصدد إلى العلاقات التي نشأت بين الزعماء الصهيونيين وزعماء الحركة العربية ومؤتمر القوميين العرب في باريس 1913 واجتماعات وايزمان مع فيصل وصدور اتفاقهما في 1919، ثم محاولة لقاء سعد زغلول سنة 1924. ويهدف المؤلف من ذكر هذه اللقاءات إلى تأكيد فكرته التي تدور حول إمكانية الاتفاق بين العرب واليهود بل وموافقة بعض القيادات العربية فعلا على مشروع الوطن

القومي اليهودي.

وهناك ثلاثة مراجع هامة أفادت البحث في الجزء الخاص بالدراسة الصحفية وأبرزها الدراسة التي قدمها البروفيسور توم جونسون فادن بجامعة اوهايو بالولايات المتحدة سنة 1953 عن الصحافة اليومية في العالم العربي. وقد أشار فيها إلى أهم ملامح الصحافة اليومية في مصر.

Daily Journalism in the Arab states, by Fadden Tom Johnston. Columbus, Ohio state univ. - press 1973.

والدراسة الثانية تتناول صحافة النخبة من خلال التركيز على ابرز الصحف اليومية في العالم وقدمها جون كالون ميريل وصدرت في نيويورك 1968. و قد أشار فيها إلى الأهرام والسياسة اليومية والجريدة باعتبارها تمثل صحف النخبة المثقفة في مصر.

The Elite press-Great Newspapers of the World, by Merrill John Calhoun, New York Pitman pub. Co, 1968.

أما الدراسة الثالثة فهي تقدم مسحا للصحافة العالمية وقدمها أيضا جون ميريل بجامعة لويزيانا 1970. وتتناول عرضا موجزا لتاريخ الصحافة المصرية خلال الخمسين عاما الماضية:

The Foreign press-A survey of the world's Journalism-by John Merrill, Louisiana state unit. Press 1970.

وأخيرا لغد كان هذا البحث محاولة لإعطاء صورة واقعية لاتجاهات الرأي العام المصري والقوى السياسية والسلطة الحاكمة والتيارات الفكرية التي سادت المجتمع المصري خلال العشرينات والثلاثينيات والأربعينيات نحو القضية الفلسطينية من خلال الصحف. وان كان ثمة إضافة يسهم بها هذا البحث في مجال العلاقات المصرية الفلسطينية فهي انه قد صحح بعض المقولات المتداولة الخاطئة عن انعدام وجود اهتمام مصري بالقضية الفلسطينية في فترة ما بين الحربين العالميتين، أي ما بين صدور وعد بلفور1917 وقيام الثورة الفلسطينية الكبرى 1936. فقد أثبت البحث وجود اهتمام مصري متعدد ومتنوع الاتجاهات إزاء القضية الفلسطينية كما أثبت تحسس الرأي العام المصري المبكر للخطر الصهيوني. وأكد حقيقة أخرى قد لا تكون جديدة تماما وهى أن مصر كانت أحد المراكز الرئيسية للدعاية

الصهيونية خلال فترة ما بين الحربين وأثناء الحرب العالمية الثانية، وأنها كانت-حتى قبل نشوب النزاع المسلح في 1948، ساحة رئيسية للمعركة بين العرب والصهيونية.

عواطف عبد الرحمن

القاهرة-أغسطس 1979

الباب الاول
الواقع المصري و قضية فلسطين

1

التيارات الفكرية والسياسية السائدة في مصر فترة ما بين الحربين

التيار الإسلامي:

برغم أن مصر لم تكن موطن ميلاد أي من الأديان العالمية الكبرى آلا أن أثرها في معظم تلك الأديان كان بارزا في تقبلها ونشرها وتكيفها حسب تراث مصر، ولقد تمسكت مصر بالإسلام وعاشت حياة إسلامية في تقاليدها وعاداتها ربما اكثر من أي بلد إسلامي آخر منذ أقبل الإسلام على مصر واصبح دينها الرسمي والشعبي، وظل للإسلام نفوذه حتى في حالات انحلال مصر سياسيا وخضوعها للأجانب، كما ظل الأزهر وعلماء الدين الموجه الفكري والروحي للشعب حتى في اشد حالات التدهور الثقافي التي مرت بها مصر.. وخلاصة القول أن المناخ الذي نشأ فيه زعماء مصر وقادتها من المفكرين والسياسيين كان مناخا إسلاميا، والأزهر هو المثال البارز على قوة المنهل الإسلامي في الفكر المصري. ولقد احتكر الأزهر المعرفة والتوجيه الفكري والسياسي للشعب المصري، وسد

الفراغ الذي أحدثه غياب الزعامة السياسية الحقيقية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر حتى مجيء محمد علي للحكم، فهو الذي قاد الثورات الشعبية ضد الفرنسيين ثم ضد المماليك والعثمانيين. واستمر نفوذ الأزهر في ازدياد إلى ما بعد الاحتلال البريطاني لمصر. ومع أن التيار الإسلامي دعم الحركة الوطنية ضد الإنجليز وكان الباعث الرئيسي للجهاد المقدس فأن هذا الجهاد كان في جوهره إسلاميا ولم يكن قوميا، ولم تكن الحركة الوطنية تقبل بنظام قومي حديث يفصل الدين عن الدولة[1]، ولذلك لم يكن من المستغرب أن يتجه أغلبية القادة المفكرين السياسيين في مصر في ذلك الحين اتجاها إسلاميا تبلور في فكرة الجامعة الإسلامية التي حاول السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909) استخدامها كأداة تحقق له التفاف الشعوب الإسلامية حول الخلافة العثمانية، وتؤكد له سيطرته على الولايات العربية.

ولكن الحقيقة أن واضع الحجر الأساسي في فكرة الجامعة الإسلامية هو جمال الدين الأفغاني الذي لم تعقه جنسيته غير المصرية من التأثير في الفكر المصري وإنشاء تيار إسلامي ذي محتوى تحرري ومضمون معاد للاستعمار[2].

وقد آمن به عديد من المفكرين ودعاة الإصلاح الديني في القرن التاسع عشر وأبرزهم الشيخ الإمام محمد عبده، وقد ظهرت هذه الدعوة في بدايتها على منبر صحيفة العروة الوثقى التي أسسها جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في باريس سنة 1884، ورأى الأفغاني أن المائتي مليون مسلم في العالم من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي يمثلون أمة واحدة، وآمن بوجوب جمع هؤلاء كلهم في رابطة سياسية واحدة لا تخلصهم من الأطماع الاستعمارية فحسب بل تسهل أيضا تطوير المفاهيم الإسلامية وتخلق من المجتمعات القديمة البالية مجتمعا واحدا قويا وناهضا في مختلف حقول الحياة، وهذا يجمع بين تقوية دعائم الخلافة وتدعيم الدولة العثمانية وبين محاربة الاستعمار الأوروبي الذي يستهدف القضاء على الإسلام والسيطرة على الشعوب الإسلامية[3].

وقد تطورت الرؤية الفكرية لجمال الدين الأفغاني خلال مرحلتين رئيسيتين..

1 - المرحلة الأولى:

وتمثلها مقالات مجلة العروة الوثقى التي صدرت في باريس سنة 1884، وكان جمال الدين الأفغاني يعول أهمية كبيرة على العامل الديني ويهمل تماما العامل القومي، ولذلك كان يرى أن الدولة العثمانية هي القوة الوحيدة المؤهلة للتصدي للاستعمار الأوروبي المسيحي وحماية الإسلام والمسلمين متغافلا عن الحركات القومية التي كانت وحدها في ذلك الوقت مهيأة لصد الغزو الأوروبي، فتراه يكتب في العدد التاسع من المجلة تحت عنوان الجنسية والديانة الإسلامية فيقول... «إن المتدين بالدين الإسلامي متى رسخ فيه اعتقاده يلهو عن جنسه وشعبه ويلتفت عن الرابطة الخاصة بالرابطة العامة وهى علاقة المعتقد، لهذا نرى العربي لا ينفر من سلطة التركي والفارسي يقبل سيادة العربي والهندي يذعن لرياسة الأفغاني ولا اشمئزاز عند أحد منهم ولا انقباض(4)». كما كان الأفغاني يكرر دائما في مقالاته المقولة الخاصة بأن المسلمين رابطتهم العامة أقوى من روابط الجنسية واللغة وأن لا جنسية للمسلمين إلا في دينهم. وكان يخلط في هذه المرحلة بين دعوته إلى الجامعة الإسلامية كتضامن مشروع للشعوب الإسلامية ضد الاستعمار الأوروبي وكوسيلة لإعادة الشرق إلى مسيرته الأولى من الرقي بين الخصائص القومية، فقد كان يرى انه لن تقوم للشرق قائمة إلا إذا كان الإصلاح يعتمد على أساس ديني. وهذا الإصلاح لن يؤتي ثمرته إلا إذا صحبه شعور بقوة التربية القائمة على أساس الدين وانه لا جنسية المسلمين إلا في دينهم.

2- المرحلة الثانية:

ويظهر فيها اهتمام الأفغاني بالعامل القومي أكثر من ذي قبل وان كان يجعل الغلبة للعامل الديني فتراه يتحدث عن اللغة كسمة قومية، ففي رسالة له باللغة الفارسية بعنوان مقالات جمالية يقول:

«لا سعادة إلا بالجنسية ولا جنسية إلا باللغة ولا لغة ما لم تكن حاوية لكل ما تحتاج إليه طبقات أرباب الصناعات والخطط في الإفادة والاستفادة، وان الروابط التي تربط جماعات كبيرة من الناس اثنتان، وحدة اللغة ووحدة الدين. ووحدة اللغة هي الأساس الذي تقوم عليه الجنسية واللغة أشد ثباتا

وأكثر دوما من الدين، ولذلك نستطيع أن نقول أن تأثير رابطة اللغة في هذه الدنيا أقوى من تأثير رابطة الدين[5]».

وبرغم أهمية هذا التطور الذي نلحظه في فكر الأفغاني، فقد ظل أيمانه بالجامعة الإسلامية هو الأساس، وقد حجب ذلك عن عينيه حقيقة الأوضاع النضالية لدى الحركات القومية العربية المناهضة للحكم التركي، وسعيها للاستقلال عن العثمانيين شركائهم في الملة وأعدائهم في القومية. وتنحصر أهمية الدور الذي قام به الأفغاني في المجتمع المصري في انه خلق تيارا فكريا أمن به عديد من قادة الفكر والسياسيين المصريين. وقد حجبت الدعوة الإسلامية التي كان الأفغاني مصدرها الأول في مصر القومية العربية فترة من الوقت وأخذت مكانها. لقد قدمت صحيفة العروة الوثقى الأساس النظري والفكري الذي قام عليه الحزب الوطني بزعامة مصطفى كامل.. ويتلخص في ثلاث نقاط: أولا: أن المسالة المصرية مسألة دولية فيجب الاستعانة بأوروبا لإكراه إنجلترا على الجلاء عن مصر، ثانيا: ضرورة التشبث بالدولة العثمانية باعتبارها الدولة صاحبة السيادة الشرعية على مصر، ثالثا: الدعوة للجامعة الإسلامية ولكن على أساس التفاف الشعوب الإسلامية حول الدولة العثمانية، ولقد كان طبيعيا أن يؤيد مصطفى كامل حركة الجامعة الإسلامية تحت لواء السلطان العثماني، وذلك لأنه كان يعتمد في مطالبته بالجلاء وتمتع مصر باستغلالها الذاتي على ما لديها من حقوق دولية في مصر تكفلها معاهدات واجبة الاحترام ولهذا كان يدعو الشعوب الإسلامية إلى الالتفات حول الدولة العثمانية لشد آزرها[6].

ولكن قيام الحرب العالمية الأولى وما صاحبها من تغيرات في الخريطة السياسية العالمية أبرزها نجاح ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا سنة 1917 وقيام الاتحاد السوفييتي، وانهيار تركيا في الحرب، بالإضافة إلى الظروف المحلية داخل المجتمع المصري التي اتسمت بتصاعد الصراع الوطني ضد الاحتلال الذي بلغ ذروته في ثورة مصر القومية سنة 1919، كل ذلك أدى إلى انصهار جميع القوى الوطنية في تيار ثوري واحد، واختفت مؤقتا جميع الخلافات الفكرية والسياسية وتدفقت جميع التيارات في تيار وطني واحد يمثل صوت الآمة بأكملها: الاستقلال التام أو الموت الزؤام دون الارتباط بأية دولة سواء عربية أو إسلامية، وقد تفتت وحدة البلاد السياسية بعد

هبوط المد الثوري الذي أشاعته ثورة سنة 1919 وأخذت تظهر فيها تكتلات سياسية هي امتداد لما كان قبل 1914، فدولة الخلافة كانت قد انقلبت إلى دولة عصرية مستعربة، والخلافة نفسها أصيبت في الصميم، وفكرة الجامعة الإسلامية أصيبت بانكسار واضح بعد تحالف العرب مع الغرب المسيحي ضد دولة الخلافة أثناء الحرب[7].

كما أن معظم القوى السياسية الممثلة في الحزب الوطني قد صفيت وتم تشتيتها على يد اللورد كيتشنر، بالإضافة إلى التغيرات الدولية في الأيديولوجية التي ترتبت على نشوب الحرب العظمى، وأبرزها تحالف فرنسا وإنجلترا وانهيار الدولة العثمانية مما هدم ركنا أساسيا من الأركان الأيديولوجية للحزب الوطني فضلا عن تبني بعض قادة الحزب للخط الليبرالي القومي ثم ما أعقب ذلك من سيادة التيار الليبرالي، ذلك التيار الداعي إلى الآخذ بمفاهيم العصر واقتباس أسباب التفوق الأوروبي. وكان من الطبيعي أن يتزعم هذا التيار نخبة من أولئك الشبان الذين تلقوا دروسهم في سلك التعليم العلماني واستكملوها في إنجلترا وفرنسا، وقد كان من ابرز دعاة هذا الاتجاه أحمد لطفي السيد، والواضح أن هذا التيار وان كان قد بدا على استحياء منذ مطلع القرن التاسع عشر، ثم نما في ظل الاحتلال البريطاني آلا أنه قد اتسع نطاقه خلال فترة ما بين الحربين[8]، وقد شهدت هذه الفترة صراعا حادا بين السلفيين والليبراليين شمل مختلف جوانب الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية، ففي غمرة انتصار الليبراليين في أوائل العشرينات ارتفعت الأصوات منادية بالمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة وإلغاء المحاكم الشرعية وتعديل قوانين الأحوال الشخصية. وناقش البرلمان المصري في دورته لعام 1926 وضع الوقف الأهلي الذي ارتفعت الأصوات تطالب بإلغائه. وقد نظر السلفيون إلى كل هذه الإجراءات باعتبارها بدعا جاءت في ركاب الهجوم على الأفكار والنظم التقليدية، خاصة وأنها جرت في الوقت الذي ألغيت فيه الخلافة في تركيا سنة 1924 مما جعلهم على استعداد لشن هجوم على الأفكار والنظم المستوردة من الغرب، وانفجرت الأزمة بعد نشر كتاب «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرزاق، ثم كتاب طه حسين في الشعر الجاهلي، وقد ربط السلفيون وعلى رأسهم رجال الأزهر بين هذين الكتابين والمؤثرات الغربية التي آخذت تتغلغل

في المجتمع المصري منذ القرن التاسع عشر، ولهذا نعتت هيئة كبار العلماء كتاب الإسلام وأصول الحكم بأنه مناقض للشريعة مما ترتب عليه فصل علي عبد الرزاق من وظيفته في القضاء الشرعي، كما اتهم طه حسين بالشك في أمور تتعلق بالدين الإسلامي الإسلام وأنكر ما اتهم به، ومع ذلك فقد ظلت الصحف الحزبية تهاجمه هجوما عنيفا كاد يعصف بالجامعة المصرية في بدء عصرها[9].

وبرغم أن السلفيين كانوا قد رحبوا بإدخال النظام البرلماني المقتبس عن الغرب دون أن يتنبئوا بأثر النظام الجديد على الشريعة ذاتها فانهم ما لبثوا أن أحسوا أن سلطتها وقد انتقلت من يد الله إلى مجلس علماني، كما وجدوا أفكار دعاة الإصلاح وقد تحولت من الفقهاء إلى المشرعين، وخلصوا من هذا كله إلى اعتقادهم باستفحال الخطر الذي يتهدد المعتقدات والنظم التقليدية وذلك بعد أن أوضحت النتائج المترتبة على المفاهيم الحديثة أنها تتناقض مع فكر التيار السلفي[10]. وقد امتد السلفيون من منابر المساجد ومراكز التعليم الديني ليبسطوا أراءهم إلى قاعات البرلمان وأعمدة الصحف والمجلات، وقد قادت هذه الحملة مدرسة المنار بزعامة رشيد رضا خليفة جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وهو الذي تولى تفسير آرائها كما تزعم قيادة رد الفعل الإسلامي ضد حرفية الدين، وقد التقى مع الأفغاني ومحمد عبده في الدعوة إلى تجديد حيوية المسلمين وإلهامهم بالإحساس بالكرامة والتمشي مع روح العصر والتضامن والحفاظ على القيم الدينية، ولا شك أن هؤلاء المفكرين الثلاثة أعمدة التيار الإسلامي في مصر يلتقون في الاتجاه الخاص بضرورة أن يشكل الإسلام أساسا قوميا يمكنه التصدي للاتجاهات العلمانية التي كانت تتضمنها النزعات القومية الحديثة[11]، وتمثل مدرسة المنار الجانب الفكري والفلسفي في التيار الإسلامي وتعد امتدادا لمدرسة الأفغاني والشيخ محمد عبده مع بعض الاختلافات. وكان رشيد رضا يهدف من إصدار المنار سنة 1898 إلى مواصلة السير على نهج العروة الوثقى «آلا فيما يتعلق بخطتها السياسية التي أصبحت غير ملائمة للظروف السياسية آنذاك» والعمل لنفس الغرض الذي كانت تعمل له صحيفة العروة الوثقى وهو نشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية، وكان لا بد أن يصطدم المنار بدعاة الفكر الليبرالي

فقد كان المنار يؤمن فقط بالاخوة الإسلامية التي تتجاوز حدود الاوطان[12].

وكان رشيد رضا يدعو إلى توحيد المسلمين والدفاع عن الإسلام والتصدي لاعتدائه كما كان يرى أن تحقيق رسالته على أحسن وجه يتطلب عدم التمسك بالعقلية الغربية أو تقليد الغرب تقليدا أعمى. وقد حاول أن يرد على جريدة السياسة لسان حال الأحرار الدستوريين «دعاة الليبرالية القومية» التي كانت تدعو إلى وطنية لا يدخل فيها الدين ولا اللغة، فأشار إلى أنه من دواعي الحماقة ومحاولة القضاء على أمة بتدمير كل ما يشكل أصالتها. ومعتقداتها وغرائزها وروحها المعنوية وأدبها وعاداتها، وان من الخطورة بمكان محاولة إحلال العاطفة القومية القائمة على الجنس محل التضامن الإسلامي. فهذه المحاولة في رأيه ليست فقط مصدرا لفرقة المسلمين بل هي أقرب إلى المروق عن الدين. فالشريعة التي هي أثمن القوانين بإمكانها أن تتمشى في كل الصور مع ظروف الحياة المتغيرة[13]، ومن هذا المنطلق دعا رشيد رضا إلى فكرته التي نقلها عنه فيما بعد حسن البنا وهي تأليف جمعية إسلامية تمتد فروعها في جميع أقطار الإسلام وتقوم على مبدأ. أساسي هو الاعتقاد بأن الاخوة في الإسلام تمحو الفوارق الجنسية والوطنية وتؤلف بين المسلمين باعتبارهم أمة واحدة، وتكون غاية هذه الجمعية الجمع بين المسلمين في الخضوع لناموس واحد في العقائد والتعاليم الأدبية والأحكام الشرعية والمدنية، مع الدعوة لان يكون للكل لغة واحدة هي اللغة العربية، والقضاء على البدع والتعاليم الفاسدة، والعمل على نشر الإسلام، وكان رشيد رضا ينصح بابتعاد الجمعيات الدينية والتعليمية عن الأشغال بالأعمال السياسية لأنه رغم عدم انفصال الدين عن الدولة في الإسلام إلا أنه يجب على جميع أولئك الذين يشتغلون بالدفاع عن الإسلام أو شئون التعليم والوعظ أن يبتعدوا عن السياسة ويتجنبوا الاشتغال بها[14].

ويرى د. أحمد طربين أن مدرسة المنار الإسلامية الإصلاحية بزعامة رشيد رضا وما نشرته من مقالات كان لها أثر في تطور التفكير الديني المصري في فترة ما بين الحربين كما قامت بدور رئيسي في خدمة التيار العربي في مصر، إذ لم يتردد رشيد رضا في تحميل الشعوب غير العربية مسئولية انحطاط العالم الإسلامي، وقد صرح بأن الدين الإسلامي هو

دين عربي في مبدئه وأساسه ولم يكن مبتدعا في ذلك، لان هذه الفكرة كان قد أوردها الكواكبي (1849 - 1902).. في كتابه أما القرى، كما أن الشيخ محمد عبده كان يشير إليها أحيانا حتى إذا أتى رشيد رضا عمقها وأغنى مفاهيمها، وخاصة بعد أن قام الشريف حسين بثورته على الترك حين يئس من إصلاح رجالاتهم ويئس من بناء الدولة العثمانية. ومشى المفكرون الإسلاميون في ركاب مدرسة المنار وتساءلوا معها «ألم تكن الوحدة العربية فاتحة الوحدة الإسلامية في سالف الأزمان؟ أو ليس من قصر النظر أن لا نعمل للوحدة العربية ونبقى فزعين من دعوتها أو جامدين إزاءها ؟ لئن اختلفت الحركة الإسلامية مع الحركة العربية في الأهداف البعيدة فهما يلتقيان في الغايات العربية لان كلتيهما تضعان مسألة تحرير العرب في مقدمة برامجها. أو ليس من الخير أن يكون التجمع العربي تجمعا وقتيا للقوى الإسلامية يستهدف تجمعا أوسع منه[14] م».

التيار الإسلامي في الصحافة المصرية:

لقد استمرت معظم الصحف المصرية طوال القرن الماضي تردد أفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وتخاطب وجدان العالم الإسلامي حتى جذبت أنظار المسلمين إلى مصر، وقد تبنى السلطان عبد الحميد (1876-1908) الدعوة إلى الجامعة الإسلامية حرصا على استمرار السيادة التركية على الأراضي العربية، وتوثيقا لعلاقة العرب بالأتراك، وإزالة للنفور الذي بدا على العرب بعد صدمتهم في حركة الإصلاح على الطريقة التركية. ومن أقوال السلطان عبد الحميد في هذا الشأن: «إن أوروبا تحاربنا حربا دينية في قالب سياسي»، وهو يهدف بهذا القول إلى استنفار المسلمين في الشرقين الأدنى والأقصى لينضموا تحت لواء الخلافة الإسلامية في مواجهة الأطماع الأوروبية[15]. وقد وجدت فكرة الجامعة الإسلامية ترحيبا حارا من الحزب الوطني ممثلا في زعيمه مصطفى كامل. وفي هذا يقول (أننا نحب الدولة العثمانية لأننا قبل كل شيء نريد أن نرى أمة شرقية تصدر منها الأنوار إلى كل آمة شرقية ولأننا بصفتنا مسلمين نرى أنها تحمي المسلمين في الشرق وتحفظ البلاد الطاهرة المقدسة في مملكة الخلافة الإسلامية وهي في الحقيقة مملكتنا قبلتنا التي إليها نلجأ ونحوها

نتجه[16]) وقد كان تعلق المصريين بالخلافة الإسلامية أمرا ملحوظا حتى من الإنجليز أنفسهم، فعند إعلانهم الحماية على مصر سنة 1914 جاء في بلاغ سلطة الاحتلال إلى السلطان حسين ما يوحي ألينا بتقديرهم لخطورة ما أقدموا عليه. يقول ممثل الاحتلال «ولا أرى لزوما لان أؤكد لسموكم بأن تحرير حكومتنا لمصر من بقية أولئك الذين اغتصبوا السلطة السياسية في الآستانة لم يكن ناتجا من أي عداء للخلافة فان تاريخ مصر السابق يدل في الواقع على أن إخلاص المسلمين المصريين للخلافة لا علاقة له البتة بالروابط السياسية بين مصر والآستانة»[17].

بعد ذلك جاء مصطفى كمال أتاتورك وألغى الخلافة وكان لهذا الحدث آثاره الأليمة لدى كثير من أنصار التيار العثماني في مصر، ومنذ ألغيت الخلافة نشط الأزهر، وبرز اسم مصر كمركز من أهم مراكز النشاط الإسلامي لمعالجة مشكلة الخلافة، وكثرت الدعوات لعقد مؤتمر إسلامي حين راجت الشائعات بترشيح الملك حسين ابن علي للخلافة، وبرز حينئذ اسم الملك فؤاد مرشحا لها تقديرا لمكانة مصر في العالم الإسلامي، ولأنها تضم الأزهر أعرق الجامعات الإسلامية[18]، بيد أن هذا المؤتمر الذي أجل مرارا ولم يعقد سوى مرة واحدة في 13 مايو 1926 لم يسفر عن شيء ووضعت العراقيل في سبيله واحبط مندوبو الدول الإسلامية المساعي المبذولة لترشيح الملك فؤاد واختلف علماء الأزهر فيما بينهم، وشاركت الصحافة في المعركة وكتب علي عبد الرزاق في السياسة الأسبوعية يقول «كانت مسألة الخلافة أولا دفاعا عن مقام معين يراد الاحتفاظ به كأثر يحتاج إلى العناية، وكمريض يحتاج إلى الحماية، ولكن ذلك الأثر قد بطل، وانتهى أمر ذلك الرجل المريض. واتجه الرأي إلى العمل على إيجاد مقام جديد يحل محل الآخر الذاهب».. ثم يقول: «والغريب أن نلاحظ أن مسألة الخلافة لم تثر شيئا من الاهتمام في مملكة من المماليك الإسلامية ذات الاستقلال الحقيقي، وإنما يهتم بالخلافة تلك الأمم التي لا تملك أمر نفسها ولكن يحركها الأجنبي ويقلبها ذات اليمين وذات الشمال[19]». ولكن برغم ذلك ظل التفكير في الخلافة الإسلامية يساور الناس كلما نزلت ضائقة بالعالم الإسلامي أو كلما برز طموح الملك فؤاد وخليفته فاروق في الاستئثار بمنصب الخليفة.

تيار البعث الإسلامي في الصحف الدينية:

سيدهش مؤرخ الصحافة من كثرة المجلات الإسلامية التي صدرت في مصر بين الحربين وأبرزها مجلة المنار التي أصدرها محمد رشيد رضا بوحي من الشيخ محمد عبده، أفاد من توجيهاته وخبرته، وقد صدر العدد الأول عن المنار الأسبوعية في شوال 1315 ثم تحولت إلى مجلة شهرية في العام الثاني واستمرت في الصدور إلى أن مات صاحبها في أغسطس 1935 بعد أن لاحقته الديون والمتاعب. وقد صدرت المنار وفي مقدمة عددها الأول الغرض الذي تسعى إليه وهو نشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية وإقامة الحجة على أن الإسلام باعتباره نظاما دينيا لا يتناقض مع الظروف الحاضرة. وقد نوه الشيخ رشيد في هذه المقدمة بأنه أنشأ المنار مواصلة للسير على نهج العروة الوثقى وبخاصة في سعيها للقضاء على الخرافات والاعتقادات الدخيلة في الإسلام.. ودفع الأمم الإسلامية إلى مباراة الأمم الأخرى في جميع الأمور الضرورية لتقدم الإسلام[20]، وعلى شاكلة المنار صدرت عدة صحف إسلامية أبرزها الفتح لمحب الدين الخطيب التي صدرت سنة 1926، وحضارة الإسلام سنة 1925، لعلي محمد شراب، والهداية الإسلامية سنة 1928 لمحمد الخضر حسين، ونور الإسلام 1929 والأزهر - الجهاد الإسلامي - لصالح محمد صالح سنة 1929، والجامعة الإسلامية سنة 1932، لعلي عبد الرحمن الخميس، وهدى الإسلام سنة 1934، لمحمد أحمد الصيرفي. وفي محيط هذه المجلات وغيرها نشط تيار البعث الإسلامي والدعوة له في مصر وخارجها، وتنوير مختلف قضاياه لقراء العربية، وقد وضعت مجلة الفتح برنامجا إسلاميا في مقدمة عددها الأول يهدف إلى أحياء ذكرى المدنية الإسلامية، ومقاومة الإلحاد ودعوى التجدد الكاذب، وتأكيد العلاقة الوثيقة بين العلم والدين الإسلامي. وقد مضى هذا التيار في المجلات الإسلامية تغذيه الأحداث النازلة بالعرب والمسلمين، مثل جرائم فرنسا في شمال أفريقيا ومحاولتها القضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية في المغرب العربي، وجرائم إيطاليا في ليبيا وتنكيلها بزعماء المسلمين، وحادث البراق في فلسطين 1929، ثم حملات التبشير المنظمة التي نشطت وقتذاك. وحينما توالت اعتداءات فرنسا على المغرب العربي انفجرت الأقلام في مصر تؤيد المسلمين، وحملت «الفتح»

على الصحف التي تكيد للإسلام كالهلال والأهرام التي كانت تعتبرها الفتح لسان حال الفرنسيين في مصر وترى أنها «شر وسيط بين الإسلام وفرنسا[21]»، وذلك بسبب موقف الأهرام من أحداث المغرب العربي، إذ كانت تتهم من يعارض الفرنسيين في المغرب العربي بأنه يريد أن يشغل مصر عن قضيتها.

وتطور تيار البعث الإسلامي وتجاوز المجلات الدينية إلى سواها من المجلات مثل مجلة البيان التي كتب على صفحاتها أحمد زكي «صفحات من تاريخ الأندلس» وسمار البرقوقي على منهاجه[22]. وقد اتجهت البيان إلى نقل ما كتبه المتصوفون عن الإسلام، وعند صدور مجلة الرسالة عام 1933 حرصت على إصدار عدد ممتاز احتفالا بذكرى الهجرة المحمدية كل عام. وقد اقتدت بالرسالة مجلات أخرى مثل مجلة شهرزاد القصصية التي كانت تصدر أعدادا ممتازة في ذكرى مولد الرسول واعدة أن تكون هذه الأعداد مصرية عربية خالية من القصص المترجم. وبقدر ما كان ذلك تعزيزا لتيار البعث الإسلامي، فانه كان مسايرة لجماهير القراء في اهتماماتها وترويجا للمجلة.

التيار المصري (تيار القومية المصرية):

من ابرز سمات التيار المصري (تيار القومية المصرية) انه لم يوضع في صيغة نهائية، ولم يبرز في الفكر المصري كنظرية محددة شأن النظريات القومية العربية أو السورية أو اللبنانية. فقد ظل تجاهل عاما ينظر إليه كل واحد من المؤمنين به من زاويته الخاصة، وحسب مفاهيمه، دون أن تتبلور نظرته مع نظرات زملائه لتكون قاعدة فكرية شاملة. والواقع أن مصر التي تربط بين القارات الثلاث، فتصل بين اثنتين منها برا، وبين الثالثة بحرا، قد ارتبط تفكيرها القومي بالقارات الثلاث أيضا فأخذت عن آسيا القرآن وما يفرضه على المسلمين من أخوة تفوق الاخوة القومية، وأخذت عن أوروبا القومية بمعناها الإقليمي الضيق (نظرية حوض البحر المتوسط). أما عن أفريقيا فقد أخذت مصر تراثها الفرعوني الغابر في مجال التاريخ وتراثها النيلي المعاصر في مجال الجغرافيا[23].

وأوروبا هي المنهل الثاني بعد الإسلام للفكر المصري في القرن التاسع

عشر وأوائل القرن العشرين. وقد استقت مصر من هذا المنهل أما عن طريق بعثات طلابها إلى أوروبا أو عن طريق الأوروبيين الذين أقاموا في مصر عن طريق حركة الترجمة التي نقلت الفكر الأوروبي إلى اللغة العربية. وليس صحيحا ذلك القول الشائع أن أول من دعا هذه الدعوة «أن مصر جزء من البحر المتوسط» هو الخديوي إسماعيل يوم أن قال كلمته المعروفة.. «أن مصر قطعة من أوروبا». حقيقة أن إسماعيل يوم أن قال هذه الكلمة إنما كان يعيش في إطار من الفكر والنفوذ الفرنسي الذي أخذ يتزايد في مصر منذ حكم سعيد ومنذ أن حصل فرديناند ديلسبس على امتياز حفر قناة السويس. ولكن ظهور هذه النظرية قد سبق هذه الفترة التاريخية بزمن طويل. فلقد كان مفكرو البورجوازية الفرنسية هم أول من جعل من هذه الفكرة نظرية وحاولوا أن يضعوها عن طريق جيش الحملة الفرنسية موضع التطبيق. وتتلخص هذه النظرية في أن فرنسا ومعها بلاد الشمال الأفريقي ومصر ودول الساحل الشرقي للبحر المتوسط إنما تعيش جميعها حول البحر المتوسط، وانه لو صنعت رابطة ما لهذه الأقطار فمن الممكن أن تتقارب وان يتحول هذا التقارب إلى سيطرة فرنسية على هذه الأقطار وتبعية من جانب هذه الأقطار لفرنسا. أي أنها في الأساس تهدف إلى خلق رابطة فكرية بين شعوب البحر المتوسط وفرنسا توطئة وتبريرا للسيطرة السياسية التي تتطلع فرنسا إلى فرضها على هذه الشعوب. وقد استخدم الفرنسيون هذه النظرية كواجهة حضارية ودافعوا عنها كثيرا بالفكر والسلاح. وقد أرادوا من ورائها إثبات أن شمال أفريقيا والجزائر إنما هي قطعة من فرنسا وان سكانها مسلمون فرنسيون وإنها الامتداد الفرنسي في أفريقيا. وطبقا لهذه النظرية كان الفرنسيون يرون كما قال أحد مفكريهم.. «إن السوريين ليسوا بعرب وان كانت لغتهم عربية واللبنانيون يختلفون عن العرب وعن السوريين في آن واحد. انهم فينيقيون، والمسيحيون منهم من أبعد الناس عن العرب والعروبة لأنهم من أحفاد الصليبيين الذين أتوا إلى سوريا ولبنان من مختلف البلاد الأوروبية ولا سيما فرنسا»[24].

وقد تم اللقاء الحضاري الأول بين مصر والغرب، بعد انفصال دام قرونا عديدة، في أكناف الحملة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر، وكان اللقاء حارا مع أنه كان قصيرا. ولكن الأثر الفكري والعلمي الذي

تركته الحملة الفرنسية في مصر كان أعمق بكثير من الأثر السياسي والعسكري لتلك الحملة. فبعد أن انسحب الفرنسيون وتحررت مصر منهم استمرت الأفكار التي زرعتها الحملة تتغلغل في أوساط المجتمع المصري. وقد واصل محمد علي نفس المسار، إذ سمح للكثيرين من علماء الحملة بالبقاء في مصر ومواصلة أعمالهم وأبحاثهم، كما شجع نشاطات أخرى علمية وتربوية وفكرية، فأمر بترجمة عشرات الكتب عن اللغات الأجنبية واقتبس العلوم الأوروبية في الطب والهندسة والجيش والحقوق. واستقدم كلوت الفرنسي وولاه إدارة الشئون الطبية وأسس ديوان المدارس وبنى عشرات المدارس في مصر. وأوجد طبقة جديدة من الموظفين والهندسيين والإداريين والحقوقيين وعلماء الطبيعة والزراعيين والخطاطين والطباعين. وقد تمكن محمد علي من إنجاز هذه النهضة العلمية الشاملة بمعاونة البعثات التي أرسلها إلى أوروبا وخاصة فرنسا وقد أعاد هؤلاء الصلة التي أنشأتها بين البلدين بعثة الحملة الفرنسية العلمية 1798[25].

وامتدادا لهذه النظرية التي أرساها ورعاها مفكرو البورجوازية الفرنسية كان الفكر والموقف السياسي الذي عبر عنه الخديوي إسماعيل والذي استمر يتردد في مصر عاليا تارة وخافتا تارة حتى ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. وكان من أبرز المتأثرين بالعقلية الفرنسية في ذلك العهد كل من الشيخ الأمام محمد عبده وأحمد عرابي. وكان الأول قد اطلع على نظريات الإصلاح الأوروبية وهو في مصر ثم ازدادت معرفته في فرنسا اثر اختلاطه بكبار المستشرقين وفي مقدمتهم دي ساسي، أما أحمد عرابي فيرجع تأثره بالفكر الأوروبي إلى العلاقة الوثيقة التي كانت تربطه بالأفغاني ومحمد عبده وطلابهما من ناحية وبقراءاته في التاريخ الأوروبي من ناحية أخرى[26].

وقد فتحت أبواب مصر على مصراعيها أمام المؤثرات الأوروبية التي اشتد ساعدها في عهد الاحتلال البريطاني، ففي ربع القرن السابق على الحرب العالمية الأولى ازدهرت الثقافة المصرية التي عرفت داروين ونيتشه واوجست كونت والروائيين الروس والفابيين البريطانيين ودعاة المذهب النفعي. هذا بالإضافة إلى الكتاب الفرنسيين أمثال فولير وروسو وكوندياك ومونتسيكيه وكذلك سيجموند فرويد وجوستاف لبون وغيرهم من المفكرين

الأوروبيين المعاصرين[27].

ورغم أن المثقفين المصريين كانوا لا يزالون في مجموعهم معادين للغرب الذي اعتبروه خطرا على مقوماتهم التقليدية فانهم رحبوا بالحضارة الغربية أكثر من ذي قبل. ثم ما لبث أن ظهرت جماعات فكرية تتبنى النظرية المتوسطة وتدعو لها، وذهبوا إلى أن مصر كانت تمثل باستمرار جزءا من حضارة البحر المتوسط التي شملت أوروبا والشرق الأدنى. وقد قيض لهذا الرأي الذي نادى به قبيل الحرب العالمية كل من قاسم أمين، ولطفي السيد، أن يجد في طه حسين أقوى معبر عنه[28]، كذلك لعبت الجامعة المصرية دورا بارزا في إرساء الفكر القومي المصري مثلما كانت دليلا على تطور تلك الحركة وكان الفضل في تأسيسها سنة 1908 لبعض المؤمنين بالقومية المصرية، مثل مصطفى كامل، ومحمد فريد، ولطفي السيد، وقد أسدت الجامعة المصرية من الخدمات للقومية المصرية بمقدار ما أسدته الجامعة الأمريكية في بيروت من خدمات للقومية العربية وبمقدار ما أسداه الأزهر للفكرة الإسلامية[29].

ويرى د. أنيس صايغ أن الاتصال المباشر بين الفكرين الأوروبي والمصري من خلال عشرات المفكرين المصريين الذين نهلوا من ينابيع المعرفة الأوروبية، وتأثروا بها خلال القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين قد انتهى في مصر بقومية مصرية بينما انتهى في لبنان بقومية عربية وليست لبنانية، ويفسر ذلك بأن أوروبا التي تأثرت بها مصر هي أوروبا الغربية وخاصة فرنسا وهي الجزء الذي ظهرت فيه الفكرة القومية في القرن الماضي بشكلها المعروف، وقد اتخذت هذه القوميات الأوروبية مفاهيم إقليمية تقتصر على تحديد الأمة بالإقليم ومناخه وحدوده الجغرافية اكثر من الاهتمام باللغة والعاطفة والدين، وقد أخذت مصر هذا المفهوم الإقليمي عن أوروبا وتأثرت به، وتبنته كما هو وطبقته على نفسها فاعتنقت القومية المصرية دون أن تتساءل عن مدى صواب تلك القومية وتلاؤمها مع ظروفها، كما أن مصر كانت تخضع لظروف سياسية معينة أهمها وقوعها تحت سيطرة الاحتلال البريطاني. وفوق ذلك لم تكن مصر قد اختبرت نتائج هذا المفهوم القومي ومدى صلاحيته من الناحية العلمية. فضلا عن انعزالها جغرافيا عن القسم العربي من آسيا فحجب ذلك الانعزال عنها التفكير

بغيرها من جاراتها الآسيويات. وباختصار فان ظهور الوطنية المحلية المصرية وخضوع الأفراد (الأمة المصرية) وولاءهم لها دون اعتبار للعقيدة أو الطائفة كل ذلك أصبح أساسا للفكر السياسي في مصر بدلا من الولاء الإسلامي الواسع[30].

وقد لخص الدكتور طه حسين في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر[31]» الأبعاد الرئيسية لهذا الاتجاه الذي كان يتطلع إلى ربط مصر بالحضارة المتوسطة.. إذ يقول في مقدمته «أن العقل المصري منذ عصوره الأولى، عقل أن تأثر بشيء فإنما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط. فإذا لم يكن بد أن نلتمس آسرة للعقل المصري نقره فيها فهي آسرة الشعوب التي عاشت حول بحر الروم»، ويعلق على حديث الخديوي إسماعيل حول نظرية البحر المتوسط فيقول.. «لا ينبغي أن يفهم المصري أن الكلمة التي قالها إسماعيل وجعل بها مصرا جزءا من أوروبا، قد كانت فنا من فنون التمسح، آو لونا من ألوان المفاخرة، وإنما مصر كانت دائما جزءا من أوروبا في كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية على اختلاف فروعها وألوانها».

كذلك يتابع الدكتور حسين مؤنس نفس الاتجاه محاولا تأصيله تاريخيا، يقول في كتابه.. «مصر ورسالتها[32]» أن تاريخ مصر هو تاريخ البحر الأبيض المتوسط على وجه التقريب. أن حياة مصر لا تستقيم آلا إذا كانت على صلة بالبحر الأبيض.. أن مصر تنازعت تاريخها ثلاث قوى أفريقيا وآسيا والبحر الأبيض. وان القوة الأولى تلاشت في منتصف الدولة الحديثة من تاريخ مصر القديم وأما الثانية فقد فرضت على مصر فرضا آما القوه الثالثة وهي البحر الأبيض فهي العنصر الأساسي في تاريخ هذا البلد ومصر التي ولدت أفريقية لم تلبث أن صارت بحرية مثلها في ذلك كمثل اليونان والرومان».

وهكذا تتحدد أبعاد هذه النظرية التي وضعت الحملة الفرنسية بذورها الأولى في مصر وواصلت مسارها. وقد ظهرت آثارها لدى كثير من المفكرين والعلماء المصريين الذين تأثروا بالثقافة والفكر الأوروبي وتبلورت في النهاية على شكل تيار فكري، عبر عنه في أوائل القرن العشرين كل من احمد فتحي زغلول، وأحمد لطفي السيد. وفي العشرينات والثلاثينات، احمد أمين، وعباس العقاد، وتوفيق الحكيم، وإبراهيم المازني، وطه حسين، ومنصور

فهمي، ومحمود عزمي، ومن أبرز الصحف التي تبنت هذا الاتجاه وروجت له صحيفة الجريدة التي كانت تعد لسان حال تيار القومية المصرية، وبعد احتجابها في يوليو1915 استمر تيار القومية المصرية. وقد ساعدت ظروف الحرب العالمية الأولى على تعزيزه بما لقي المصريون من عنت الاحتلال وقهره وسيطرته الكاملة على مقدرات البلاد سياسيا، واقتصاديا، واستثماره لمواردها أثناء الحرب، وإعلان الحماية عليها، وقد جاءت ثورة 1919 كي تمثل ذروة التعبير القومي في مصر ضد الاحتلال البريطاني. وقد تنبه الاحتلال إلى أهمية هذا التيار، وعمد إلى تقويته وإنعاشه لاستخدامه في محاربة التيار العربي، وتطبيقا للقاعدة البريطانية المعروفة في إنعاش القوميات المحلية لضرب إمكانية التجمع العربي بعد أن تم لها بعد الحرب السيطرة على العالم العربي وتقسيمه[33]، وقد انتقلت دعوة القومية المصرية من «الجريدة» إلى «السفور» ثم «السياسة» اليومية والأسبوعية التي تأسست عام 1922 وكانت تنطق بلسان الأحرار الدستوريين.. وقد دأب كتابها على بث فكرة القومية المصرية في مختلف نواحي الحياة المصرية، وقد تزعمهم الدكتور محمد حسين هيكل، وعبد الله عثمان، ومجلة المصور الأسبوعية والشهرية (1927)، وكان يرأس تحريرها إسماعيل مظهر ومجلة الأسبوع التي أصدرها إدوارد عبده سعد سنة 1933، والثقافة بأشراف أحمد أمين في أوائل الحرب العالمية الثانية، والكاتب المصري بأشراف طه حسين التي أعادت الحياة لتيار القومية المصرية، وقد أسهمت هذه الصحف في نشر الفكر القومي المصري، وحمله إلى الجماهير.

أما الشق الثاني لتيار القومية المصرية فهو ينحصر في الاتجاه الفرعوني، ويعتبر التراث الفرعوني، والصلات النيلية هي المنهل الثالث الذي استقت منه مصر حضارتها وتفكيرها القومي خلال القرنين الأخيرين. ويعتبر اكتشاف سر حجر رشيد بنجاح العالم الفرنسي شمبليون في تفسير كتاباته 1822 بعد ذلك بداية مولد علم الآثار المصري المعروف بالاجيبتولوجي. والقومية المصرية وما انتهت إليه من انعزال مصر في عالمها الأفريقي مدينة لعلم الآثار بمقدار ما هي مدينة للعوامل الأخرى. فقد حملت التعقيبات الأثرية في وقت بحثت مصر خلاله عن قوميتها، وعن ماضيها وعن علاقاتها بذلك الماضي، وقد كان لهذه الاكتشافات صدى عظيم في العالم ولكن

صداها الأعظم كان في مصر ذاتها التي اكتشفت أصولها وفلسفت تلك الاكتشافات حتى انبثقت منها نظريات في القومية المصرية. وإذا كان لفت نظر العالم الغربي إلى مصر وكشف أعين شعوبه على اثر مصر في الحضارات العالمية، وليد القرن التاسع عشر فان تنظيم علم التاريخ المصري، واستنتاج النظريات الصحيحة في ذلك التاريخ وتعديل الآراء الأولية القديمة كان وليد القرن العشرين. وفي هذا القرن أيضا تفتح علم التاريخ والآثار عند المصريين أنفسهم فتعاونوا مع المؤسسات التاريخية والأثرية الأجنبية العاملة في بلادهم كما تألفت في مصر عدة مؤسسات وطنية للعناية. بالتاريخ القديم. وقد أدى الكشف العظيم 1920 لمقبرة توت عنخ آمون آلي دعم حركة الاكتشافات الأثرية التي كانت تغذي بدورها الاتجاه الفرعوني في القومية المصرية[34]. وقد برز كثير من الكتاب وعلماء الآثار الذين اسهموا بكتاباتهم في أحياء القومية المصرية في فترة ما بين الحربين فقد كان تمجيد مصر القديمة، والدفاع عن حضارتها، والدعوة إلى بعث ذلك التاريخ من مظاهر القومية المصرية في تلك الفترة، ويعد الدكتور محمد حسين هيكل خير من عبر عن نظرة القوميين المصريين إلى تاريخ بلاده كذلك برز هذا الاتجاه عند عباس العقاد، واحمد آمين، والدكتور حسين مؤنس الذي كتب في تراث مصر القديمة يشير إلى «آن الإسلام مسئول عن إهمال تاريخ مصر القديم. إذ أن الفتح العربي قد حمل المصريين على آن ينسوا تاريخهم الفرعوني مثلما جعل الفرس والسوريين واللبنانيين والعراقيين ينسون تاريخ آلا كاسرة، والآراميين، والفينيقيين وأبطالهم ليكونوا مواطنين في الدولة الإسلامية القومية الكبرى وتعددت الأستار بينهم، وبين مواطنيهم بحجة أنهم كفار عبدة أوثان[35]». وقد كان الإنجليز الذين عاصر حكمهم لمصر نمو الأفكار القومية فيها والذين كانوا في ذات الوقت مؤثرين حقيقيين في توجيه هذه الأفكار يؤيدون الاتجاهات الإقليمية أكثر من الاتجاهات الجامعة إلا إذا كانت الأخيرة فضفاضة وخيالية.. لدرجة لا تشكل خطرا من تحقيقها، وانطلاقا من هذا فقد شجع الإنجليز القومية المصرية الفرعونية مع أنهم حاربوا القومية المصرية عند الحزب الوطني، لأنها كانت تجسد خطرا مباشرا عليهم، ولذلك ساندوا النزعة الفرعونية لأنها تقدم لها ضمانا لعزلة مصر عن العالمين العربي، والإسلامي، وكان

معظم دعاتها والمتحمسين لها من الأقباط الذين تبنوها وكرسوا أنفسهم دعاة لها[36]. وربما كان مشروع المعلم يعقوب القبطي لاستقلال مصر عن العثمانيين المسلمين برعاية الغرب، الحلقة الأولى من سلسلة السعي القبطي لبعث قومية مصرية فرعونية ووطن مصري مستقل عن الشرق ومرتبط بالغرب حضاريا، ولكن العمل القبطي المنظم في سبيل القومية المصرية قد ترسخ خلال السنوات الأولى من القرن العشرين، فقد مهد الأقباط لفكرتهم الفرعونية بعمل طائفي شبه منظم على صعيد فكري وتربوي وقاموا بنشاط واسع لتحسين أوضاعهم الثقافية والاجتماعية لا كمصريين ولكن كطائفة مستقلة فدخلوا ميدان الوظيفة منذ مجيء الإنجليز مصر وبرزوا في الأعمال الإدارية. كما أن الإنجليز وثقوا بهم أكثر من المسلمين. وقد نشط الأقباط إلى جانب ذلك في الصحافة فأسسوا لأنفسهم عدة صحف حصرت اهتمامها في قضايا الطائفة والترويج للدعوة الفرعونية وتمجيد التاريخ المصري القديم[*] ومن أبرز هذه الصحف جريدة الوطن لميخائيل عبد السيد وجريدة مصر لتادرس شنوده والجنس اللطيف لملكة سعد والعائلة القبطية لجمعية الاتحاد الإسكندري والتوفيق لجمعية التوفيق بالقاهرة[37].

وقد التقى بعض المفكرين المصريين الذين كانوا ينادون باستقلال مصر، وإجلاء الإنجليز عنها، مع الاستعمار البريطاني وبعض شرائح الأقلية القبطية في الاتفاق على النداء بفرعونية مصر، ومن ثم تأييد بعض مطالب أصحاب هذا الاتجاه مثل وجوب إحياء الآثار الفرعونية وبعث الأدب المصري القديم وإقامة الأدب الحديث على أسسه وتمجيد مصر الفرعونية والتبرؤ من العرب القول بأن لمصر كيانا إنسانيا وحضاريا وثقافيا خاصا، وأنها لا تمت إلى العروبة إلا بصلة واهية هي صلة الدين، والدين في سبيله إلى الانهزام في الحياة الاجتماعية المعاصرة، واللغة وحدها لا تجعل من المتحدثين بها أمة واحدة. وراح بعضهم يدعو إلى اصطناع اللهجة المصرية الدارجة في

(*) وقد نشر المقتطف محاضرة لمرقص باشا سميكة ألقاها في الجامعة الأمريكية، مارس عام 1926 عن المتحف القبطي وهي تصلح مثلا لهذا الاتجاه يقول فيها: «مضى على مصر اكثر من ألفي عام منذ أن فقدت استقلالها بانتهاء حكم الفراعنة ومن ذلك العهد وهذه البلاد مطمع نظر الفاتحين من أحباش ويونان وفرس ورومان وعرب وأتراك وإفرنج. وبهذه المناسبة أحب أن اذكر أن لفظ قبطي معناها مصري وهي محرفة عن اللفظ اجبنوس ولذلك فجميعكم أقباط بعضكم أقباط مسلمون والبعض الآخر مسيحيون وكلكم متناسلون من المصريين القدماء».

التعليم والأدب والصحافة والتمثيل والصكوك والرسائل بحجة سهولة نشر الثقافة وإيجاد أدب مصري ولغة مصرية خاصة[38]. ولكن في النهاية لم يكن للنزعة الفرعونية صدى سياسي بل انحصرت في مدرسة أدبية لم تمارس أي نفوذ على الكتل الأخرى، كما أن بعض دعاتها اتجهوا اتجاها مصريا معتدلا أو إسلاميا صريحا أو عربيا على الأقل[39].

هذا هو الشق التاريخي من اتجاه مصر الأفريقي الإفريقي أما اتجاهها الإفريقي على الصعيد الجغرافي فقد سار مع الأبحاث التاريخية جنبا إلى جنب ومثلما أحيا اكتشاف آثار مصر وفك رموز حجر رشيد تاريخها القديم وأوضح امتدادها إلى مصر الحديثة، كذلك أحيت صلات مصر مع السودان ومناطق حوض النيل علاقاتها مع القارة الإفريقية وأكدت ارتباطها بها، وقد ساعدت النهضة الجغرافية التي كانت وليدة الحملة الفرنسية، وامتدت خلال عصر محمد علي الذي سعى لتحقيق رغبة مصر في أن تحتفظ بالنيل وان تتوحد مع السودان أرسل عدة حملات (1820 - 1822) انتهت بإعلان السودان جزءا من مصر واقتفى إسماعيل خطوات جده في الاهتمام بالسودان سياسيا، وفي رعاية البعثات العلمية التي نشطت في عهده، وبلغت أقصى حد وصلته في تاريخها، وقد تجاوب المصريون مع هذا النشاط الجغرافي، واشترك عدد من جغرافييهم ومهندسيهم ورحالتهم في البعثات المصرية إلى منابع النيل كما ازداد اهتمام رجال الفكر بالسودان[40] وكان السودان وهو البلد العربي الأفريقي عاملا في إحياء القومية المصرية سواء عند ضمه أو عند انسلاخه عن مصر، وقد قاوم الشعب المصري فكرة نزع الحكم المصري عن السودان تلك الفكرة التي نفذها الإنجليز بالتدريج لتقليم أظافر مصر عسكريا وسياسيا من جهة ولوضع السودان تحت الحكم البريطاني من جهة أخرى.

وأصبح السودان هدفا رئيسيا من أهداف الحركة الوطنية المصرية، وسببا أساسيا في ذكاء شعلتها خاصة بعد أن أفلحت بريطانيا في فصل السودان عن مصر في سلسلة من الأحداث ما بين (1882 - 1914) أن ذلك الفصل كان حافزا للمصريين كي لا يتركوا السودان، وكان الاهتمام به والمطالبة باسترجاعه عاملا بارزا من عوامل القومية المصرية، وظاهرة من مظاهرها، وكان مطلب وحدة مصر مع السودان أحد المطلبين الرئيسيين

اللذين شغلت مصر بهما طيلة فترة ما بين الحربين ولم يشذ أي حزب سياسي عن إجماع باقي الأحزاب على المطالبة بتلك الوحدة وجعلها من صلب المبادئ الأساسية ولم تمر مناسبة ولم يعقد مؤتمر ولم تجر مباحثات إلا وكانت مصرية السودان جزءا رئيسيا منها وظهر اثر ذلك في الإنتاج الفكري والأدبي.

التيار العربي:

الواقع أن انتماء مصر العربي ليس موضع شك فهي قد أخذت اللغة العربية في أعقاب الفتح العربي، وتحولت بالتدريج إلى الإسلام كما وفدت إليها على مر العصور كثير من القبائل العربية التي امتزجت بعض الوقت بسكانها وتبنت من خلالها كثير من العادات والتقاليد وأساليب الحياة العربية التي أصبحت جزءا لا يتجزأ من الحياة العامة للمجتمع المصري بالإضافة إلى الدور الهام الذي لعبته مصر في نشر وإثراء وتطوير الثقافة العربية وبخاصة بعد قيام جامعة الأزهر في القرن العاشر الميلادي وسقوط بغداد في أيدي التتار في أواسط القرن الثالث عشر[41]. ولا زالت مصر منذ القرن التاسع عشر وبعد قيام الدولة الحديثة تمثل الركيزة الأساسية لحركة البعث الفكري والثقافي في العالم العربي، ولكن التيار العربي في مصر لم يصبح انتماء سياسيا، وفكريا على النطاق الشعبي، والرسمي سوى في نهاية الحرب العالمية الثانية (بداية الأربعينات من هذا القرن[42]). ويرجع ذلك التأخر إلى عوامل عديدة بعضها ذاتي والآخر موضوعي. وفيما يتعلق بالعوامل الذاتية فهي تتضمن:

أولا: النمو التاريخي المتميز الذي انفرد به المجتمع المصري. فالاستقلال الذي حصلت عليه مصر طبقا لمعاهدة لندن 1840 قد أعطاها شخصية متميزة عن سائر البلدان العربية الأخرى الخاضعة للحكم العثماني المباشر. كما إن نمو القومية المصرية بشعاراتها ورموزها التاريخية وخاصة الاتجاه الفرعوني.. كل ذلك أدى إلى إعاقة التيار العربي في مصر.

ثانيا: غلبة التيار الإسلامي على التيارات الفكرية الأخرى التي سادت المجتمع المصري منذ نهاية القرن الثامن عشر.

أما العوامل الموضوعية فهي تتمثل في:

أولا: الدور الذي قام به الاستعمار الأوروبي في عزل مصر عن العالم العربي منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين.

ثانيا: مسئولية العرب في عدم إشراك مصر في قضاياهم القومية

ثالثا: الدور السلبي لبعض السوريين في مصر..

وسنتناول بالتفصيل كل عامل من هذه العوامل على حدة...

أولا: العوامل الذاتية:

أ- النمو التاريخي:

العامل الأول الذي يتمثل في التطور التاريخي المتميز للمجتمع المصري منذ مجيء الحملة الفرنسية التي تمثل أول احتكاك عربي بالحضارة الغربية في العصر الحديث وما أعقبها من قيام الدولة المصرية الحديثة في عهد محمد علي، وقد ساعد هذان الحدثان على سرعة انهيار النظام الإقطاعي في مصر وبدء ظهور القومية المصرية بمعناها الحديث ونشوء الطبقة الوسطى التي قادت النضال الوطني طوال تلك المرحلة الماضية. فالحملة الفرنسية وجهت الضربة الأولى إلى الأقصاع في شكله الاقتصادي (نظام الالتزام وتعدد الضرائب) وفي شكله السياسي والعسكري ممثلا في جماعة البكوات والمماليك. ثم جاء محمد على فألغى نظام الالتزام كما تخلص نهائيا من المماليك سنة 1811 وبذلك قضى نهائيا على بقايا الإقطاع في مصر[43]. واخذ يبني مصر على أساس المركزية المطلقة وهي أبرز سمات الدولة الرأسمالية. ومن الناحية الاقتصادية بدأ يوجه الاقتصاد المصري للإنتاج الخارجي أي للتصدير بدلا من الإنتاج الإقطاعي القائم على الاستهلاك. وقد كان من الطبيعي أن تؤدي هذه التغيرات الاقتصادية والسياسية (التي تشير إلى تحويل المجتمع الإقطاعي إلى مجتمع تسوده العلاقات الرأسمالية) بفعل الدولة إلى تغيرات اجتماعية وفكرية أيضا. فقد اختفت طبقة المماليك اختفاء تاما من الحياة المصرية وحل محلها كطبقة اجتماعية فئة أرستقراطية تركية هي طبقة كبار الموظفين في دولة محمد علي وهي التي احتكرت كافة المناصب العسكرية الكبرى ومعظم المناصب المدنية والتي منحت إقطاعات كبيرة هي (الابعاديات). وبجانب هذه الطبقة تكونت الطبقة الوسطى من المصريين الذين استعان بهم محمد

علي في بناء دولته سواء آي المناصب الصغيرة في الجيش أو الدولة وأقطعهم أراض زراعية. فقد انتهى الآمر بهؤلاء المصريين في أواخر القرن التاسع عشر إلى أن أصبحوا يمثلون البورجوازية المصرية وهي التي قادت الكفاح الوطني ضد الأتراك والتدخل الأوروبي أبان الثورة العربية[44]، كما حطت لواء الحركة الوطنية ضد الاستعمار الأوروبي منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين، وقد واصل محمد علي محاولاته لتغيير البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع المصري وتغيير مسار مصر السياسي بالعمل على إخراج مصر من نطاق الولاية التابعة للسلطة العثمانية إلى شبه دولة ذات استقلال ذاتي وذات قوة عسكرية وسياسية واقتصادية يشعر بها العالم وتحسب لها أوروبا والسلطنة حسابا. وقد خاض من أجل ذلك حروبه في بلاد الشام (1832 - 1840) والتي ينظر إليها بعض المؤرخين على أنها محاولة لبناء دولة عربية كبرى. والواقع أن دوافع محمد علي في حملته على الشام لم تكن قومية عربية رغم تصريحات ابنه إبراهيم باشا، وتقارير القناصل الأجانب التي كانت تؤكد أن فكرة الوحدة العربية كانت مختمرة في ذهن محمد علي وابنه إبراهيم. ذلك أن حملات محمد علي في بلاد العرب وقلب أفريقيا وفي أوروبا كانت تهدف بالقطع إلى بناء دولة كبرى ولكنها ليست دولة عربية. وحروب محمد علي بالإضافة إلى بناء جيش قوي وأسطول ضخم، وإرسال البعثات التعليمية إلى أوروبا، كل هذه النشاطات كانت تحركها تطلعات محمد علي لبناء دولة تجسد طموحه الشخصي. وكان يرفع شعارات كاذبة عن تطلعاته لبناء دولة عربية كبرى تسهيلا لتحقيق أهدافه في الفتح، وهناك عدة أدلة على ذلك أبرزها أنه بعد هزيمته في الشام وإغراق أسطوله تراجعت أطماعه إلى مجرد فرمان من السلطان العثماني يضمن بقاء حكم مصر وراثيا في أسرة محمد علي، وكان له في نهاية المطاف ما أراد.. فضلا عن اعتماده في حكمه لمصر على الأجانب من الأتراك والمماليك والأرمن واليهود والشوام والأقباط وغيرهم من الأوروبيين وخاصة بعد أن قضى على الزعامات الشعبية في مصر، وأنشأ محمد علي كما سبق أن عرضنا طبقة أرستقراطية جعلها صفوة المجتمع وهي طبقة تركية تولت قيادة البلاد إداريا واجتماعيا. وتميزت هذه الطبقة بانفصالها الكامل عن المجتمع المصري بل وتعاليها على سكان مصر

الأصليين الذين كانوا يعتبرونهم مجتمعا من الفلاحين[45].

وقد وفرت معاهدة لندن 1840 الاطمئنان للرأسمال الأوروبي. كما أن الأجانب عامة وجدوا في طبيعة حكم محمد علي نفسه القائم على العناصر الأجنبية وفي تشجيعه وحمايته لهم ما يغريهم بالقدوم إلى مصر فتضاعف عددهم أكثر من أربع مرات ما بين عامي 1846 - 1917. وقد تمكن الأجانب بفضل هذه الامتيازات التي قدمتها لهم أسرة محمد علي من السيطرة على الحياة الاقتصادية فضلا عما كانوا يتمتعون به من نفوذ اجتماعي وثقافي. مما ترتب عليه تعاظم الدور الذي أصبح يلعبه الغرب في الحياة العامة المصرية. ومن الملحوظ أن معاهدة لندن 1840 قد ساعدت على عزلة مصر سياسيا عن العالم العربي في الوقت الذي كرس فيه محمد علي نظاما استبداديا يستبعد العنصر الوطني ويعادي الثقافة العربية ويستند إلى أرستقراطية تركية وخبراء أوروبيين وثقافة وتعليم أجنبي[46]. مما يؤكد أن العروبة أو الفكرة العربية لم تكن واردة بالنسبة لمحمد علي أثناء فتوحاته وحروبه في بلاد العرب.. وان كان هذا لم يمنع وجود مثل هذا التفكير لدى ابنه إبراهيم الذي كانت تسانده القوى الجديدة التي تربت في المدارس الحديثة، والبعثات، والجيش الوطني، وجهاز الدولة الجديد، وهم كانوا يرون أن الفتوحات المصرية يجب أن تقف عند آخر نقطة يتحدثون فيها بالعربية[47].

بداية الحركة الوطنية المصرية:

لقد كان السبب المباشر في قيام الحركة الوطنية المصرية هو تغلغل النفوذ الأوروبي المالي والسياسي في أواخر عصر إسماعيل، وكانت هذه الحركة تستند على الطبقة البورجوازية المصرية بجناحيها العسكري والمدني. وقد عبرت عن نفسها بحدثين بارزين في تاريخ مصر الحديث، أولهما تأليف الحزب الوطني القديم 1879، ومع أن برنامج الحزب قد تضمن الاعتراف بالولاء للسلطان العثماني وخديوي مصر ودعا إلى المحافظة على حسن العلاقات مع دولة الخلافة إلا أنه جسد المطالب المصرية القومية في ذلك الحين. وقد تجلى ذلك بوضوح في برنامجه الذي ينص على «أن الحزب الوطني حزب سياسي لا دين له فانه مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذهب وجميع النصارى واليهود وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم

بلغتها لأنه لا ينظر لاختلاف المعتقدات ويعلم أن الجميع أخوان وان حقوقهم في السياسة والشرائع متساوية[48]».

أما الحدث الثاني فهو يتمثل في أول حركة رفض قام بها الضباط المصريون بزعامة أحمد عرابي وسيطرة العناصر الإسلامية الأخرى من الأتراك والشراكسة وغيرهم على الجيش المصري واستئثارهم بالمناصب القيادية والمرتبات الضخمة، وحدث أول تآزر بين الشعب والعسكريين في مظاهرة 8 فبراير 1879 التي أقيلت على أثرها وزارة نوبار. ثم تفجرت الثورة العربية التي تجسدها مظاهرة الجيش في سبتمبر 1881. وقد كانت قوى الثورة تضم خليطا من الاتجاهات الفكرية فهناك العناصر التي كانت تنتمي للأزهر وقد كانت تتطلع إلى إنشاء خلافة عربية أي دولة ذات طابع ديني. كما كانت هناك عناصر أخرى داخل الثورة كانت تطالب بجمهورية أو دولة عربية في إطار الانفصال النهائي عن الخلافة سواء عثمانية أم غير عثمانية[49].

على أن أهم شعار رفعته الثورة في هذه المرحلة بمختلف أجنحتها الفكرية والطبقية هو شعار مصر للمصريين ورغم أنه لا يبلور فلسفة قومية متميزة ولكن رفعه كأحد شعارات الجيش في بدء حركته ضد السيطرة التركية والجركسية كان أحد الأسباب التي أدت إلى اتساع هذه الحركة والتفاف عديد من القوى الاجتماعية حولها. وقد اختلف المؤرخون في تحديد موقف الثورة العرابية من الفكرة العربية فهناك من يرى أن ثورة عرابي كما أسلفنا كانت تضم اتجاهات إسلامية عربية استنادا إلى المعلومات التي بعث بها المستشرق الأوروبي دوفيريه إلى مستر برودلي المحامي البريطاني الذي تولى الدفاع عن عرابي وتتضمن اتهام عرابي بأنه كان على صلة وثيقة بالحركة السنوسية في ليبيا وهي الحركة المعادية للخلافة العثمانية والأوروبيين والتي كانت تتميز بالطابع العربي الذي يختلف بأساس إسلامي لا يتعارض مع العروبة. والمرجح أن الثورة العرابية لم تكن تخلو من الاتجاهات العربية التي ظهرت جنبا إلى جنب مختلطة بالاتجاهات الإسلامية. وهو أمر واضح في مجتمع كانت تسوده الأفكار السلفية. على أن الثورة العرابية نجحت في اجتذاب تأييد الرأي العام الشعبي في العالم العربي في تونس وفلسطين وسوريا والسودان حيث انفجرت في هذه الأقطار

المظاهرات الصاخبة ضد احتلال القوات البريطانية لمصر وتضامنا مع عرابي ورفاقه الذي هزمت ثورته. وقد بلغ الأمر أن المهدي عرض على الإنجليز استبدال جوردون قائد الحملة البريطانية الأسير لديه بأحمد عرابي الذي نفي إلى سرنديب[50].

بعد فشل الثورة العرابية واحتلال بريطانيا لمصر سنة 1882، أصيبت الحركة الوطنية بنكسة مؤقتة استمرت حتى ظهور مصطفى كامل حيث انتقلت قيادة الحركة الوطنية إلى الحزب الوطني بزعامته. تتميز هذه المرحلة بوقوع تناقض بين القومية المصرية والقومية العربية ساعدت على إبرازه الظروف الدولية وتفجر التناقضات داخل المعسكر الاستعماري. إذ شهدت هذه المرحلة ظهور التناقضات الكامنة بين الاستعمار التركي الذي كان على وشك الاحتضار والاستعمار الأوروبي الذي كان يتهيأ كي يرث مناطق النفوذ العثمانية في المنطقة العربية. كذلك شهدت هذه المرحلة اكتمال مقومات كل من القومية العربية التي كانت تتهيأ لمقاومة الاضطهاد التركي والقومية المصرية التي تعد الثورة العرابية ابرز تجسيد لها داخل معسكر التحرر الوطني[51]. وكان التناقض الرئيسي بين معسكر الاستعمار (التركي والأوروبي) من ناحية ومعسكر التحرر الوطني (العربي المصري) من ناحية أخرى. ولكن الظروف الموضوعية التي أحاطت بالقضية المصرية محليا ودوليا في ذلك الحين فرضت على الحركة الوطنية المصرية رؤية ضبابية إذ أنها لم تدرك جيدا طبيعة معركتها ضد الاستعمار الأوروبي ووحدة المعسكر الاستعماري رغم ما يحويه من تناقضات ثانوية، ولم تدرك أيضا أن حلفاءها الطبيعيين في معركتها ضد المعسكر الاستعماري هم الشعوب العربية، فلجأت إلى الدولة العثمانية لإكراه إنجلترا على الجلاء مستندة على ما لتركيا من حقوق دولية في مصر تكفلها معاهدة لندن 1840 والفرمانات المؤكدة لها. هذا في الوقت الذي كانت الشعوب العربية تغلي تحت الحكم العثماني. وكانت حركة الثورة العربية في مرحلة التبلور لمواجهة مساوئ الحكم العثماني. فالصراع القومي كان يدور أساسا ضد دولة الخلافة بينما في مصر كان موجها ضد بريطانيا. ففي الوقت الذي كان أحرار العرب يتآمرون فيه ضد السلطان عبد الحميد تساندهم وتشجعهم إنجلترا، كان مصطفى كامل زعيم الحركة الوطنية في مصر يتغنى بمزايا السلطان

ويصفه بأنه «أعظم سلطان جلس على أريكة آل عثمان»، وقد ندد مصطفى كامل بالأفراد القليلين الذين قاموا من المسلمين ضد «جلالة السلطان الأعظم». كما هاجم فكرة الخلافة العربية باعتبارها فكرة إنجليزية واعتبر الثوار العرب ضد السلطان «من الخوارج والخونة»[52].

أما حزب الأمة فقد لخص موقفه من المسالة العربية على لسان رئيسه لطفي السيد الذي كتب في الجريدة تحت عنوان المسالة المصرية يقول: «العرب أكثرية في بلاد الدولة العثمانية لذلك لا نستطيع أن نفهم وجود مسألة عربية تستأهل النظر في حلها. وليس هناك مسألة عربية، ولكن هناك قلقا في نفوس كثير من العرب. لذلك نقول إذا كان هناك للمسألة العربية محل من الوجود فان وجودها الآن سابق للأوان جدا. ولئن كان للمسألة العربية ظل من الوجود فحلها بيد العثمانيين من غير مضارة أحد[53]».

ومن هنا يتضح لنا أن موقف حزب الأمة من المسألة العربية لم يختلف عن موقف الحزب الوطني إلا بمقدار ما يختلف الحزبان إيديولوجيا. لذلك نلاحظ أن لطفي السيد يسوي بين الجامعة الإسلامية، والاتحاد العربي، ويرفضهما معا إذ يقول: «لدينا وسائل العمل لمصلحتنا فلا يعوزنا الذكاء ولا الوطنية، ولكن يعوزنا شيوع الاعتقاد بأن مصر لا يمكنها أن تتقدم إذا كانت تجبن عن الأخذ بمنعتها، وتتواكل في ذلك على أوهام يسميها البعض (الاتحاد العربي)، ويسميها الآخرون الجامعة الإسلامية[54]». وقد ساعد هذا المناخ على نشوء القومية المصرية بإطاراتها الفكرية المعروفة وهي الإطار الفرعوني، وإطار الحضارة المتوسطية، وتتفق جميعها في حصر مصر داخل حدودها الطبيعية، وقد كانت هذه الدعوات تمثل التعبير الفكري والسياسي للنمو الذاتي الخاص الذي أخذت تسير فيه مصر مستجيبة لما فرض عليها من عوامل الحصار، وظروفه.

ب- غلبة التيار الإسلامي:

ويرجع ذلك إلى أن ظهور البورجوازية المصرية في منتصف القرن التاسع عشر إن كان قد ارتبط في داخل مصر بنشوء القومية المصرية فانه وفي ذات الوقت ارتبط بدعوة الجامعة الإسلامية التي تمثل أول تعبير عن البورجوازية العربية في تكاتفها مع البورجوازية التركية، والإقطاع التركي

ضد الاستعمار الأوروبي[55]، وقد ترتب على ذلك تراجع الاعتبارات القومية الأخرى أمام القومية الإسلامية وحتى بعد استكمال القومية العربية لمقوماتها ظلت الفكرة الإسلامية تخلط في بادئ الأمر بالفكرة القومية العربية، وتكوين ما يمكن تسميته بالفكرة العربية الإسلامية.

هذا بجانب عامل ثالث وهو أنه رغم انتشار الإسلام على أيدي العرب في مصر فان السيادة العربية لم تستمر بل انتقلت إلى عناصر إسلامية أخرى مثل المماليك، والعثمانيين، وكان الإحساس السائد في مصر هو الإحساس الإسلامي، وليس الإحساس القومي. علاوة على ذلك المعنى الذي أحاط بكلمة عرب بين الناس لا سيما في مصر، والذي كان من أهم العوامل التي أدت إلى تباعدهم عن الفكرة العربية لان الناس صاروا يستخدمون هذه الكلمة للدلالة على البدوي غير المتحضر، فأخذوا يعتبرونها مقترنة بالتأخر والهمجية مما استوجب تنصل المتحضرين من العروبة وابتعادهم عنها.

ثانيا: العوامل الموضوعية:

أ- الاستعمار:

لقد رسخ الإنجليز أقدامهم في مصر منذ اليوم الأول لقدومهم سنة 1882. ألغوا الجيش الوطني وأسسوا جيشا جديدا هزيلا بقيادة إنجليزية، وألغوا القوانين والأنظمة القديمة ووضعوا رقابة شديدة على المالية، وألغوا الدستور القديم، وحرموا مجلس شورى القوانين، والجمعية العمومية من صلاحياتها، وانتزعوا من مصر حقوقها في السودان، وسحبوا جيشها منه، وعمموا اللغة الإنجليزية على حساب العربية، وأهملوا برامج التعليم الوطني، واغتنمت بريطانيا الفرصة حينما اندلعت الحرب العالمية الأولى (أغسطس 1914)، وفرضت الحماية على مصر، وخول القرار للقوات البريطانية حق استعمال مصر كقاعدة أثناء الحرب، وأعلنت الأحكام العرفية، ووضعت الصحف تحت الرقابة. ولا شك أن كل هذه العملية بتعقيداتها السياسية والاجتماعية قد شغلت مصر عن التفكير في أية قضية أخرى خارج نطاقها الوطني. هذا بالإضافة إلى ما عمدت إليه بريطانيا من جعل قضية مصر تختلف موضوعيا عن قضية المشرق العربي، فبينما كانت الحركة الوطنية

في مصر (حركة الحزب الوطني بزعامة مصطفى كامل) تكافح ضد السيطرة الأوروبية وتتطلع إلى تأييد ومساندة الدولة العثمانية كانت بقية الشعوب العربية في المشرق العربي تكافح في سبيل تحررها من السيطرة العثمانية، وتتطلع إلى تأييد الدول الأوروبية، فأعداء مصر كانوا حلفاء الحركة القومية في المشرق العربي، وأعداء الأخيرة كانوا حلفاء مصر[56]، ونتيجة لذلك لجأت الحركة الثورية العربية المعادية للدولة العثمانية إلى الدول الاستعمارية الأوروبية (إنجلترا وفرنسا) التي احتضنتها وشجعتها، فمن المعروف أن بعض الجمعيات العربية في بلاد الشام كانت على صلة بالقنصل الفرنسي بيكو في بيروت كما أن جمعية اللامركزية كانت على صلة بكتشنر المعتمد البريطاني في مصر، وقد اتخذ حزب اللامركزية الذي تكون سنة 1912 مقره في القاهرة بتشجيع من السلطات البريطانية التي رحبت بهذا النشاط الموجه ضد الدولة العثمانية، ولكنها اشترطت في ذات الوقت ابتعاده عن القضية المصرية، وان ينحصر في بحث قضايا العرب في الولايات العثمانية[57]، كذلك ساندت بريطانيا الشريف حسين للقيام بثورته ضد العثمانيين في منتصف عام 1916. وقد تم ذلك بعد مراسلات طويلة بين الشريف حسين وسير هنري مكماهون المعتمد البريطاني في مصر امتدت من يوليو 1915 - يناير 1916. وفي ذات الوقت كانت بريطانيا تجري مفاوضات سرية مع فرنسا لتقسيم المنطقة العربية بعد انهيار الدولة العثمانية وقد أسفرت هذه المفاوضات عن اتفاقية سايكس بيكو في مايو 1916. ولم تكتف بريطانيا بذلك بل عمدت من أجل كسب الصهيونية العالمية إلى جانبها إلى إرضاء اليهود على حساب العرب فأصدرت تصريح بلفور في 2 نوفمبر 1917 تعهدت فيه لزعماء الصهيونية بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. وبانتهاء الحرب العالمية الأولى وسقوط دولة الخلافة التي كانت محور الدعوة للجامعة الإسلامية سقطت معها استراتيجية التعلق بالدولة العثمانية في مصر، وفي الوقت نفسه سقط تحالف العرب مع بريطانيا بعد أن كشفت حقيقة نواياها وطعنت الحركة العربية بالتقسيم ووعد بلفور: فقد مزق الاستعمار الأوروبي وحدة بلاد الشام التي كانت في العهد العثماني وحدة سياسية وجغرافية وأقام بينها حواجز سميكة. وقسم المشرق العربي لأول مرة إلى وحدات سياسية صغيرة، فلسطين، ولبنان، وسوريا، وشرق

الأردن، والعراق[58]، ولا شك أن هذا التقسيم قد ساعد على خلق مصالح محلية أصبح مصيرها مرتبطا ببقاء هذه الوحدات المنفصلة كما ساعد على تنمية النزعات الإقليمية، وهذا هو ما كان يهدف إليه الاستعمار من اجل الهاء الحركات الوطنية داخل هذه الوحدات السياسية بقضاياها المحلية والكفاح من أجل تحررها الذاتي.

ب- مسئولية العرب في إسقاط مصر من حسابهم:

عند تقييم الظروف التاريخية التي أدت إلى ابتعاد مصر عن الميدان العربي طيلة (القرن 19) وأوائل (القرن 20) نلاحظ أن العرب طيلة القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين نلاحظ أن العرب خارج مصر يتحملون جزءا من المسؤولية مماثلا لمسئولية المصريين ومسئولية الاستعمار الأوروبي ذاته، ويرجع هذا إلى انشغالهم بقضاياهم الوطنية، وبسبب عدم إدراكهم لحقائق عصرهم. فهم لم يفهموا حقيقة الاستعمار، ووجوب مجابهته كوحدة. ويلاحظ في تاريخ النضال العربي ضد الإمبراطورية العثمانية والذي كان في البداية على شكل جمعيات سرية تكونت منذ 1875 تجاهل العرب لمصر المصر ويمكن تفسير ذلك بالدور الذي لعبه الإنجليز في دعم الحركات الثورية ضد السلطان عبد الحميد، وإيواء الثوار العرب الهاربين من الإمبراطورية في مصر[59]، فمن المعروف كما أسلفنا أن جمعية اللامركزية في مصر كانت على صلة بكتشنر المعتمد البريطاني، وقد تدخل بناء على رغبة الجمعية عن طريق السفير البريطاني في الآستانة للعفو عن عزيز المصري الذي كان من أبرز المناضلين العرب، وكانت الدولة العثمانية قد ألقت القبض عليه، وقد استمر ابتعاد مصر عن الحركات العربية حتى ما بعد إسقاط السلطان عبد الحميد سنة 1909. ولم يشارك المصريون في مؤتمر باريس 1913 وهو أول مؤتمر قومي عربي. كذلك استبعدت قضايا مصر عن أبحاث المؤتمر ولم تساهم مصر في مباحثات زعماء الثورة العربية مع المسئولين الإنجليز في القاهرة والتي انتهت بالاتفاق على العمل المشترك ضد الأتراك وأعلن الشريف حسين الثورة العربية في يونيو 1916، ورغم اشتراك مئات الشخصيات السياسية، والعسكرية، والوطنية من العراق، وفلسطين، وسوريا، ولبنان، ولكن بالنسبة لمصر لم ينضم منها أحد باستثناء عزيز المصري[60].

ولم يكن لثورة الحسين أثر كبير عند المصريين بل وقفوا منها موقفا عدائيا ورغم ذلك لم تتمكن الصحف المصرية آنذاك من مهاجمة الثورة لأنها كانت تخضع للرقابة العسكرية[61].

جـ- الدور السلبي للسوريين في مصر:[*1]

من القطاعات الاجتماعية التي نشطت نشاطا بارزا في أواخر عصر محمد علي وما بعد محمد علي كانت العناصر الأجنبية وعلى رأسهم الشوام، وقد كانوا يقومون بدور الوسيط بين الحضارة الأوروبية من جهة والحياة المصرية من جهة أخرى في مجالات الخدمة الحكومية، والتجارة والصحافة. وكانت هجرات الشوام تفد إلى مصر نتيجة للأزمات الاقتصادية، ولا سيما أزمة صناعة الحرير في لبنان، ونتيجة للاضطهادات الدينية على يد الأتراك طوال القرن التاسع عشر[62]، وكان السوريون يشكلون الأغلبية الساحقة من العرب الذين استوطنوا مصر، وكانوا ينقسمون إلى فريقين.. الأول يضم أحرار العرب الذين هربوا إلى مصر لمواصلة نضالهم ضد الحكم العثماني، وخاصة في عهد السلطان عبد الحميد وهؤلاء يمثلون أقلية، وقد تركز نشاطهم وهم في مصر في متابعة نضالهم الوطني، ولم يحدث لقاء أو تعاون بينهم وبين الحركة الوطنية المصرية نظرا للتناقض الذي كان قائما في ذلك الحين بين الحركة الوطنية المصرية، والحركة الثورية العربية، أما الفريق الثاني، وهو يضم أغلبية السوريين في مصر فقد كان يتكون من الذين لجئوا إلى مصر للارتزاق، ولم يهتموا بالعمل في سبيل عقيدة سياسية بقدر ما اهتموا بالسعي وراء الرزق، وهناك فريق ثالث يمثل الوطنيين السوريين الذين اندمجوا اندماجا كاملا في المجتمع المصري وشاركوا في الحركة الوطنية المصرية، وأسهموا إسهامات فكرية بارزة، ويتصدرهم أديب إسحاق، وسليم النقاش، ونجيب حداد، وشبلي شميل، وفرح أنطون، وجورجي زيدان.

أما الدور المعادي الذي قام بعض السوريين ضد الحركة الوطنية المصرية فهو يبدأ منذ الحملة الفرنسية. إذ انهم تعاونوا مع الفرنسيين، وتهافتوا

(*1) يهمنا أن نوضح هنا أن المقصود بكلمة «السوريين» فئة طائفية معينة ومعروفة، وإنما استخدمنا الكلمة لأنها كانت الكلمة التي تطلق على هذه الفئة في القرن الماضي ومطالع هذا القرن بجانب كلمة «الشوام» (المراجع).

على العمل معهم كما احتفلوا بانتصارات الجيش الفرنسي وعملوا لحساب السلطات الفرنسية ضد العناصر الوطنية، وفي عهد محمد علي تولى السوريون شئون الإدارة والمكاتب، والمحاسبة، والترجمة نظرا لما كانوا يتمتعون به من إتقان اللغات الأجنبية، وفي عهد إسماعيل الذي تطلع إلى إعادة تنظيم المجتمع المصري طبقا للنمط الأوروبي استعان بالسوريين على نطاق واسع، وذلك بسبب العجز في عدد المصريين الذين يتقنون اللغات الأجنبية، وعندما احتل الإنجليز مصر احتضنوا السوريين، ومنحوهم فرصا واسعة للعمل في الإدارة والترجمة، ووصفهم اللورد كر ومر في مذكراته بأنهم منحة من السماء[63]. ولم يقتصر دورهم في خدمة الاحتلال البريطاني على تقلد الوظائف الإدارية بل مارسوا الربا، وأصدر بعضهم عدة صحف كانت تروج لسياسة الاحتلال، وتنطق بلسانه باللغة العربية وأبرزها المقطم، والمقتطف اللتان أصدرهما فارس نمر ويعقوب صروف. وإسكندر مكاريوس، وقد تبنوا آراء الاحتلال، ودافعوا عنها، وهاجموا الحركة الوطنية المصرية، وقد أعرب الشعب المصري عن استنكاره ونقمته على الدور العدائي الذي كان يقوم به السوريون ضد الحركة الوطنية المصرية، وتمثل ذلك في افتتاحيات الصحف الوطنية مثل صحيفة الأستاذ لعبد الله النديم، والمؤيد للشيخ علي يوسف، بالإضافة إلى المظاهرات التي كان يقوم بها الوطنيون ضد الصحف السورية الموالية للاحتلال، وقد عبر عبد الله النديم عن ذلك الموقف في مقال شهير جاء فيه: «أنا أخوك فلم أنكرتني ؟ ما الشام ومصر إلا توأمان أبوهما واحد يسوء الاثنين ما ساء أحدهما فلم تنافر أبنائهما وانحاز السوريون في جانب بعيد عن المصريين وان سكنوهم في مصر.. . أبرا تب عشرون جنيها يبيع المرء منا أخاه ووطنه بل جنسه ودينه ؟ أم بكلمة تغرير نصرف حياتنا في خدمة الأجنبي لنعينه على إخواننا لينتقم منهم بغير ذنب ويجني على غير جان»[64].

التيار العربي وسط التيارات الفكرية السائدة في مصر في فترة ما بين الحربين:

بانتهاء الحرب العالمية الأولى سقطت معظم التناقضات التي كانت تحاصر التيار العربي وتعوق انتشاره في مصر. إذ أن سقوط دولة الخلافة

التي كانت محور دعوة الجامعة الإسلامية قد أدى إلى تقلص التيار الإسلامي الذي كان مسيطرا في المرحلة السابقة على اتجاهات الحركة الوطنية المصرية. وانتهت استراتيجية التعلق بدولة الخلافة كما انكشفت حقيقة بريطانيا بالنسبة للعرب، وسقط التحالف العربي البريطاني بعد أن غدرت بريطانيا بالثورة العربية بالتقسيم، ووعد بلفور، ثم خضعت معظم الدول العربية للنفوذ الأوروبي ونشبت ثورة مصر القديمة التي كانت فاتحة الثورات الوطنية في العالم العربي إذ تبعتها ثورات العراق، وفلسطين، وسوريا، وتونس للمطالبة بالاستقلال، وقد ساعدت هذه الثورات على خلق مزيد من التقارب بين البلاد العربية حيث بدأت تتخطى الحواجز التي كان الاستعمار الأوروبي يعمل على تدعيمها وتقويتها، ثم برزت القضية الفلسطينية فكانت محور استقطاب رئيسي للجهود العربية، وخاصة مصر حيث تحدد انتماؤها النهائي للعروبة وقضاياها، وقد ظهر أول رد فعل شعبي في مصر لقضايا العرب سنة 1925 حينما نشبت ثورة سوريا ضد السلطات الفرنسية. فقد اهتمت الصحافة المصرية بإبراز أنباء الثورة، وتأييد حق السوريين في الاستقلال، كما قامت حركة تبرعات لمنكوبي الثورة قادها سعد زغلول بنفسه[65].

وقد انتهت ثورة 1919 بحدوث عدة تغييرات في البنيان السياسي والفكري للمجتمع المصري نستطيع أن نرصدها على الوجه التالي:

من الناحية السياسية:

ا- استطاعت أن تلغي الحماية البريطانية بصدور تصريح 28 فبراير سنة 1922، ورغم إن هذا التصريح لم يؤد إلى الاستقلال الذي تطلع إليه المصريون بسبب التحفظات الأربعة، فان إلغاء الحماية أتاح الفرصة للبورجوازية المصرية للتنفس السياسي وتمصير بعض وظائف الدولة، وبالتالي المشاركة في الحكم، والاشتغال بالسياسة، والعمل الحزبي [66]. و قد أدى انتعاش البورجوازية المصرية بعد تأسيس بنك مصر إلى التطلع خارج حدودها بحثا عن أسواق جديدة في الدول المجاورة لها، ولذلك نرى طلعت حرب مؤسس بنك مصر يقوم بجولة سنة 1928 في الدول العربية لبحث إمكانية فتح فروع لبنك مصر، وقد عبرت عن هذا الاتجاه صحيفة السياسة لسان حال الأحرار الدستوريين وهو الحزب الذي كان يجسد

مصالح كبار الملاك في مصر[67].

2- نشوء أحزاب جديدة.. فقد تفتت وحدة البلاد السياسية بعد هبوط المد الثوري الذي أشاعته ثورة 1919، وأخذت تظهر تكتلات سياسية هي امتداد لما كان قبل 1914 مع اختلاف في التفاصيل مما كان يمليه تطور البلاد خلال الحرب العالمية الأولى. فقد استطاع حزب الوفد بقيادة سعد زغلول أن يجمع الشعب تحت زعامته أثناء الثورة، وأصبحت الحركة الوطنية بقيادته حركة مستقلة بذاتها تحتل مكان الصدارة في الحياة السياسية المصرية. ولكن كان من الصعب عليه أن يستمر في زعامة كل الفئات التي تصدت للعمل السياسي، فكان نشوء الأحزاب بعد الثورة أمر طبيعيا، وقد تأسس حزب الأحرار الدستوريين في أكتوبر 1922 على أساس قومي مصري استمرارا لحزب الأمة، وعلى أكتاف عدد من ذوي الثقافات الأوروبية، وكبار الملاك[68]. ثم تلاه حزب الاتحاد 1925 فحزب الشعب 1930 وحزب السبعة ونصف 1931.

من الناحية الفكرية:

1- انتهت ثورة 1919 بانتصار التيار (القومي المصري) الليبرالي وتقلص التيار السلفي (الإسلامي)، وقد اتخذ الصراع بين هذين الاتجاهين مسارا فكريا أكثر تحديدا عن الفترة السابقة على الثورة ونلحظ انه بينما كان دعاة الاتجاه الليبرالي ومعظمهم خريجو الجامعات الأوروبية من أنصار التيار القومي المصري كان أنصار التيار السلفي، ومعظمهم من الأزهريين أقرب إلى الفكرة العربية، والواقع أن طغيان الفكرة الإسلامية على الفكرة العربية الذي كان سائدا في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ظل مستمرا[69]، رغم أن الظروف التي أحاطت بالعالم العربي بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى قد ساعدت على تنشيط الفكرة العربية في مصر خاصة قضية فلسطين التي أمدتها بدفعة قوية. كما قام تآلف وثيق بين أنصار التيار الإسلامي. والتيار العربي وتكتلوا لمواجهة التيار القومي المصري، وقد ساعد هذا الصراع على سرعة حدوث الاستقطاب بالنسبة للتيار العربي الذي انحاز إلى جانب التيار الإسلامي.

2- التيار الشرقي:

في هذه الفترة التي تميزت بسيادة التيار المصري ظهرت تيارات فكرية

وحدوية أمدت التيار العربي بمدد فكري ومعنوي ساهم في تمهيد الطريق أمامه وسد التيارات الفكرية الأخرى التي كانت تتصارع داخل المجتمع المصري. ومن أبرز هذه التيارات الوحدوية التيار الشرقي الذي تجسد في جمعية الرابطة الشرقية التي أعلن قيامها في مارس 1922. واهتم أعضاؤها بالقضايا العربية وناصروها على أسس مختلفة. وقد تألفت الرابطة من عدد من المفكرين والسياسيين المصريين ذوي انتماءات فكرية متناقضة، فقد كان يرأسها مجموعة من أنصار التيار السلفي أمثال السيد عبد الحميد البكري ونائبيه الشيخ محمد بخيت ورشيد رضا والشيخ محمد الغنيمي التفتنازاتي مساعدا عربيا لكاتم السر العام(70). كما كانت تضم عناصر علمانية مثل أميل زيدان ومحجوب ثابت ومنصور فهمي وأحمد شفيق باشا. كذلك ضمت بعض العناصر الموالية للتيار العربي مثل أحمد زكي باشا وعزيز المصري. كما ضمت مصطفى نور الدين مساعدا تركيا لكاتم السر ومحمد رضا قزويني مساعدا فارسيا لكاتم السر. وقد جاء في قانون الجمعية (أنها جمعية علمية اجتماعية تقوم بترقية الأمم الشرقية بالعلم الذي هو أساس كل فلاح وبأحكام الروابط بين هذه الأمم، وبإحياء حضارة الشرق وإرجاعه إلى فضائله مع الأخذ بما في مدنية الغرب من المحاسن التي لا تتنافر مع الروح الشرقية). كما نصت في قانونها على أن المحاولات الدينية والمنازعات السياسية خارجة عن حدود وظيفتها(71).

وقد شكلت الجمعية سبع لجان لمعالجة كل ما يتعلق بأمور الشرق والعمل على النهوض به وهي اللجنة التركية واختصاصاتها تركيا الحديثة وآسيا الوسطى، واللجنة الفارسية وتبحث في شئون فارس وأفغانستان وبلوخستان، واللجنة العربية وتهتم بشئون بلاد العرب وسوريا والعراق، واللجنة الهندية واختصاصها شئون الهند والهند الصينية، ولجنة الشرق الأقصى وتبحث في الهند الشرقية وسيام والصين واليابان، واللجنة المغربية واختصاصها شمال أفريقيا، ثم اللجنة الأفريقية واختصاصها السودان والحبشة وباقي البلاد الأفريقية(72).

ونلاحظ من أسماء أعضاء الرابطة الشرقية وانتماءاتهم الفكرية فضلا عن تشكيل لجانها واختصاصاتهم على النحو الذي سبق عرضه أن الدافع إلى إنشائها لم يكن فكرة الجامعة الإسلامية ولا الفكرة العربية أيضا، فان

تنوع اتجاهات أعضائها علاوة على ما جاء على لسان مجلتها من أن الدافع إلى إنشاء الجمعية هو شعور أبناء الشرق بافتقارهم إلى جمعية تؤلف بينهم وتربط شعوبهم وتعمل على إعلاء كلمتهم(73) - يشير بوضوح إلى أن الفكرة الشرقية وحسب هي التي كانت الدافع الأساسي لتأسيس هذه الجمعية وقد ساعد تشكيل الرابطة الشرقية على هذا النحو باعتبارها تضم خليطا من ذوي الاتجاهات الشرقية والإسلامية والعربية المصرية على أن تلقى التشجيع والارتياح من جانب قطاعات كبيرة من المثقفين ورجال الدين وبعض أعضاء الآسرة المالكة والتجار والمستشرقين(74).

ويرى د. عبد العظيم رمضان أن الرابطة الشرقية هي جسر الانتقال بين فكرة الجامعة الإسلامية التي كانت سائدة قبل الحرب العالمية الأولى وفكرة القومية العربية. والواقع أن الرابطة الشرقية تمثل تيارا علمانيا مستقلا رغم أنها كانت تضم خليطا متناقضا من المفكرين السلفيين والعلمانيين فقد ظهرت في مرحلة تتميز بسيطرة التيار العلماني وانكماش التيار السلفي. كما أنها انتهت بسيطرة التيار العلماني المتغرب. وقد بدا ذلك واضحا عندما أصدرت الجمعية في 15 أكتوبر 1928 مجلة الرابطة الشرقية بعد ست سنوات من تأليف الجمعية فكانت تتبنى أفكار وأيديولوجية الأحرار الدستوريين. إذ كان يرأس تحريرها الشيخ علي عبد الرازق، وكان من أبرز كتابها الدكتور طه حسين ومنصور فهمي ومصطفى عبد الرزاق وسلامة موسى، مما ساعد على تفجر الخلاف داخل الرابطة بين ذوى اتجاه الإسلامي بقيادة رشيد رضا وبين أصحاب الاتجاه العلماني الذي كان يسيطر بالفعل على فكر الرابطة ونشاطها. وهذا يقيم دليلا على أن الفكرة العربية لم تكن امتدادا أو جزءا غامضا من الفكرة الشرقية، خصوصا وان التيار المسيطر داخل الرابطة لم يكن التيار ذا النزعة الإسلامية أو العربية بل على العكس فان التيار الذي كان يمثل القومية المصرية والانتماء إلى الحضارة المتوسطة هو الذي سيطر على أفكار واتجاهات الرابطة. كما أن المفاهيم التي حددها بعض أعضاء الرابطة كإطار أيديولوجي للفكرة الشرقية كانت تتفق تماما مع أفكار وأيديولوجية الأحرار الدستوريين، فهي لا تستند إلى أساس ديني أو عرقي بل تستند إلى تصور صحيح في ذلك الحين للاختلاف المادي والحضاري بين الشرق والغرب. كما أنها تترجم

العوالم المتعددة التي تنتمي إليها مصر فهي من ناحية جزء من العالم الإسلامي بحكم الانتماء الديني، وهي من ناحية ثانية جزء من العالم الشرقي الذي يقف في مواجهة العالم الغربي الاستعماري. ومن ناحية ثالثة هي جزء من عالم البحر المتوسط الذي تربطه به صلات حضارية تاريخية، كما أنها من ناحية رابطه جزء من وادي النيل الذي يعتمد على النهر العظيم في حياته ومعاشه. ثم هي جزء من العالم العربي الذي تربطها به أكثر من رابطة مادية ومعنوية. وقد روى الدكتور محمد حسين هيكل قصة تأليف الرابطة الشرقية باعتبارها دعامة لمصالح مصر القومية عن طريق تقوية علاقات مصر بالغرب وبالشرق عموما، إذ كتب يقول[75]: «لقد فكر جماعة من المصريين في أن يصلوا حركة مصر القومية بحركة جاراتها العربية وبحركة البلاد الشرقية التي تخضع لسلطان الأجنبي مثلما تخضع مصر، فقد كانت البلاد العربية التي انفصلت عن الدولة العثمانية تفكر في الاستقلال الذي كفلته لها إنجلترا في مكاتبات رسمية.. ثم إن هناك حركة استقلالية قد بدأت في الهند يقودها الزعيم غاندي وجعلت المقاومة السلبية شعارها.. وقامت بلاد أخرى تطلب استقلالها بعد أن ظلت عشرات السنين خاضعة للاستعمار. أفلا يمكن تنظيم هذه الناهضات القومية كلها تنظيما يؤدي إلى نجاح مشترك ؟. لهذا فكر جماعة من المصريين الشرقيين المقيمين بمصر أن يصلوا حركة مصر القومية بهذه الحركات الاستقلالية في بلاد الشرق المختلفة..»، ثم يمضي فيقول: «وقد اعتذرت يومئذ عن الانضمام للرابطة ذلك أنني أرى من التفاوت بين مصر وبين هذه البلاد الشرقية في ثقافتها وفي لغاتها وفي مقوماتها القومية ما قد يصرفنا نحن المصريين عن تركيز جهودنا في قضية وطننا وما يدعونا لحمل عبء لا طاقة لنا به وبذلك يضيع جهد ما أحوج مصر إليه[76].

وقد حاول الشيخ علي عبد الرازق أن يحدد مقدمات الفكرة الشرقية وتاريخ ظهورها فأشار إلى «انه لا يستطيع أن يحدد تاريخا مفصلا للفكرة الشرقية التي أخذت في الأعوام الأخيرة وخصوصا بعد الحرب الكبرى تحيا بين الشرقيين وتملأ أذهانهم والتي أخذت تتطور في صور مختلفة وتنتقل من قطر إلى قطر، ومن جماعة إلى جماعة حتى كادت تصير حقيقة عملية لا مجرد عقيدة وفكر» وقد ارجع أصولها «إلى أيام الحروب الصليبية

حينما تألب ملوك أوروبا تحت راية الصليب يشنون على الإسلام تلك الحروب الصليبية فنشأت الفكرة الشرقية في ذلك الحين، وكان ذلك في مقابلة الفكرة الغربية التي تعني رجال الصليب»[77].

ويشير الشيخ علي عبد الرازق في مقاله إلى إن أصول الفكرة الشرقية ترجع إلى الصراع التاريخي بين الشرق والغرب والذي اتخذ في البداية طابعا دينيا هو الحروب الصليبية، ثم تطور في العصر الحديث اتخذ إشكالا أخرى أشمل عندما «اتسعت مساحة الدنيا وانكشفت أمام أوروبا المتألقة بلاد جديدة غير بلاد الإسلام. عندئذ ظهرت الفكرة الشرقية بمعناها الحديث الواسع ويشمل آسيا وأفريقيا، وذلك في مقابلة الفكرة الغربية التي تعني أوروبا وأمريكا[78]» والفكرة الشرقية بهذا التحديد تقترب في جوهرها من التقسيم المعاصر الذي يضع آسيا وأفريقيا في جبهة التحرر الوطني مقابل أوروبا وأمريكا في الجبهة الاستعمارية. ويشير عبد الوهاب عزام إلى المضمون ذاته في مقال بعنوان «واجب الشرقيين اليوم» محاولا تحديد واجبات الشرقيين في هذه المرحلة وذلك باستعراض تاريخ الصراع بين الشرق والغرب منذ القدم، صراع روما وقرطاجة، حروب الفرس واليونان، وتنازع الروم الشرقيين والكاسرة على غرب آسيا، ووقائع الفتح الإسلامي والحروب الصليبية، وفتح الأتراك الشرقي أوروبا إلى أن يصل إلى العصور الحديثة حيث «نظر الشرق فإذا الغرب يشن غاراته ويوالي هجماته ومال الميزان على الشرق كل ميل ثم نظر فإذا أسباب القوة والفتنة مجتمعة للغرب بسلاح مدمر، سخر البر والبحر بالبخار ثم بالكهرباء، وسلسلة من المعجزات يحار فيها العقل والنظر. فجاهد الشرق جهد قوته ثم عيي بالجهاد فاستكان» ويرى أن الدواء «هو أن نجد أنفسنا بعد أن فقدناها وضللنا عنها، وذلك بأن نصل ماضينا وحاضرنا بالمستقبل الذي هو أشبه بنا وبأخلاقنا وأدبنا وعقائدنا وتاريخنا»[79].

ومن هنا نرى إن الرابطة الشرقية لم تكن معبرا إلى الفكرة العربية في مصر كما يرى د. عبد العظيم رمضان بل كانت تمثل تيارا علمانيا مستقلا أشمل من الفكرة العربية ومن الفكرة الإسلامية بل تضمهما معا وتتجاوزهما وتمثل منهجا أكثر تكاملا واكثر عصرية. فهي قد وضعت انتماء مصر في إطاره العصري الصحيح. لقد تجاوزت الاعتبارات الدينية المحضة التي

تميز ذوى الانتماء السلفي وان لم تتغافلها. كذلك تجاوزت الروح الإقليمية الضيقة التي تميز بها دعاة الاتجاه القومي المصري بشقيه الفرعوني والمتوسطي (الحضارة المتوسطية) وان شملتهما معا. وهي تعتبر الفكرة الجنينة التي برزت فيما بعد في مرحلة ازدهار حرج. التحرر الوطني في آسيا وأفريقيا في نهاية الخمسينيات من القرن الحالي وتبلورت في جبهة الشعوب الافرواسيوية في مواجهة الجبهة الأوروبية آلا أنها قدمت خدمات لا بأس بها للتيار العربي في مصر.

العوالم التي ساعدت على نمو التيار العربي في مصر:

لقد ترددت القيادة السياسية في مصر في اتخاذ سياسة عربية تسير بموجبها أو تبني سياسة أوسع شرقية أو إسلامية توجه خطاها، وكما سبق أن عرضنا كانت جميع هذه التيارات تتصارع وتتعايش داخل المجتمع المصري ولكن لم يتح لآي منها السيادة والتفوق. ومن دلائل عدم تبلور الاتجاهات السياسية في مصر خلال هذه الفترة، وترددها وحيرتها بين النزعتين القومية المصرية والعربية الإسلامية محاولات تجديد الخلافة الإسلامية بحيائها على يد الهيئة الدينية العليا في الأزهر التي كان يتزعمها الشيخ مصطفى المراعي(*2)، وقد وجدت في مصر بعض جماعات تميل إلى مبايعة الملك بالخلافة اعتقادا منها أنها تؤدي واجبا دينيا. على أن هذه الجماعات كان نفوذها محدودا ودعايتها محصورة. فهناك مقامات دينية لها وزنها أبدت اعتراضها على ذلك علاوة على موقف حزب الوفد الذي عارض الفكرة معارضة مريحة تجلت في موقف صحفه[80].

وعلى الرغم من جميع وسائل التمزيق، والتفتيت التي لجأت إليها الدول الاستعمارية لتجزئة المشرق العربي فقد ظلت الصلة قوية بين أجزاء الآمة العربية وقد طرأت في الثلاثينيات على الواقع العربي، المادي عدة متغيرات

(*2) بذلت محاولات في مصر لبعث الخلافة الإسلامية وسعى الأزهر لذلك ودعا إلى مؤتمر في القاهرة يجتمع فيه علماء المسلمين وأقطابهم سنة 1926. وقد قرر المؤتمر يومئذ عدم ملائمة الظروف لأحياء الخلافة. وتأجل البت فيها إلى مؤتمر آخر اشترط أن يعقد في القاهرة ليعالج المسألة ويفصل فيها. المصدر د. أحمد طربين-الوحدة العربية بين 1916- 1945- معهد الدراسات العربية القاهرة 1957 ص. 195.

هامة أو ما يمكن أن يطلق عليه العوامل المضادة للتباعد العربي[81]. مما ساعد على تخطي الحواجز الإقليمية المصطنعة، والبدء في دخول مرحلة تاريخية تختلف نوعيا عن المراحل السابقة لها في الميدان العربي. ويمكن أيجاز هذه المتغيرات فيما يلي:

أولا: تطور وسائل المواصلات وبالذات إنشاء طريق السيارات عبر بادية الشام مما ساعد على تقريب المسافات بشكل ملموس بين كل من دمشق وبغداد-ودمشق، وعمان. كذلك تحسنت سبل المواصلات بين مصر والمشرق العربي برا، وبحرا وجوا. وقد شجع ذلك على خروج المثقفين المصريين من عزلتهم وذهابهم في رحلات مدرسية وثقافية إلى الأقطار العربية أو للعمل في بعض المعاهد الجامعية الحكومية[82].

ثانيا: انتعاش البورجوازية المصرية وتطلعها إلى خارج حدودها بحثا عن الأسواق. فإذا كانت ثورة 1919 قد انتهت إلى الفشل في تحقيق الاستقلال السياسي كما كان يبتغيه المصريون فان الطبقة التي استطاعت أن تكسب إلى حد كبير من هذه الثورة كانت الطبقة البورجوازية في قطاعها الزراعي وقطاعها الصناعي التجاري. وقد جاءت هذه المكاسب على مرحلتين سياسيتين الأولى تصريح 28 فبراير 1922، الذي أتاح للبورجوازية المصرية نوعا من المشاركة السياسية في الحكم مع الاحتلال (رغم التحفظات الأربعة) ثم معاهدة 1936 التي كان من أبرز نتائجها إلغاء الامتيازات الأجنبية. وقد ساعدت هذه الظروف على نمو البورجوازية المصرية وتطورها مما جعلها ترمي ببصرها إلى خارج حدودها بحثا عن السوق. وسرعان ما انتقلت إلى العمل بمجرد ظهور سحب الأزمة الاقتصادية العالمية (1929 - 1932)، خاصة وان عام 1927 شهد أزمة حادة في تصدير القطن المصري فكسدت تجارته مما دعا البورجوازية المصرية إلى التفكير في البحث عن أسواق جديدة لتصريف القطن خارج الأسواق الأوروبية التي كانت تحتكر العملية. وفي سنة 1928 قام طلعت حرب مؤسس ومدير بنك مصر بجولة في أقطار المشرق العربي لبحث إمكانية فتح فروع لبنك مصر. وقد تبنت مجلة السياسة الأسبوعية هذا الاتجاه، وروجت له من خلال المقالات التي كانت تنشرها عن أقطار المشرق العربي، كما أوفدت أبرز كتابها «عبد الله عنان» لزيارة هذه الأقطار والكتابة عنها. والمعروف أن السياسة كانت لسان حال الأحرار

الدستوريين وهو الحزب الذي كان يجسد مصالح كبار الملاك في مصر[83].

ثالثا: انتشار الصحافة والإذاعة كوسائل لنشر الثقافة وكوسيلة اتصال فعالة بين جماهير المنطقة العربية. وقد لعبت الصحافة المصرية دورا هاما في هذه الفترة في نقل ومتابعة الأحداث وخلق رأي عام عربي حول ما يدور في المنطقة خاصة وان معظم الصحف المصرية اليومية لها مندوبون ومراسلون في فلسطين، وسوريا، ولبنان، والعراق مثل الأهرام والمقطم والسياسة وكوكب الشرق والبلاغ لتغطية الأحداث ومتابعتها في حينها.. والى جانب المجلات الفكرية والثقافية كالهلال والمقتطف والرسالة آلتي كانت ملتقى رجال الفكر والسياسة من كافة الأقطار العربية كانت الأعداد الأسبوعية التي تصدرها الصحف اليومية تقوم أحيانا بنفس الدور كما أصبحت تبذل اهتماما أكبر بدراسة أوضاع البلاد العربية[84].

كما أن الصحف المصرية كانت تنشر كثيرا من الأخبار والتعليقات نقلا عن الصحف العربية التي كان ترد إليها بصفة دورية.. وقد ترتب على ذلك زوال المعنى الذي أحاط بكلمة (عرب) بين المصريين والذي كان من أهم العوامل التي أدت إلى تباعدهم عن الفكرة العربية خصوصا وأنها كانت مقترنة في أذهانهم بالتأخر والهمجية، وبدأت لفظة العرب في تلك الأثناء تنتقل تدريجيا من معناها الذي كان سائدا في مصر قبل الحرب العالمية الأولى والمرادف لكلمة الأعراب إلى مدلولها الحديث. وقد تم ذلك عبر محاولات واجتهادات من الكتاب والمفكرين المصريين شغلت صفحات كثيرة من الصحف والمجلات في تلك الفترة[85].

كما ترتب على ذلك أيضا أن أصبح ما يجري في مصر يجد صداه في الأقطار العربية الأخرى. وأصبحت القوى الشعبية الناشئة في هذه الأقطار تتابع باهتمام تفاصيل السياسة الداخلية المصرية وعلاقات القوى داخل المجتمع المصري المصر والضغوط التي تتعرض لها الحركة الوطنية المصرية من قبل السراي، والاحتلال، وأحزاب الأقلية[86].

وقد تمخض عن ذلك بروز قيادات فكرية وثقافية بدأت تدرك العلاقة العضوية بين القضية المصرية والقضايا العربية وكان في طليعة هؤلاء عصام الدين حفني ناصف وعبد الله عنان ومحمود عزمي ومكرم عبيد.

رابعا: ظهور الخطر الصهيوني على أثر تطور قضية فلسطين على نحو

يهدد الوجود العربي كله بالفناء.

جرت خلال هذه الفترة (أغسطس 1929) حوادث حائط المبكى الحائط الغربي للمسجد الأقصى آخر آثار هيكل سليمان عند اليهود ومصعد البراق عند المسلمين.. كان الصراع في تصميمه بين الحركة الوطنية العربية في فلسطين وبين الصهيونية والانتداب البريطاني بسبب الهجرة اليهودية المتزايدة. وقد أراد اليهود انتزاع ملكية الحائط ووضعوا الستار عليه، وسارت مظاهراتهم تهتف، الحائط حائطنا وهب العرب يهتفون. أن الوطن لهم، والحائط للمسلمين وأشهر السلاح وسالت الدماء وسقط مئات القتلى والجرحى من الجانبين[89]. وتحركت الصهيونية في العالم مستثمرة علاقاتها الوثيقة بالدول الاستعمارية، وركائزها الاقتصادية في هذه الدول. كما تحركت الشعوب العربية أيضا متعاطفة مع الشعب العربي في فلسطين. وقد تزعمت الفئات الدينية التي ارتاعت على الأماكن المقدسة حركة التأييد، والمساندة للشعب الفلسطيني. والواقع أن شعب فلسطين كان يخوض معركة لا تتعلق باستغلاله فحسب ولكن بوجوده المادي، ولا تتعلق ببلده وحدها ولكن بالعالم العربي كله، إذ كان مطعن الرمح الاستعماري في الجسد العربي كله. وعلا صوته لتكتيل القوى على كل المستويات المتاحة عربيا وإسلاميا ودوليا باسم التحرر وبإسم العروبة وباسم الإسلام. وقد دعا لعقد مؤتمر إسلامي عام بالقدس في ديسمبر من ذلك العام لإيجاد كتلة إسلامية عربية معادية لمطامع الصهيونية[90]. وفي مصر تلاقت مختلف الاتجاهات الدينية، والقومية في الاهتمام بفلسطين. وكانت مصر تعيش في ذلك الوقت ملحمة صراع وطني ديموقراطي طرفها الأساسي الحركة الوطنية بقيادة الوفد في مواجهة طرفي الصراع التقليديين وحلفائهما من أحزاب الأقلية أي السراي والاحتلال البريطاني. وقد عارض الملك أية دعوة للجامعة الإسلامية لا تخرج من تحت تاجه بعد فشل مشروع الخلافة. ولا شك أن الإنجليز كانوا يعارضون أي اقتراب مصري من الشعب الفلسطيني والعربي. وارتبطت مصالح كبار ملاك المصريين بفكرة القومية المصرية المنعزلة عن العرب. ووقفت حكومتهم سنة 1929 ضد ثورة شعب فلسطين وكتبت جريدتهم (السياسة) تهدد الوطنيين الفلسطينيين في مصر بالطرد لتهييجهم الرأي العام خوفا من إغضاب الإنجليز من ناحية. وخوفا

من تشجيع الشعب المصري على التمرد على حكمهم خصوصا وان مقومات هذا التمرد كانت متوفرة[91].

وقد كتب محمد عبد الله عنان في جريدة السياسة الأسبوعية يقول: «مهما كانت أسباب هذه الحوادث الدامية.. ومهما كانت المسئولية في أثارتها فانه لا يمكن أن نتجاهل اليهودية هذه الحقيقة وهي أن الوطن القومي اليهودي لا يمكن أن يقوم على سياسة العنف في قلب شعوب تجمعها روابط جنسية ودينية وتاريخية لا يمكن أن يغفل أثرها» ولكنه في ذات الوقت أدان سياسة العنف التي يسلكها الشعب الفلسطيني قائلا انه «لا يعتقد أن سياسة العنف طريق صالح يستطيع أن يسلكه الشعب الفلسطيني لتحقيق أمانيه لان سياسة العنف أصبحت اليوم طريقا خطرا لا يأمن سلوكه الأقوياء أنفسهم فضلا عن الضعفاء»[92].

كما كتب مرة أخرى في 21 سبتمبر 1929 ينصح كلا من العرب واليهود بالاعتدال قائلا: «آن في وسع العرب أن يغنموا أكثر بالاتحاد والجهاد السلمي المستمر وان يحولوا في المستقبل دون إراقة الدماء.. وعلى اليهودية إذا أرادت سلاما آن تقنع الأمم العربية بأنها لا تفهم فكرة الوطن القومي آلا في معنى متواضع وفي دائرة محدودة وأنها لا تنوي افتئاتا على حقوق العرب أو أوطانهم». وقد امتدحت جريدة إسرائيل الصهيونية التي كانت تصدر في مصر هذا الاتجاه من جانب صحيفة السياسة. كما بعثت جريدة هآرتس الصهيونية مقالا نشرته جريدة السياسة الأسبوعية على صفحاتها يتضمن إشادة هآرتس بهذا الصوت الواحد في العالم الإسلامي الذي يطالب بالروية، والأنصاف.. إذا لم يتم بين المسلمين المتنورين من يخاطب الجمهور الثائر بمثل هذه الكلمات الواضحة البسيطة التي وجهها محرر السياسة. آن سياسة العنف ليست طريقا صالحا يسلكه الشعب الفلسطيني لتحقيق أمانيه[93]». أما في الجانب المقابل فقد استفزت أحداث البراق ومحنة فلسطين عامة لدى الشعب المصري جماع المشاعر الوطنية والإسلامية والمشاعر العربية الغامضة الوليدة.

وقد قادت الصحف الناطقة بلسان حزب الوفد وهما البلاغ وكوكب الشرق حملة واسعة النطاق لتنوير الرأي العام المصري بأبعاد القضية الفلسطينية وتنبيهه آلي الخطر الصهيوني، وذلك بالتوسع في نشر المقالات

والتعليقات والأخبار عن النشاط الصهيوني في فلسطين وطرد الفلاحين الفلسطينيين منها وطرد العمال العرب، وإحلال اليهود مكانهم وتواطؤ سلطات الانتداب البريطاني مع الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني الذي لم يعدم وسيلة المقاومة السلمية من احتجاجات ونداءات إلى عصبة الأمم والعالم الإسلامي والعربي وإضرابات ومظاهرات شملت جميع المدن الفلسطينية، ثم صدا مات مباشرة وغير مباشرة ضد الخصوم القوميين وحلفائهم من جنود الانتداب. وقد كانت الصحف الوفدية خصوصا البلاغ غالبا ما تنقل من الصحف الفلسطينية، كما كانت تتيح فرصة واسعة للكتاب الفلسطينيين المقيمين بالقاهرة الكتابة على صفحاتها وإبراز الجوانب المختلفة للمشكلة الفلسطينية.

وقد كتبت البلاغ عدة مقالات أبرزت فيها الأسباب الحقيقية لأحداث البراق كتبت في إحداها تقول: «يكفي القول بأن العرب في فلسطين هم أصحاب البلاد الذين لا يجوز منازعتهم فيها ولا في أي ركن من أركانها حتى ولو كان هذا الركن لا علاقة له بعقيدة دينية، أو كان غير محل تقديس واحترام من الوجهة الدينية. وإذا كان العرب كذلك والصهيونيون ينازعونهم في هذه الحقوق ويريدون أن يقيموا قومية صهيونية على أنقاض القومية العربية وحكومة صهيونية بدلا من الحكومة الوطنية العربية، نقول إذا كان الآمر كذلك فهو يكفي وحده في أن يلغي ضوءا باهرا يكشف أسباب تلك المعارك الدموية التي تحرجت الحالة من أجلها في فلسطين.. وطالما بقي هذا الوضع الشاذ فان النزاع سيبقى مستمرا وسيبقى الفلسطينيون على اعتقادهم بان الصهيونيين قوم مغيرون عليهم ينازعونهم في بلادهم ويريدون أن يبنوا لهم قومية على أنقاض قوميتهم ووطنا على أنقاض وطنهم» إلى أن يقول: «ولنفرض جدلا أن السبل ممهدة معبدة أمام ذلك الحلم الجميل الذي يراه اليهود أو بالأحرى بعض اليهود في منامهم فأين يذهب الفلسطينيون وهم الأكثرية الساحقة بمصالحهم وقوميتهم، ويعد كم آلف من السنين يستطيع الصهيونيون أن يكونوا الأكثرية التي تجرف أمامها تلك الأكثرية الساحقة من الفلسطينيين مسلمين ومسيحيين حتى تصبح أقلية.. آذن فالمضي في تنفيذ وعد بلفور هو منشأ هذا النزاع ولولاه ما وقف اليهود موقفهم من مسألة البراق، ولا نظن أن هذا يؤدي إلى استقرار

الحالة في فلسطين استقرارا تاما لان الفلسطينيين لا يسكتون بطبيعة الحال عن حقوقهم في بلادهم التي لا ينكرها عليهم أحد»[94].

ومن الواضح أن الفكرة العربية في ممر قد تلقت بقضية فلسطين دفعة قوية إلى الأمام. فقد خطب محمد علي علوبة باشا الذي تولى الدفاع عن حقوق العرب في جدار البراق الشريف أمام لجنة التحقيق الدولية خطابا هاجم فيه الفرعونية هجوما شديدا ودعا لعروبة مصر في حرارة فقال: «وأني ليحزنني أيها السادة أن آري واسمع بعد أن ذهبت إلى فلسطين ودافعت بضعفي عن قضيتها وعلمت إن الآمة العربية أمة واحدة يربطها رباط واحد، نعم يحزنني أن أفكر انه يوجد في بلادي فريق مهما كان شأنه يبث فكرة الفرعونية، أنا لا ادري ما الحافز الذي حدا ذلك النفر الضئيل في مصر إلى أن يصرح بقوله.. حذار يا مصر أن تكوني واسطة عقد الأمم العربية وأختها الكبرى لأنك لست منها بل آنت فرعونية.. أن الفرعونية ليست جنسا من أجناس البشر ومنها عصر كمن عصور الحكم.. على أنني لو فرضت أن هناك جنسا فرعونيا لحما ودما وعظما فان فوق هذا الجنس جنسا آخر ورابطة أخرى هي أن هذه الأمم العربية تجمعها لغة واحدة وتقاليد واحدة وعادات واحدة أتلام واحدة وأمال واحدة فهل يظن ظان أنه يوجد اعتبار فوق هذه الروابط الوثيقة لا التي لا تنقسم أوامرها، ما مصر آلا عربية ولا تقوم آلا على أنها عربية ولا يرضى المصريون بغير العربية[95].

خامسا: التطورات السياسية داخل المجتمع المصري.

طرأت في تلك الفترة عدة متغيرات داخل المجتمع المصري ساعدت على نمو الاهتمام المصري بالفكرة العربية يمكن إيجازها فيما يلي:-

أ- ظهور حركات إسلامية ذات اتجاه سلفي (الأخوان المسلمين ومصر الفتاة).

ب- تكوين صحف وروابط ومنظمات شعبية تعمل لخدمة التيار العربي في مصر مثل جمعية الشبان المسلمين ومجلة الرابطة العربية.

ج- تبني حزب الوفد لهذه الفكرة واهتمامه بقضية فلسطين.

وسنعالج كل عامل من هذه العوامل على حدة..

أولا: هناك عدة أسباب موضوعية مهدت لظهور بعض الحركات السلفية مثل حركة الأخوان المسلمين ومصر الفتاة في نهاية العشرينات وبداية

الثلاثينيات.. فلقد طرأت على المجتمع المصري خلال هذه الفترة تغييرات سياسية وفكرية واقتصادية وحضارية عميقة ومتنوعة، وقد كان لذلك انعكاسه على البنية الاجتماعية والسياسية والأنماط الفكرية وأساليب الحياة في مصر.

فمن الناحية السياسية بعد انتهاء ثورة 1919 بالفشل في تحقيق الاستقلال السياسي وخروج الطبقات الشعبية من هذه الثورة دون مكاسب على الإطلاق استأثرت الطبقة البورجوازية بجناحيها الزراعي، والصناعي التجاري ببعض المكاسب السياسية التي أتاحت لها فرصة النمو الاقتصادي والمشاركة السياسية في الحكم مع الاحتلال. وقد اتسمت هذه الفترة بالصراع بين أجنحة البورجوازية المصرية المختلفة حول السلطة وظلت آمال الجماهير في الاستقلال وتحقيق الديموقراطية السياسية رهينة هذا الصراع. وتعلقت الأبصار بالوفد خلال العشرينات ليقود المجتمع إلى هذه الغاية فلما تلكأ تحقيق هذين المطلبين بل وطرأت مزيد من المشاكل الاجتماعية التي لم تكن لها حلول واردة في برامج الوفد، ساعد ذلك على تحول كثير من الأنظار، يأسا من الأوضاع الراهنة وأملا في تلمس الحلول في أساليب أخرى، أو أهداف مغايرة. وقد اتسمت الفترة من أواخر العشرينات إلى الثلاثينات بالانقلابات الدستورية والصراعات التي تدور في دائرة شبه مغلقة بين الوفد وأعدائه، وبدا للبعض أن المؤسسات السياسية التي نجمت عن ثورة 1919 لا يظهر في الأفق أنها قادرة على تفريج أزمة المجتمع. وثار الشك حول قدرة الوفد على أحداث التغيرات المطلوبة. وانتكس تفاؤل العشرينات في نظر الكثيرين إلى تشاؤم وحيرة وخوف من أن يسير المستقبل على نفس المنوال[96].

إما من الناحية الفكرية فعلى الرغم من أن الشعب المصري كان يدين بالمذهب القومي الليبرالي كما ظهر واضحا في موقفه من ثورة 1919 والتفافه الكامل حول الوفد بكل ما يرمز إليه وخلو تطلعه إلى الاستقلال من آي مضمون إسلامي، فان هذا التخلي عن الإسلامية كفكرة سياسية أي كقومية ووطن وحكومة لم يترتب عليه مطلقا التخلي عنها كدين وتراث وحضارة وتقاليد، ومن ثم فقد كان من الطبيعي آن ينفتح قلبه لدعوة تخاطب هذه المعاني في نفسه، دعوة دينية تدعو لكتاب الله وسنة نبيه وتعمل لإعادة

مجد الإسلام والمسلمين[97]. بالإضافة إلى أن هذه الفترة شهدت هجوم البعثات البشرية الأوروبية ومحاولاتها التغلغل في المجتمع وإنشاء ركائز دينية تتبع الغرب في مصر وقد اقترن ذلك في أذهان البعض بحركة الفكر العلماني التي قادها المثقفون المصريون الذين احتكوا بالثقافة الغربية. ووضعت دعوة الأخوان المسلمين حركة الاستنارة الفكرية بجانب النشاط البشرى ودعت إلى النظر أتليها باعتبارها هجوما واحدا على الإسلام، واستقر ذلك في عواطف الكثيرين وانتصرت الدعوة على الإثارة دون محاولة للتوضيح تكشف أن حركة الاستنارة إنما هي موجهة بالضرورة ضد النشاط البشرى..

ومن الناحية الاقتصادية كان التطور الرأسمالي في مصر يتجه إلى تصفية الكثير من الحرفيين وأصحاب الدكاكين والتجار ويقذف بهم إلى صفوف العمال. وعندما أحس هؤلاء بان المستقبل في غير مصلحتهم يتجهون إلى الماضي يلتمسون منه العون. وبقدر ما ينغلق أفق المستقبل أمامهم بقدر ما ينمو الخيال ويستمد من الماضي مدينته الفاضلة. وكانت الدعوة السلفية هي ما يجذب هؤلاء بفكر غامض كالأحلام ظنوه مخرجا. فضلا عن أن اشتغال العمال المصريين في تلك الفترة في مؤسسات رأسمالية يسيطر على معظمها الأجانب آو اليهود ساعد غلى تغليف العلاقات الطبقية بمسوح دينية وأصبح الوضع في أذهان العمال بمثابة سيطرة غير المسلمين على الإسلام.

وفي غياب الفهم الصحيح للعلاقات الطبقية في المجتمع لا يبدو واضحا أفق التطور المستقبلي وتصبح صور الماضي هي الرصيد الوحيد للأمل في الخلاص[98].

من هنا وجدت الدعوة السلفية ممهدة والظروف ملائمة تماما سياسيا وفكريا واقتصاديا. ولقد نشأت حركة الأخوان المسلمين بمثابة رد فعل عنيف ضد الفشل السياسي والاجتماعي للنظام القومي الليبرالي. وقد قامت الجماعة في أواخر العشرينات بزعامة حسن أبنا باعتبارها حركة سياسية دينية مستلهمة التفسير الجاد للإسلام بصدد المسائل الاجتماعية والسياسية السياسية وكان الأخوان منذ بداية حركتهم يدعون إلى إصلاح ديني سلفي شبيه بما كان يدعو إليه رشيد رضا وان فاتوه في التركيز على

الأهمية الاجتماعية للقرآن والسنة، فلوحوا للفقراء بقرب عهد تحقيق العدالة والمساواة في نفس الوقت الذي طالبوا باستقلال مصر التام ولكن في إطار إسلامي أكثر منه مصري أو عربي. وقد قدم الأخوان المسلمون أنفسهم باعتبارهم بديلا لحكم السياسة العلمانيين، وبالتالي للنمط الأوروبي المستورد فيما يتعلق بالحكومة والمجتمع، وهو النمط الذي رفضوه جملة و تفصيلا بما في ذلك قيمه ونظمه.

ورغم ذلك فان جماعة الأخوان المسلمين لم توفر بدائل سياسية أو فكرية ملائمة، كما أنها عجزت عن طرح حلول موضوعية للمشاكل التي كانت تواجه المجتمع المصري آنذاك، بل لم تسع إلى فهم هذه المشاكل. وكان تأكيدها على أن القرآن أساس لقيام مدينة فاضلة إسلامية يقوم على العقيدة لا على الإثبات العقلي[99]. ومن الأسباب التي أدت إلى نجاح حركة الأخوان المسلمين في تلك الفترة جمود علماء الأزهر وتوقف نشاطهم فقد حدود مميتة من التفسيرات والشروح الشروح وبعدهم عن اهتمامات الجماهير الحقيقية، وعدم اهتمام الأحزاب السياسية القائمة بالمشكلات الاجتماعية التي كانت تطرح نفسها بإلحاح في ذلك الوقت.

وفي السنوات السبع السابقة على قيام الحرب العالمية الثانية خاض الأخوان ميادين النشاط الآتية: فقد نظموا التشكيلات شبه العسكرية، وهي التي يطلق عليها البناء اسم التشكيلات الكشفية والرياضية وأقاموا المحاضرات والدروس في الدور والمساجد وتأسيس درس الثلاثاء وأصدر الرسائل والمجلات مثل رسالة المرشد، ومجلة الأخوان المسلمين الأسبوعية، ومجلة النذير، وأنشئوا الشعب في القاهرة والأقاليم وفي الخارج، في السودان، وسوريا، ولبنان، وفلسطين، والمغرب. وأقاموا المؤتمرات الدورية في القاهرة، والأقاليم، وساهموا في الحركات الإسلامية كحركة مقاومة التبشير وحركة تشجيع التعليم الديني، وساندوا بكل قوتهم القضية الفلسطينية، وهي القضية التي كانت معبرا وجسرا عريضا لهم إلى الحياة السياسية والإرهابية[100].. وتقول كريستينا هاريس أن حسن البناء سنحت له في ثورة فلسطين 1936 فرصة للعمل والتوسع، وأكسبه تأييده للثورة عطف مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، وأتصل بحكام البلاد العربية والإسلامية وملوكها، وبدأ يهاجم السياسة البريطانية. وقد اتفق هجوم

حسن ألبنا في تلك الفترة على الإنجليز مع الحملة النازية الفاشية ضد البريطانيين في الشرق الأوسط مما جعل البعض يعتقد أنه يعمل لحساب الإيطاليين والألمان في المنطقة(101).

وفي الواقع أن ألبنا قد أبدى إعجابه بهتلر وموسوليني منذ وقت مبكر جدا من حركته أي في عام 1933. فقد وصفها بأنها «قادة النهضات الحديثة في أوروبا» وأشاد بالاتفاقات التي عقداها مع الفاتيكان قائلا أنها تدل على انهما لا يحاربان الأديان والعقائد بل هما على النقيض من ذلك يؤيدانها ويثبتانها في نفوس الآمة. ودعا أولئك الذين لا يزالون غارقين في سكرتهم هائمين على أوروبا اللاتينية أن يفيقوا من هذه السكرة ويفتحوا أعينهم على أوروبا الحديثة الفاتيكانية(102).

وقد تكون حزب مصر الفتاة في هذه الفترة سنة 1933 وكان أول تنظيم سياسي مصري يضع في برنامجه هدف التحالف مع الدول العربية(103). وقد نجح زعيمه أحمد حسين في توثيق علاقاته مع بعض الوطنيين الفلسطينيين المقيمين في مصر وبشكل خاص مع محمد على الطاهر صاحب مجلة الشورى. وعندما أصدر مصر الفتاة صحيفته عام 1938 التي حملت اسم الحزب نفسه فتح صفحاتها لمحمد علي الطاهر خاصة بعد أن أوقفت السلطات البريطانية صحيفة الشورى(103).

وكان هناك أوجه تشابه بين حركة مصر الفتاة التي نشأت بمشروع القرش مستهدفة السعي لبناء الاقتصاد الوطني (بأسلوب غير علمي) بجمع التبرعات ومقاطعة البضائع الأجنبية، وبين حركة الشباب العربي الفلسطيني الذي عقد مؤتمره الأول في ديسمبر. 1932 وبحث تشجيع المصنوعات الوطنية، ومشروع صندوق الأمة وتنشيط الحركة الكشفية ودعا للوحدة العربية والذي طالب في مؤتمره الثاني سنة1935 بأن تقوم نهضة الشباب على أساس (الإخلاص لله والوطن)(104)، وهو شعار شبيه بشعار مصر الفتاة. كما دعا لتكوين جبهة وطنية واحدة من الأحزاب على نحو ما فعلت حركة مصر الفتاة في مصر وقتها.

وتتفق جماعة الأخوان المسلمين وجماعة مصر الفتاة في الملامح البارزة. فكلتا الحركتين تتخذ تنظيمات شبه عسكرية، وتعادي النظم الديموقراطية الليبرالية، وتتفق في اتخاذ الدين قاعدة أساسية لدعوتها(105).

وبالنسبة للإخوان المسلمين فقد آمنوا بالعروبة (آمنوا بها كرابطة حضارية وليس قومية) وآمنوا بالوحدة كخطوة أولى وأساسية نحو الوحدة الإسلامية. أي إن الفكرة العربية لديهم كانت تدور في إطار الوطن الإسلامي و فكرة الجامعة الإسلامية ووحدة الأمة الإسلامية وما أطلق عليه حسن ألبنا اسم «قومية الإسلام»[106]. وقد جاء في المبدأ الخامس من تعاليمهم إن من بين أهدافهم، تحرير مصر والعالم العربي والعلم الإسلامي بأسره، وطرد الحكم الأجنبي منه وتأييد الوحدة العربية تأييد كاملا والسير بها نحو الجامعة الإسلامية.. إذ إن الأخوان يعتبرون العالم الإسلامي من ضمنه العالم العربي، وحدة لا تتجزأ، وان آي اعتداء على قسم منه هو اعتداء على باقي الأقسام، وان من واجب المسلمين في سائر ديارهم مد يد العون لبعضهم بعضا. وقد دعا ألبنا إلى القومية العربية في مواجهة القومية المصرية، ولذلك كان الدين أهم مقومات القومية العربية فيما نظر الأخوان المسلمين. وقد كتب منظرو الأخوان وفي مقدمتهم حسن ألبنا نفسه أبحاثا كثيرة في تأييد الفكرة العربية، وتحديد موقف الأخوان منها. ويعتبر المقال التالي تجسيدا حيا لرؤية الأخوان المسلمين للوحدة العربية وعنوانه «وحدتنا الكاملة»، يقول فيه حسن ألبنا مؤسس الأخوان المسلمين ومرشدهم العام: «هذا الوطن العربي الممتد من الخليج الفارسي إلى طنجة على سعة أقطاره وإفساح مداه وحدة جغرافية لا تفصل بينها حواجز طبيعية.. وهو كذلك وحدة روحية بسريان الإسلام في عنق أبنائه جميعا فالمسلمون منهم يقدسون الإسلام كعقيدة ودين وغير المسلمين يعتزون به كشريعة قومية عادلة.. وهذا الوطن وحدة لغوية بسريان لغة العرب في أبنائه وفشوها بينهم تقدسها المحاريب في الصلوات ويخلدها كتاب الله وآيات بينات.. وهو وحدة فكرية ثقافية بما إنه منبع الفيض الروحي في العالم كله، ومصدر الفلسفات ومهبط الوحي ومهد الشرائع والديانات. وهو وحدة اجتماعية تتشابه العادات والتقاليد فيه تشابها يكاد يكون تاما في شعوبه وسكانه وتؤلف بين أبناء هذا الوطن بعد هذا كله المصالح العملية المشتركة ولا شك أن كل شعب من شعوبه يدرك الفوائد العظيمة الجليلة التي تعود عليه بعودته إلى هذه الوحدة، وعودتها إليه وبخاصة في هذا الزمن الذي لا تعيش فيه آلا الأمم المتجمعة والشعوب الموحدة المتكتلة[107].

وقد اتفق الأخوان المسلمون وجماعة مصر الفتاة في الاهتمام بالقضية الفلسطينية. ولكن بينها نبع اهتمام الأخوان من إحساس عميق بحق العروبة ورابطة الإسلام، فان اهتمام مصر الفتاة كان بحركة دافع عنصري مبعثه كراهية اليهود. ولذلك لم يكن حزب مصر الفتاة يفرق بين الصهيونية واليهودية بل كان يهاجم اليهود في عنف ويدعو لمقاطعتهم على صفحات جريدته.

ثانيا: أما العامل الثاني في نمو الاهتمام المصري بالفكرة العربية فهو تكوين روابط ومنظمات شعبية تعمل لخدمة التيار العربي في مصر، وأبرز هذه التنظيمات وأقدمها جمعية الشبان المسلمين التي أسسها الدكتور عبد الحميد سعيد أحد أعضاء الحزب الوطني في سنة 1927. وكان الدافع إلى إنشائها النشاط التبشيري الذي استفز مشاعر المسلمين في مصر في نهاية العشرينات بالإضافة إلى حوادث الخروج عن الدين، وحوادث نقد الإسلام في محاضرات بعض المبشرين وكتبهم مما كان له وقع عنيف، ثم إعدام عمر المختار في ليبيا وخضوع المغرب لهجمة فرنسية دينية[109]، كل ذلك خلق المناخ الملائم للبحث عن كيان يربط بين هذه البلاد تحت راية الإسلام. وكان الحزب الوطني الذي قاد الحركة الوطنية قبل الحرب العالمية الأولى واصطبغ الفكر السياسي لبعض زعمائه بالفكرة الإسلامية، والذي وقف في صفوف المعارضة الوطنية بعد ثورة 1919 كان أكثر استجابة لهذا الموقف. وفي نوفمبر 1927 شرع في إنشاء جماعة للشبان اختلف على وصفهم بالمصريين أو المسلمين وفضل المؤسسون الاسم الثاني باعتبار أن الإسلام جزء من الماضي الوطني ومن التكوين الحاضر للشرق، ورغبة في أن تمتد الحركة خارج مصر إلى الشرق. وخرجت جمعية الشبان المسلمين إلى الوجود وقد لاقت إقبالا لدى شباب مصر المسلم ثم انتشرت دعوتها بين الشباب المسلم خارج مصر. وأصبح للجمعية في العام التالي فروع في فلسطين وسوريا والعراق. وبدأت في فلسطين بجمعيات يافا والقدس وحيفا ثم زادت جمعياتها إلى عشرين جمعية في أوائل الثلاثينيات[110]. ومع أن تلك الفروع لم تكن موحدة فإنها كانت تتعاون فيما بينها وتتبادل الرأي في المناسبات. وكثيرا ما عقدت المؤتمرات المشتركة وكان شبابها يتبادل الزيارات بين بلد وآخر ويتبادل المنشورات والبيانات.

ورغم نشأة الجمعية ذات الصبغة الطائفية الثقافية الاجتماعية وخلو مبادئها من أي نص سياسي، فان هذا لم يمنعها من أن تهتم بقضايا العرب السياسية وتسهم في معالجتها، ويمكننا ملاحظة ذلك بوجه خاص في قضية فلسطين. فقد اهتم الشباب بوضع العرب في فلسطين منذ السنة الثانية لتأسيس منظمتهم. وقرروا في المؤتمر العام الذي عقدوه في يوليو 1930 الدفاع عن حق العرب في حائط البراق. ورغم انهم تحركوا للدفاع عن تلك القضية بدافع إسلامي لا عربي فقد ساهموا في تنبيه الرأي العام المصري إلى خطورة الوضع في فلسطين. كذلك ساهمت جمعية الشبان المسلمين في تعبئة الرأي العام المصري لمساندة القضايا العربية المطروحة آنذاك أبرزها الحملة التي قامت بها للدفاع عن المغرب سنة 1930. وكان الفرنسيون قد ساروا شوطا بعيدا في سياستهم لمحو عروبة المغرب عن طريق إحياء ثقافة البربر، فاحتجت الجمعية على هذه المحاولات وأرسلت عدة مذكرات إلى عصبة الأمم والدول المختلفة المعنية بالأمر. كما طالبت الحكومة المصرية بالتدخل رسميا والسعي لدى فرنسا لإيقاف تنفيذ سياستها. وقد حرصت جمعية الشبان المسلمين على استثمار الأحداث التي مر بها العالم العربي في ذلك الحين للدعاية لصالح الفكرة العربية ولم يمنعها أيمانها بوجوب قوية الروابط بين المسلمين كما جاء في مواثيقها من العمل على تقوية الروابط بين العرب، وكانت أول مطالبة صريحة لها بالوحدة العربية سنة 1933 في المهرجان الكبير الذي أقامته في ذكرى معركة حطين[111].

ومن المؤسسات العربية الأخرى في مصر (النادي الشرقي) الذي تأسس حوالي لسنة 1922. وكان معظم أعضائه من السوريين المقيمين في مصر، لذلك لم يعش طويلا ولم تكن صلته بالحياة المصرية وثيقة.

كذلك شهدت هذه الفترة صدور صحف تعمل للوحدة العربية مثل مجلة (الرابطة العربية) التي أصدرها أمين سعيد في مايو 1936 وكان يهدف إلى أن تصبح صلة وصل بين مصر والأقطار العربية تحمل إليها ما يجب أن تطلع عليه من أخبار تلك الأقطار وتحولها السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وتعالج قضايا العالم العربي وترفع صوته وتدافع عن مصالحه[112].

ثالثا: أما العامل الثالث الذي ساعد على نمو التيار العربي في مصر في الثلاثينيات فهو تبني حزب الوفد للفكرة العربية واهتمامه بالقضية الفلسطينية. وقد كان موقع حزب الوفد على راس الحركة الوطنية المصرية وجهاده ضد الاستعمار يزيده مع الوقت قربا من حركات التحرر بشكل عام والحركات الوطنية في العالم العربي بوجه خاص. وقد ساعدت قاعدته الشعبية المريضة على سرعة الاستجابة لمشاعر الجماهير المتعاطفة مع القضية الفلسطينية وخصوصا بعد وقوع حادث البراق 1929. وقد حضر الوفد المؤتمر الإسلامي العام الذي انعقد بالقدس 1931 للبحث في إنقاذ فلسطين. وقد اجتمع المندوبون العرب أثناء انعقاده وحدهم وقرروا الدعوة إلى مؤتمر عربي قومي لم يتيسر عقده[113]. وقد ألقى عبد الرحمن عزام ممثل الوفد رسالة مصطفى النحاس إلى المؤتمر باسم مصر والوفد، كما انتخب ممثل الوفد في عضوية اللجنة التنفيذية والأمانة العامة للمؤتمر، وكان ابرز القرارات التي اتخذها المؤتمر الدعوة إلى توحيد البلاد العربية، واستنكار تجزئة فلسطين، وتأسيس مصرف عربي لمنع بيع الأراضي إلى اليهود، وإنشاء جامعة عربية بالقدس[114]، وكان من أهم ما أسفر عنه هذا المؤتمر اقتراب حزب الوفد المصري من القضايا العربية ومشاركته في بحثها وفي الدعوة لحلها.

وفي عام 1931 زار مكرم عبيد في رحلة صيفية سوريا ولبنان وفلسطين، وتحدث في ذلك الحين عن الوحدة العربية، وأكد عروبة المصريين وعزز رأيه ببعض الأسانيد التاريخية (لان المصريين جاءوا من آسيا، وهم أدنى إلى العرب منذ القدم من حيث اللون والخصائص السامية والقومية)[115].

ويشير الدكتور أنيس صايغ إلى خطب مكرم عبيد في بيروت ودمشق وشتورة والقدس وعكا ويافا ويقول أن من يطالع نصوصها الكاملة حسبما سجلها مراسلو الصحف آنذاك يعجب لبراعة صاحبها في مهاجمة الآراء الفرعونية الخيالية ومهاجمة أصحابها من مسلمين ومن أقباط، ثم يعجب لبراعته في تحليل عروبة مصر وفي تعقب التراث العربي في مصر إلى أقدم العهود[116].

وفي عام 1936 وعلى يد الوفد انتقل الاهتمام بقضية فلسطين من الصعيد الشعبي إلى الصعيد الرسمي. فقد نشبت الثورة الفلسطينية الكبرى

في أبريل 1936 بينها كانت المفاوضات المصرية البريطانية تجري لحل القضية المصرية. وقد عقد النحاس باشا مع المستر أيدن جلسة خاصة ناقش فيها المسألة الفلسطينية، وبين له أن مشروع التقسيم لا يمكن أن يكون حلا مرضيا كما أوضح أن (موطن الحرج في موقف الأمم المجاورة لفلسطين هو أنها لا يمكن أن تغفل عن المحنة التي يعانيها القطر الشقيق[117]) ثم ترك النحاس باشا للصحف المصرية الحرية في نشر أخبار الثورة الفلسطينية والإشادة ببطولات الفلسطينيين وإبراز تعاطف الشعب المصري ومشاركته لهم.

مراجع وهوامش

(1) أنيس صايغ - الفكرة العربية في مصر، بيروت 1957 ص 117.
(2) محمد عمارة - الأعمال الكاملة للأفغاني - دار الكاتب العربي - القاهرة 1968 ص 34.
(3) د. أحمد سو يلم العربي-المجتمع العربي وتطوراته الاجتماعية والسياسية - آلا نجلو - القاهرة 1960 - 1966 - ص207.
(4) العروة الوثقى مجموعة مقالات وأخبار. المكتبة الأهلية-القاهرة 1927.
(5) ساطع الحصري-ما هي القومية ص 258 نقلا عن محمد عمارة العروبة في العصر الحديث-دار الكتب العربي-القاهرة 1967.
(6) عبد العظيم رمضان-تطور الحركة الوطنية 1918- 1936- دار الكاتب العربي-القاهرة 1972- ص 36.
(7) د. عبد العظيم رمضان-تطور الحركة الوطنية 1937- 1948- الوطن العربي-بيروت-1974- ص 284.
(8) د. يونان رزق-الحياة الحزبية في مصر 1882- 1914- القاهرة 1972- ص 17.
(9) د. احمد عبد الرحيم مصطفى-تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة-القاهرة 1974- ص 72.
(10) المصدر السابق.
(11) عبد العظيم رمضان-الحركة الوطنية من 1937- 1948- ص 285.
(12) عبد الرحيم مصطفى-مصدر سابق ص 78.
(13) عبد العظيم رمضان-الحركة الوطنية 1927- 1948- ص 186.
(14) المنار الجزء 3 مجلد 9 ص 151- 152- 1916.
(14) م-مجلد العصور يوليو 1928.
(15) المصدر السابق.
(16) د. حسني المخربوطلي-القومية العربية من الفجر إلى الظهر ص 159- نقلا-عن-محمود فياض.
الصحافة الأدبية في مصر فترة ما بين المحاربين رسالة دكتوراه غير منشورة ص 232.
(17) الوقائع المصرية 19 ديسمبر 1914.
(18) المعرفة أكتوبر 1931.
(19) السياسة الأسبوعية العدد الأول 30 اكتوبر1922.
(20) رشيد رضا-الأمام المجاهد-ص 129 سلسلة أعلام العرب 32.
(21) الفتح العدوان، 214، 215.
(22) محمود فياض-الصحافة الأدبية في مصر فترة ما بين الحربين.
رسالة دكتوراه غير منشورة-ص 114.
(23) د. أنيس صايغ-الفكرة العربية في مصر-بيروت 1957- ص87.

(24) د. عبد الرحمن البراز-بحوث القومية العربية-بيروت 58- ص 218.
(25) د. أنيس صايغ-مصدر.
(26) صلاح عيسى-الثورة العربية-القاهرة 1972 ص 213.
(27) د. عبد الرحيم مصطفى-تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة-معهد الدراسات العربية-القاهرة 1973- ص 47.
(28) المصدر السابق.
(29) أنيس صايغ-مصدر سابق.
(30) د. عبد الرحيم مصطفى-مصدر سابق.
(31) صدرت طبعته الأولى سنة 1937.
(32) صدر سنة 1953.
(33) محمود فياض-مصدر سابق.
(34) د. أنيس صايغ-مصدر سابق.
(35) المقتطف-تراث مصر القديمة-مقال للأستاذ حسين مؤنس. سبتمبر 1939- ص 3.
(36) المقتطف مارس 1926.
(37) أنور الجندي-الصحافة السياسية في مصر فترة ما بين الحربين-القاهرة 1962- أنيس صايغ-مصدر سابق.
(38) أنيس صايغ-مصدر سابق.
(39) احمد طربين-الوحدة العربية 1916- 1945- القاهرة 1968
(40) محمد عوض محمد-نهر النيل-القاهرة 1954 ص 138.
(41) د. عبد الرحيم مصطفى-تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة-معهد الدراسات العربية-القاهرة 1973- ص 86.
(42) المصدر السابق.
(43) د. محمد أنيس ورجب حراز-التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث-النهضة العربية-القاهرة 1972- ص 108.
(44) المصدر السابق.
(45) ذوقان قرقوط-تطور الفكرة العربية في مصر-رسالة ماجستير 1971- جامعة القاهرة-ص 122.
(46) المصدر السابق.
(47) محمد عمارة-العروبة في العصر الحديث-دار الكاتب العربي القاهرة 1967 ص 158.
(48) جاكوب لانداو-الحياة النيابية والأحزاب في مصر 1866- 1952 ترجمة سامي الليثي-مكتبة مد بولي-القاهرة 1974- ص 82.
(49) صلاح عيسى - مصدر سابق
(50) محمد عمارة مصدر سابق.
(51) صلاح عيسى مصدر سابق.
(52) عبد العظيم رمضان-تطور الحركة الوطنية في مصر من 1937- 1948.
الجزء الثاني-الوطن العربي-بيروت 1973 ص 333.
(53) المصدر السابق.

(55) لطفي السيد-تأملات في الفلسفة والسياسة والاجتماع نقلا عن محمد عمارة. مصدر سابق.
(56) د.حازم نسيبة.
القومية العربية (فكرتها-نشأتها-تطورها) بيروت 1959- ص 160.
(57) أنيس وحراز مصدر سابق.
(58) المصدر السابق.
(59) المصدر السابق.
(60) عبد العظيم رمضان مصدر سابق.
(61) د. أنيس صايغ-الفكرة العربية في مصر-بيروت 1957 ص 89.
(62) المصدر السابق.
(63) محمد أنيس وحراز مصدر سابق.
(64) المصدر السابق.
(65) أنيس صايغ مصدر سابق.
(66) الأستاذ-السنة الأولى 2 يناير 1893.
(67) أنيس صايغ مرجع سابق.
(68) محمد أنيس الجذور التاريخية لثورة يوليو ص 96.
(69) عبد القادر ياسين بحث عن موقف الشيوعيين المصريين من القضية الفلسطينية. غير منشور.
(70) عبد الرحيم مصطفى مصدر سابق.
(71) أنيس صايغ مصدر سابق.
(72) عبد العظيم رمضان مصدر سابق.
(73) المصدر السابق.
(74) الرابطة الشرقية العدد الأول 15 أكتوبر 1928.
(75) المصدر السابق.
(76) عبد العظيم رمضان ص 338.
(77) محمد حسين هيكل مذكرات جـ 1 ص 104.
(78) المصدر السابق.
(79) ملحق السياسة الأدبي 14 أكتوبر 1932- مقال بعنوان (الفكرة الشرقية).
(80) ملحق السياسة الأدبي 14 أكتوبر 1932- مقال لعبد الوهاب عزام (واجب الشرقيين اليوم).
(81) أنيس صايغ مصدر سابق.
(82) الرابطة العربية: 2 فبراير 1938 ص 18.
(83) ساطع الحصري: محاضرات في نشوء الفكرة القومية نقلا عن محمد أنيس ورجب حراز- التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث-ص 313.
(84) عبد العظيم رمضان: الحركة الوطنية في مصر من 1937- 1948 الوطن العربي-بيروت- ص344.
(85) عبد القادر ياسين: بحث مصر والقضية الفلسطينية. غير منشور ص 9.
(86) نوقان قرقوط: التطور والفكرة العربية في مصر-ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة

1971- ص 228.

(87) عبد العظيم رمضان: الحركة الوطنية من 1937-1948 ص 345

(88) ذوقان قرقوط: مصدر سابق ص 230.

(89) عيسى السفرى: فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية-الجزء الأول.

(90) طارق البشرى: الحركة السياسية في مصر من 1945- 1952.

ص 122- الكاتب العربي-القاهرة 1972 ص 137.

(91) محمد علي الطاهر: ظلام السجون-القاهرة 1938.

(92) السياسة الأسبوعية: 7 سبتمبر 1929.

(93) السياسة الأسبوعية: 28 سبتمبر 1929.

(94) البلاغ : 28 أغسطس 1929.

(95) السياسة اليومية: 5 أكتوبر 1930.

(96) طارق البشرى: مصدر سابق. محمد أنيس وحراز ص 194.

(97) عبد العظيم رمضان: مصدر سابق.

(98) طارق البشرى: مصدر سابق.

(99) د. عبد الرحيم مصطفى: تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة-القاهرة 1973.

(100) حسن ألبنا: مذكرات الدعوة الداعية ص 144- 140.

د. اسحق الحسيني: الأخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة ص 22.

(101) Christina Harris: Nationalism and Revolution in Egypt. London, 1986. P. 182.

(102) جريدة الأخوان المسلمين (جمادى الأولى 1352 (1933)

(103) أحمد حسين: أيماني-الطبعة الثانية / القاهرة 1971 ص 66.

(104) عيسى السفري: فلسطين بين الانتداب والصهيونية-الجزء ص 195.

(105) عبد العظيم رمضان: مصدر سابق ص 312.

(106) مجلة الأخوان المسلمين: في 8 ذو القعدة 1352 هـ مقال لحسن ألبنا-بعنوان (قومية الإسلام).

(107) مجلة الأخوان المسلمين: 22 ذي القعدة 1362 هـ.

(108) حسن البنا: مذكرة الدعوة والداعية - ص 222.

(109) H. Gibb : Within Islam - London. 1951, P. 121

(110) Ibid: PP. 106 - 109.

(111) د. أنيس صايغ: الفكرة العربية في مصر ص 198.

(112) مجلة الرابطة العربية: العقد الأول 27 مايو 1936.

(113) عبد العظيم رمضان: الحركة الوطنية 1937- 1948 ص 352.

(114) . Palestine: A study of Jewish... op. cit. P. 76L

(115) الهلال أبريل 1939.

(116) أنيس صايغ: مصدر سابق 173.

(117) المصور: 30 أكتوبر 1936.

2 القوى السياسية في مصر وقضية فلسطين

١ - الحركة الوطنية المصرية والقضية الفلسطينية

لقد لعبت القضية الفلسطينية دورا أساسيا في تطوير وتعميق الحس العربي لدى المصريين منذ نشوء هذه القضية في أعقاب الحرب العالمية الأولى. كما أن هذه القضية بتطوراتها والملابسات التي صاحبتها وصراعاتها المعقدة ضد الاستعمار الصهيوني البريطاني، كانت ميدانا رئيسيا أدركت من خلاله القوى الوطنية وعلى الأخص الحركة الوطنية المصرية العلاقة العضوية التي تربط حركات التحرر الوطني في المنطقة العربية، كما أدركت أن وحدة الجبهة الاستعمارية التي تقف هذه القوى في مواجهتها تحتم على هذه القوى ضرورة التوحد والتنسيق والتكامل إزاء العدو الواحد، وقد تحققت هذه النتيجة عبر طريق طويل من التخبطات ومحاولات عديدة من جانب الحركات الوطنية العربية سعيا وراء تلمس الطريق الصحيح، وقد حدث ذلك بفضل كفاح جيل كامل ونتيجة نشوب حرب عالمية ثانية وانتشار واسع للفكر

اشتراكي. وقد تمخض النضال الوطني في مصر بعد الحرب العالمية الأولى عن صدور تصريح 28 فبراير 1922 الذي أعلن انتهاء الحماية البريطانية والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة (رغم التحفظات الأربعة). وتبلورت الحركة الوطنية المصرية في نطاقها المحلي مع المطالبة بوحدة مصر والسودان، وكان موقفها من البلاد العربية وفلسطين بوجه عام موقف التعاطف وتبادل الأصداء فقط ولم يصل إلى المشاركة آو التضامن الفعلي سوى في نهاية الثلاثينيات، وكان هذا يرجع إلى أسباب موضوعية وأخرى ذاتية يمكننا تلخيصها فيما يلي:

الأسباب الموضوعي:

1- التناقض بين الحركتين الوطنيتين في مصر والشام: فقد عمد الاحتلال البريطاني إلى خلق هذا التناقض عندما جعل قضية مصر تختلف موضوعيا عن قضية الشرق العربي، فقد أدى التناقض البريطاني العثماني إلى التعارض بين الحركات الوطنية بينما كانت الحركة الوطنية في مصر تكافح السيطرة البريطانية وتتطلع إلى مساعدة الدولة العثمانية، كانت الشعوب العربية في المشرق تكافح في سبيل تحررها من السيطرة العثمانية وتتطلع إلى تأييد الدول الأوروبية. وعرفت مصر اللاجئين إليها من أحرار سوريا ممن ينظرون إلى بريطانيا غير نظرة مصر إليها. كما عرفت الكثيرين من الشوام الذين أتى بهم الإنجليز لمعاونتهم في حكم مصر، مما خلق مزيدا من الحواجز بين مصر والمشرق العربي. وقد حسمت الحرب العالمية الأولى الموقف بهزيمة تركيا وتقسيم المنطقة وتكتل الاستعمار الأوروبي (الإنجليزي والفرنسي) إزاء حركة التحرر الوطني في المشرق العربي وأسفر هذا عن إعلان الحماية البريطانية على مصر وتقسيم سوريا والعراق بين بريطانيا وفرنسا وصدور وعد بلفور بإنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين. ولكن انتهاء التناقض الموضوعي بين الحركتين الوطنيتين نتيجة هزيمة تركيا في الحرب لم يؤد إلى الترابط آو التوحد بين الحركة الوطنية في مصر وفي فلسطين. إذ أن تقسيم المنطقة بين إنجلترا وفرنسا أدى إلى نشوء حركات وطنية محلية مرتبطة بالتركيب الاجتماعي والاقتصادي لكل قطر على حدة. وظلت المؤسسات السياسية التي تجابهها الحركة الوطنية

كالدولة وسلطة الاحتلال والعمل من خلالها كالأحزاب محددة بالإطار المحلي. وقد ساعد هذا على تكريس العزلة والتباعد بين الحركة الوطنية في مصر وفي فلسطين.

2- أن بريطانيا حين أصدرت وعد بلفور أخذت في الاعتبار إمكانية استخدام الصهيونية في مواجهة حركة التحرر الوطني في المشرق العربي وفي مصر بالذات إذ تشكل فلسطين كما يقول كيرزون (خط الدفاع الاستراتيجي بالنسبة لمصر وانه إذا وجب أن تدافع عن القناة في المستقبل وهي الجهة الضعيفة في مصر فسيتم ذلك من جهة فلسطين[1])، ولا شك أن هذا الضمان كان موجها إلى الحركتين الوطنيتين معا مستهدفا القضاء على احتمال توحدهما.

وقد لعب الشعور بخطر الصهيونية دورا هاما في تعميق الانقسام والتباعد بين الحركات الوطنية في العالم العربي، فضلا عن الأوضاع التي فرضتها القوى الاستعمارية في المنطقة. وقد صور ساطع الحصري في كتابه (يوم ميسلون) هذه الحقيقة عند وصفه الاتجاهات الإقليمية في الحركة القومية العربية الواحدة كتب يقول: (فهذا فلسطيني يعتبر الصهيونية أول ما يجب أن يهتم به من المشاكل وذاك سوري يرى في أطماع فرنسا اكبر الأخطار التي تهدد القضية العربية وذلك عراقي يقول بوجوب الثورة ضد الإنجليز قبل أي شيء[2]).

وفي يوليو 1920 حسم احتلال فرنسا لسوريا الشمالية وتصفية حكومة فيصل العربي وتوطيد التقسيم الاستعماري بين فرنسا التي احتلت سوريا ولبنان وبريطانيا التي احتلت العراق وفلسطين كل هذا حسم الموقف بالنسبة للحركة العربية ودفعها إلى وجهة إقليمية.

3- استخدام بريطانيا للصهيونية باعتبارها دعوة عنصرية كركيزة لإثارة الطائفية في فلسطين والدول العربية المجاورة بأن تكون قاعدة بشرية تخلق ما تستطيع خلقه من ردود الفعل الدينية في هذه البلاد، بما يحرف الحركة الوطنية عن اتجاهها السياسي والاجتماعي الصحيح إلى مسارات عنصرية وطائفية. وقد حاولت بريطانيا اتباع هذه السياسة في مصر بان ضمنت تصريح 28 فبراير تحفظات يتعلق بعضها بحقها في حماية الاقليات كمحاولة لخلق ركيزة طائفية لها في الداخل. كما حاولت بعثات التبشر

خلق اقليات دينية لضرب الحركة الوطنية وإجبارها على اتخاذ ردود فعل دينية. ولكن استطاعت حركة الوفد في مصر إن تحبط سياسة إثارة الطائفية بين المسلمين والقبط وان تحبط أيضا محاولات البعثات التبشيرية في هذا الصدد، ولكن جهود الوفد اقتصرت على النطاق المحلي فقط نتيجة لقصور أدراك الوفد في ذلك الحين لأهمية البعد العربي وارتباطه بالحركة الوطنية المصرية.

4- اختلاف طبيعة الصراع وأطرافه الرئيسيين في كل من مصر وفلسطين. ففي مصر كان الصراع أكثر وضوحا وتحديدا عنه في فلسطين. فقد كان صراعا بين احتلال بريطانيا العسكري وشعب يدافع عن حريته واستقلاله، وقد حدد هذا منذ البداية طبيعة الصراع وأساليب مواجهته. أما في فلسطين فقد كان على الشعب العربي أن يجابه شكلين من الاستعمار.. الاستعمار البريطاني والاستعمار الصهيوني، وكان أحدهما استعمارا سياسيا اقتصاديا عسكريا والثاني استعمارا استيطانيا. وقد حدد هذا كله طبيعة الصراع، فهو صدام بين الاستعمار السياسي العسكري الاستيطاني من جهة وبين إرادة التحرر والاستقلال والمحافظة على الوطن من جهة أخرى. ولقد فرضت طبيعة الجاليات الصهيونية أن يكون الصدام شاملا: فالجاليات الصهيونية في فلسطين ليست شعبا بالمعنى المتعارف عليه، بل هي موجات هجرة تدفعها أهداف سياسية واقتصادية واجتماعية. وفيما يتعلق بالأهداف السياسية فهي تختلف عن أية حالة أخرى في العالم، لاختلاف أهداف الهجرة الصهيونية والحركة الصهيونية عن آية هجرة أخرى[3].

وكانت هذه الطبيعة الشاملة للصدام بين المجتمع الصهيوني والمجتمع العربي وبين المطامع الصهيونية والحقوق العربية واضحة منذ البدء. وقد أشار تقرير اللجنة الملكية سنة 1937 إلى هذه الحقيقة محاولا توضيح طبيعة الصدام فأشار إلى (أن اللجنة كانت تتوقع أن تجد أمتين تتحاربان في نطاق واحد. فقد ثبت أن اندماج العرب واليهود معا آمر مستحيل حدوثه فالعرب يرون أن كل ما يمكن أن يصل إليه اليهود هو أن يتبوءوا المكان الذي تبوءوه في مصر العربية آو في أسبانيا العربية في السابق. أما اليهود فيرون أن العرب لا مكان لهم بينهم وان شأنهم معهم لن يختلف عن

شانهم مع الكنعانيين الذين كانوا يقيمون في أرض إسرائيل القديمة[4]).

5- اختلاف أساليب كل من الحركتين الوطنيتين المصرية والفلسطينية لمواجهة الخصم الاستعماري. ففيما يتعلق بمصر فقد بلورت الحركة الوطنية موقفها النضالي حول شعار الجلاء الذي ظل مطروحا منذ ظهور مصطفى كامل ومحمد فريد.. وبقي مطلب الجلاء بعد اشتعال ثورة 1919 كما استمر بعد تصريح 28 فبراير سنة 1922، مما ابرز مدى وعي الحركة الوطنية المصرية بمناورات الإنجليز. والواقع أن الشعب المصري لم تضلله كافة مناورات السياسة البريطانية من تصريح 28 فبراير 1922 إلى معاهدة 1936، ولم تنل منه أساليب القمع والعنف ولا حكم اليد الحديدية لمحمد محمود سنة 1928 ولا حكم إسماعيل صدقي 1930.. بل ظل مدركا أن عماد الاستعمار في مصر هو الاحتلال العسكري مهما كانت الحجج التي يبرر بها وجوده. أما الحركة الوطنية الفلسطينية فقد انتابتها في البداية موجة من الحيرة إلى أين توجه ضربتها.. إلى الحركة الصهيونية أم إلى البريطانيين آم إليهما معا. ومما ضاعف صعوبة الاختيار تداخل الاستعمار البريطاني والاستعمار الاستيطاني الصهيوني، و قد اختارت الحركة الوطنية الفلسطينية أسلوب مهاجمة معسكر واحد من معسكرات الخصم وليس الاشتباك مع قوى الخصم كلها. وكان تقدير الحركة الوطنية الفلسطينية أنها لا تستطيع مواجهة الاستعمار البريطاني ذلك الحين (العشرينات) وان الهدف المرحلي هو وقف الهجرة وإحباط وعد بلفور. ومن ثم اختارت ضربتها الرئيسية ضد الحركة الصهيونية محاولة أن تحيد السلطات البريطانية وان تجعل من بريطانيا حكما والحركة الصهيونية خصما. وقد ظل الآمر كذلك طوال العشرينات، ولم يتبلور موقف الحركة الوطنية الفلسطينية وتتمكن من تحديد عدوها الرئيسي سوى سنة 1931. وقد بلور هذا الاتجاه حزب الاستقلال العربي (1931-1933)، ومنذ ذلك الحين بدأت الحركة الوطنية توجه ضرباتها الرئيسية ضد حكومة الانتداب.

وفيما يتعلق بالحركة الوطنية المصرية فان قيادتها الممثلة في الوفد لم تستطع طوال العشرينات والثلاثينات أن تتفرغ لقضية الصراع ضد الإنجليز من أجل تحقيق الاستقلال، كما بدأت في ثورة 1919، إذ اضطر الوفد في تلك المرحلة في (الفترة ما بين الحربين العالميتين) إلى أن يخوض معركة

الدستور ضد القوى المنسلخة منه والتي وضعت نفسها في خدمة السراي أو الإنجليز، وكان الوفد باتباعه الأساليب المشروعة في الكفاح عاجزا عن تحقيق أية مكاسب وطنية أو ديمقراطية في معركته ضد السراي أو معركته ضد الإنجليز.

أما بالنسبة للحركة الوطنية الفلسطينية فقد اختلف أسلوب المواجهة بسبب وجود العنصر الصهيوني كجزء أساسي من عملية الصراع. فالطبيعة العدوانية العرقية استفزازية للحركة الصهيونية والتي تمثلت في تصريحات المسئولين في الحركة الصهيونية حول تحويل فلسطين إلى وطن قومي يهودي والإصرار على تدفق الهجرة بلا حدود علاوة على احتلال الأراضي وإجلاء الفلاحين العرب بالقوة، فضلا عن عمليات تسليح اليهود الحلال العمال اليهود محل العمال العرب. كل هذه العوامل ساعدت على تأجج الحركة الوطنية الفلسطينية ووحدتها. وقد اتخذ ذلك شكل انتفاضات شعبية أبرزها انتفاضة القدس سنة 1920 واضطرابات 1921 ثم أحداث البراق 1929 واضطرابات سنة 1933 وأخيرا ثورة 1936. والواقع إن الضغوط التي كانت تفرضها حكومة الانتداب البريطاني فضلا عن طبيعة الاستعمار الاستيطاني القائمة على احتلال الأرض، كل ذلك كان يدفع القيادة الفلسطينية الوطنية في فلسطين إلى اتخاذ مواقف راديكالية تتعارض في معظم الأحيان مع تكوينها الطبقي والاجتماعي الذي لم يكن يسمح لها باكر من تقديم الاحتجاجات وإرسال وفود إلى لندن لإقناع المسئولين فيها بعدالة القضية الفلسطينية.

الأسباب الذاتية:

وهناك أسباب ذاتية ساعدت على تباعد الحركتين الوطنيتين المصرية والفلسطينية وحالت دون التقائهما خلال العشرينات وحتى نهاية الثلاثينات تتلخص في:

أولا: التركيب الاجتماعي والطبقي للقيادة الوطنية في كل من مصر وفلسطين. فقد كانت قيادة الحركة الوطنية في مصر التي كان يمثلها حزب الوفد تتكون في البداية من البورجوازية الزراعية الكبيرة والبورجوازية التجارية والصناعية النامية ثم تعرضت لمجموعة من الانسلاخات كان أبرزها

سنة 1921 من جانب مجموعة كبار الملاك الزراعيين الذين ألفوا 1922 حزب الأحرار الدستوريين وهو الحزب الذي كانت إنجلترا تعتقد أنه يمثل التوازن بين السراي من ناحية والوفد من ناحية أخرى.

وهذا الحزب اقرب إلى مهادنة الإنجليز، ثم تلا ذلك انسلاخ آخر سنة 1932 من جانب المجموعة التي كانت تمثل بعض قطاعات الرأسمالية النامية. والانسلاخ الأخير كان سنة 1937 من جانب السعديين وهم يمثلون أصحاب المصالح الصناعية في المقام الأول. وقد أدت هذه الانسلاخات إلى اقتصار الوفد على الطبقة الوسطى مما ساعد على تقريب الفجوة بين قيادة الوفد وقواعده الجماهيرية. أما في فلسطين فقد تألفت الحركة الوطنية الممثلة في اللجنة التنفيذية العربية أساسا من كبار الملاك وأبناء العائلات الإقطاعية، أمثال عائلات الحسيني والنشاشيبي وعبد الهادي. وقد ضمت إلى جانب هؤلاء التجار وأصحاب المهن الحرة أمثال «الأطباء والمهندسين والمحامين».

ولم تعكس الحركة الوطنية الفلسطينية القوى الاجتماعية التي أضيرت من سياسة الاستعمار البريطاني والصهيونية.. ويرجع هذا إلى ضعف هذه الطبقات والفئات الاجتماعية على المستوى السياسي برغم أن العمال الفلسطينيين كانوا قد أقاموا أول منظمة نقابية لهم سنة 1925، ولكنها كانت محدودة الأثر واقتصر نشاطها على العمال في حيفا في البداية. وقد كانت البورجوازية الفلسطينية جنينة عند بداية الانتداب، وقد تطورت ببطء شديد بسبب المنافسة الصهيونية وسيطرة بريطانيا على الاقتصاد الفلسطيني. ولذلك لم تصل إلى مركز قيادي في الحركة الوطنية.

وقد لعبت سلطات الانتداب دورا هاما في ترتيب قواعد اللعبة السياسية وتوزيع رؤوس العائلات الإقطاعية على المناصب الهامة في الدولة فعينت آمين الحسيني مفتيا للقدس ورئيسا للمجلس الإسلامي سنة 1922 وعينت راغب النشاشيبي رئيسا لبلدية القدس.

وقامت حكومة الانتداب بإدارة الصراع بين العائلتين لصالح الانتداب والصهيونية، وقد اتخذ هذا الصراع في هذه المرحلة شكل صراع بين عناصر أقل مهادنة للإنجليز هم المجلسين (عائلة الحسيني وأنصارها) وعناصر أكثر مهادنة وهم المعارضون الذين تكتلوا حول عائلة النشاشيبي.

وقد دفعت الحركة الوطنية الفلسطينية ثمنا باهظا نتيجة هذا الصراع. فقد أدى هذا الصراع إلى استنزاف الحركة الوطنية وتوجيهها إلى معارك جانبية مما ساعد على تعميق العصبية العائلية، كما أدى إلى إقحام الدين كعامل أساسي في الصراع. وقد أضفى هذا طابعا سلبيا على الحركة الوطنية ككل. ومما قوى هذا الاتجاه الديني اعتماد الصهيونية على الدين اليهودي سواء في تركيبتها الأيديولوجية أو ممارستها اليومية حتى أن أحداث البراق اندلعت أساسا بسبب خلاف جوهري قومي ولكن ظاهره ديني.

وظلت السياسة البريطانية تعمل فلسطين طوال العشرينات على توجيه طاقات الفلسطينيين نحو اليهود وإثارة الخلافات الشخصية بين المجلسين والمعارضين وخلقت بعض الأحزاب المؤيدة لسياستها ودفعت أحزابا أخرى إلى أخذ مواقف معادية.

ولم يكن التكوين الفكري والسياسي للقيادة الوطنية الفلسطينية آنذاك يسمح لها بفهم ألاعيب الاستعمار البريطاني على حقيقتها.

كما أن ضعف ثورية هذه القيادة بسبب تركيبها الطبقي والاجتماعي جعلها طوال السنوات العشر الأولى من الانتداب تدعو إلى تحقيق أهدافها بالوسائل السلمية.

ثانيا: لقد ترتب على اختلاف التركيب الطبقي والاجتماعي لكل من الحركتين الوطنيتين المصرية والفلسطينية فروق هامة في مستوى النضج السياسي السياسة يضاف إلى ذلك قدم التجربة السياسية في مصر عنها في فلسطين ويرجع ذلك إلى احتكاك مصر المبكر بالفكر والحضارة الأوروبيين منذ الحملة الفرنسية في أواخر القرن 18 ثم تجربة الاستعمار البريطاني سنة 1882، بالإضافة إلى البعثات التعليمية التي اتجهت إلى أوروبا خلال القرن 19.

وأما بالنسبة لفلسطين فقد ظلت لعدة قرون ولاية عثمانية يسودها الجهل والتخلف وتحكمها القبلية والأسرية، ولم تزد تجربتها السياسية عن المجالس البلدية التي كانت تشترك في إدارة المدن، ومجلس «المبعوثان» الذي كان يضم عددا محدودا من عرب فلسطين يؤمنون بتبعيتهم المطلقة لتركيا، باعتبارها مركز الخلافة وحامية حمى الإسلام[5].

وقد ترتب على هذا العامل وهو عدم نضج عرب فلسطين سياسيا أن ظلوا طوال فترة الإدارة العسكرية والمدنية يحسنون الظن ببريطانيا يأملون في تحييدها المكانية كسبها إلى جانبهم في صراعهم ضد الصهيونية. ومن بعد أن عاشوا تجربة الانتداب البريطاني كاملة ولمسوا تشبث بريطانيا بسياستها التي أعلنتها في الكتاب الأبيض سنة 1922 والتي تنص على العمل على تسهيل إقامة الوطن القومي لليهود، حينئذ ومن بداية الثلاثينات أدركت الحركة الوطنية الفلسطينية أن كل المجهود التي بذلتها القناع الحكومة البريطانية بتنفيذ سياستها قد ذهبت سدى.

ثالثا: افتقاد الرؤية الشاملة لدى كل من الحركتين المصرية والفلسطينية للاستراتيجية البريطانية في المنطقة العربية. والواقع أن الحركة الوطنية المصرية لم تدرك أن الاحتلال البريطاني لمصر ليس مصدره فقط الرغبة في استغلال أرضها وقوة عملها ولكن أساسه أيضا السيطرة على شريان حيوي من شرايين المواصلات العالمية الذي يربط بين الغرب والشرق، وكان هذا هدفا سياسيا له من الأهمية ما يجعله مقصودا لذاته. ولم يكن من السهل أدراك جانبه الاقتصادي آلا بنظرة شاملة تستوعب ظروف المرحلة التاريخية عالميا ومحليا وعربيا. وقد ترتب على ذلك عدم أدراك العلاقة بين انتداب بريطانيا لفلسطين ووعد بلفور والوجود البريطاني في مصر وعلاقة ذلك كله بالاستراتيجية البريطانية ليس في المنطقة فحسب بل استراتيجية الاستعمار البريطاني ككل وعلاقة احتلال مصر والانتداب على فلسطين بمصالح بريطانيا في الهند وغيرها من بلاد الشرق. وقد أدى ذلك إلى استغراق كل حركة من الحركتين داخل تفاصيل واقعتا المحلي وافتقاد الرؤية الشاملة. وبالتالي افتقاد الخط السياسي الملائم للظرف التاريخي المطروح آنذاك.

واستخلاصا مما سبق.. وقبل أن ننتقل إلى مرحلة الثلاثينات التي شهدت تقاربا مصريا فلسطينيا على عدة مستويات شعبية ورسمية نود أن نورد ملاحظتين:

أولاهما: انه رغم التباعد والاختلاف بين ظروف المجتمع الفلسطيني والمجتمع المصري من حيث التركيب الاجتماعي والسياسي ونوعية الخطر الاستعماري الذي كان يتعرض له كل منهما، فقد لوحظ وجود سمات مشتركة

بين قيادة الحركة الوطنية في كل من مصر وفلسطين. فالوفد قيادة الوطنية المصرية كان يشبه في أوجه كثرة اللجنة التنفيذية العربية التي تولت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية طوال العشرينات إلى منتصف الثلاثينات من حيث أن كلا منهما كان يمثل تجمعا وطنيا أكثر منه حزبا بالمفهوم الأوروبي، بالإضافة إلى تشابه استراتيجية كل منهما في مواجهة الاستعمار البريطاني. فقد اعتمد الوسائل السلمية وأسلوب المفاوضات أملا في التوصل إلى تحقيق الاستقلال.

وقد أسفر ذلك عن الدوران في حلقة مفرغة انتهت بالفشل-فشل كل منهما في تحقيق الأهداف الوطنية.

وكما قام الاستعمار البريطاني بخلق ظروف الصراع والانقسام داخل الحركة الوطنية لفلسطين وظل يواصل إدارة الصراع بكفاءة بين جناحي الحركة الوطنية المجلسين والمعارضة بحيث احتل هذا الصراع المكانة الأولى وامتص طاقة ونشاط القيادات الوطنية. كذلك فعل الاستعمار نفس الشيء في الساحة المصرية مع اختلاف في التفاصيل إذ كان الصراع هنا يدور بين الأحرار الدستوريين والوفد حول المعركة الدستورية التي ظلت القضية الأولى طوال العشرينات وحتى منتصف الثلاثينات.

ثانيتهما: انه رغم التباعد بين الحركتين الوطنية المصرية والفلسطينية خلال العشرينات فان الصحافة الحزبية كانت تتابع القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني وتبدي تفهما عميقا لأبعاد الصراع الفلسطيني البريطاني الصهيوني. فقد عالجت قضايا الهجرة والأراضي والمؤتمرات الصهيونية والسياسية الانتدابية وهبة البراق 1929 بغزارة وتتبع واستمرارية تدعو للتأمل وذلك خلافا للمواقف الرسمية للأحزاب المصرية من القضية الفلسطينية خلال هذه المرحلة.

ويلاحظ أن صحافة الوفد التي كانت ممثلة في البلاغ وكوكب الشرق قد عبرت عن تضامنها مع الجناح المقابل لها في الحركة الوطنية الفلسطينية أي اللجنة التنفيذية العربية. وكذلك عبرت صحافة الأحرار الدستوريين ممثلة في صحيفة السياسة عن مساندتها للمعارضة (النشاشيبية).

أما صحافة القصر التي كانت ممثلة في «الاتحاد» فقد كانت تؤيد السياسة البريطانية في فلسطين وتدعو إلى التفاهم بين العرب واليهود.

مع نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات بدأت إمكانيات التقارب بين الحركتين الوطنيتين المصرية والفلسطينية نتيجة للتغيرات التي طرأت على الواقع العالي والواقع المحلي في كل من مصر وفلسطين-ويمكن رصد مؤشرات التقارب فيما يلي:

أولا: أدى انتعاش البورجوازية المصرية بعد صدور تصريح 28 فبراير سنة 1922 والذي أعطى مصر قسطا من استقلالها السياسي نمت في ظله البورجوازية المصرية وتطورت وبدأت تبحث عن أسواق جديدة وتبلور هذا في الزيارة التي قام بها سنة 1928 طلعت حرب مؤسس ومدير بنك مصر لأقطار المشرق العربي لبحث إمكانية فتح فروع لبنك مصر فيها. وقد كتب الدكتور هيكل بمناسبة زيارة طلعت حرب أليافا تلبية لدعوة من الغرفة التجارية هناك حيث اقترحوا على طلعت حرب ورفاقه إنشاء بنك مصري-فلسطيني برأسمال مشترك. ويعلق هيكل على ذلك بالأعراب عن أمله في آن يمتد التعاون الاقتصادي إلى الإنتاج المشترك بإنشاء شركات برأسمال مشترك وإدارة مشتركة من هذه البلدان(6).

وأشارت المقطم إلى الترحيب الذي قابلت به الأوساط الوطنية في فلسطين مشروع إنشاء فرع لبنك مصر هناك. إذ اعتبروه بمثابة إنقاذ وتفريج لأزماتهم نتيجة بيع أراضيهم لليهود بسبب ضيق ذات اليد. قالت (فإذا وجدوا مصرفا كالمصرف المصري الذي لا ترتاب في أنه سيكون رحيما بهم ناظرا إلى مصلحتهم غير معتمد الأضرار بهم فانهم يلجئون إليه ويستدينون منه ما يفرجون به ضيقتهم ويستثمرون به أرضهم(7)). وقد تبنت السياسة الأسبوعية لسان حال الأحرار الدستوريين هذا الاتجاه وبدأت منذ 1927 تكتب عدة مقالات عن أقطار المشرق العربي وكانت معظمها تدور حول العلاقات الاقتصادية بين مصر وفلسطين. وقد كتب محمود عزمي يطالب بإنشاء فروع لبنك مصر في القدس ويافا وحيفا وتيسير دخول الفلسطينيين إلى مصر من ناحية الجوازات وتأشيرات الدخول. وقد خصص مقالا كاملا عن دعوته لتوحيد التعامل النقدي بين مصر وجارتها الشرقية وخصوصا فلسطين(8).

ثانيا: صدى حوادث البراق 1929 في مصر:

لقد تلقى الاهتمام المصري بالقضية الفلسطينية دفعة قوية إلى الأمام

بسبب نشوب أحداث البراق 1929. فقد استفزت هذه الأحداث جماع المشاعر الوطنية والإسلامية والمشاعر العربية الغامضة لدى الشعب المصري.

وقد كان رد الفعل شاملا لدى مختلف الدوائر الدينية والقومية ونشطت جمعية الشبان المسلمين لجمع التبرعات لعرب فلسطين من ضحايا الثورة وإرسال برقيات الاحتجاج لعصبة الأمم والحكومة البريطانية، وعقدت في القاهرة 1930 مؤتمرا لجمعياتها بمصر وفلسطين بحث فيه وسائل دعم التضامن الإسلامي وإنشاء بنك إسلامي وجمعيات تعاونية محلية تحفظ أرض فلسطين لشعبها. وأوصت بإنشاء عصبة أمم إسلامية. وسافر إلى القدس كل من محمد علي علوبه واحمد زكي شيخ العروبة وعبد الحميد سعيد للدفاع عن ملكية العرب لحائط البراق أمام لجنة التحقيق الدولية(9).

وقد اتخذت نقابة المحامين المصرية قرارا بانتداب بعض أعضائها للدفاع عن المتهمين العرب في حوادث البراق، وتلقت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني بالقاهرة برقيات كثيرة من جميع مدن فلسطين رجا فيها مرسلوها من اللجنة أن تنوب عنهم في الأعراب عن شكرهم لنقابة المحامين والرابطة الشرقية(10). كما أرسل الأمير عمر طوسون برقية احتجاج إلى الحكومة البريطانية بصفته الرئيس الأعلى للجنة عمارة الحرم القدسي في الديار المصرية(11)، وقد علقت صحيفة الشورى على هذه البرقية قائلة: (إذا كان نداء المرحوم الزعيم سعد زغلول من أجل دمشق يعد أول صوت رفعته مصر لمصلحة جيرانها فان احتجاج سمو الأمير عمر من أجل فلسطين يعد الصوت الثاني بلا شك(12)).

ثالثا: اشتراك مصر في المؤتمرات التي عقدت في فلسطين في الثلاثينات لبحث تطورات القضية الفلسطينية وأخطار الهجرة وبيع الأراضي، مثل المؤتمر الإسلامي العام الذي انعقد بالقدس عام 1931. وقد ألقى عبد الرحمن عزام ممثل الوفد رسالة مصطفى النحاس إلى المؤتمر باسم مصر والوفد. كما انتخب ممثل الوفد في عضوية اللجنة التنفيذية والأمانة العامة للمؤتمر. وقد ألقى عزام خطبته في حشد يضم خمسين ألفا اجتمعوا في المسجد الأقصى. وقد أبعدت حكومة الانتداب في فلسطين عبد الرحمن عزام من أراضيها لأنه دعا في خطبته التي ألقاها في المؤتمر الإسلامي إلى مساندة الشعوب الإسلامية المضطهدة سواء في روسيا أو

في طرابلس الغرب. وهنا ثارت ثائرة إيطاليا وتدخلت لدى حكومة فلسطين من أجل إسكات عزام أولا وتفنيد أقواله ثانيا وقد استجابت حكومة فلسطين لطلب إيطاليا. وعلقت الصحف المصرية على هذا الموقف باستنكار شديد مشيرة إلى تضامن الدول الاستعمارية في مواجهة شعوب الشرق. وأبدت دهشتها من موقف حكومة فلسطين خصوصا وان الحكومة البريطانية في ذلك الوقت كانت تحتضن أحرار إيطاليا وخصوم النظام الفاشستي الذين تمتلئ بهم لندن ويعطون على تقويض أركان نظام الحكم في إيطاليا (فمن الغريب أن تبادر هذه الحكومة إلى أبعاد رجل ذي مكانة كبيرة في قومه مثل الأستاذ عبد الرحمن عزام لأنه ألقى خطبة عادية أظهر بها بعض العطف على شعب شرقي أنزلت به إيطاليا افظع المظالم[13]).

وقد نددت الصحف الوفدية بموقف الحكومة المصرية (حكومة صدقي باشا) في ذلك الوقت من الحادث لأنها لم تبد أية احتجاج على موقف حكومة الانتداب في فلسطين. وعلقت البلاغ على ذلك (بان الخصومة السياسية أعمتها عن واجب قومي لا شأن له في النزاع السياسي الداخلي[14]).

موقف القوى السياسية المصرية من القضية الفلسطينية:

هناك حقيقة هامة لا بد من الإشارة إليها وهى أن التيار الشعبي في مصر هو الذي كان له السبق في معالجة القضية الفلسطينية والاهتمام بها وتتبع أخبارها وعقد المؤتمرات بشأنها وجمع التبرعات من أجل شهدائها، وقد كانت قضية البراق سنة 1929 هي الحادثة الأولى التي أثارت اهتمام الشعب المصري بالقضية الفلسطينية على نطاق واسع. وكانت المبادرة في ذلك الموقف للفئات الإسلامية في مصر وخاصة جمعية الشبان المسلمين التي كانت تقيم اجتماعا سنويا في ذكرى وعد بلفور علاوة على نشاطاتها الأخرى لصالح القضية. وقد أنتقل الاهتمام إلى سائر التنظيمات الشعبية مثل نقابة المحامين التي قررت أيفاد مجموعة من كبار المحامين المصريين للدفاع عن الأحرار الفلسطينيين الذين اعتقلتهم السلطات البريطانية في أحداث البراق. كما سافر وفد آخر موفدا من جمعية الشبان المسلمين للدفاع عن ملكية العرب لحائط البراق أمام اللجنة التي شكلتها عصبة

الأمم للتحقيق في النزاع.

وتعتبر الصحافة المصرية في العشرينات مؤشرا هاما للاهتمام الشعبي في مصر بالقضية الفلسطينية. ففي الوقت الذي اتسم فيه موقف الحكومات المصرية إزاء القضية بالتخاذل وانعدام الاهتمام الذي وصل إلى حد اتخاذ مواقف معادية، كانت الصحافة المصرية بمختلف أجنحتها واتجاهاتها توالي العناية بتطورات القضية الفلسطينية من كافة زواياها. وقد ساهمت بالفعل في خلق تراث من الاهتمام المصري إزاء القضية الفلسطينية. ولا شك أن الإنجليز كانوا يعارضون أي اقتراب مصري من الشعب الفلسطيني والعربي، وارتبطت مصالح كبار ملاك الأرض المصريين بفكرة المصرية المنعزلة عن العرب خارج الدولة وعن الشعب المصري في داخلها. وقد وقفت حكومتهم سنة 1929 (حكومة محمد محمود) ضد ثورة شعب فلسطين. وكتبت صحيفة السياسة لسان حال الحكومة في ذلك الوقت تهدد الوطنيين الفلسطينيين في مصر بالطرد لاتهامهم بإثارة الفتنة الطائفية لدى الشعب المصري وتهييجهم للرأي العام[15]، كذلك عندما تولى إسماعيل صدقي الوزارة سنة 1930 وصادر وأغلق كثيرا من الصحف الوطنية فضلا عن الإرهاب والبطش الذي مارسه ضد الحركة الوطنية المصرية، اغلق جريدة الشورى الفلسطينية التي كانت تصدر في مصر وكان صاحبها محمد علي الطاهر من مؤيدي حزب الوفد، ولكنه أبقى صحيفة إسرائيل التي أنشأها ألبرت موصيري منذ سنة 1920، وكانت لسان الحركة الصهيونية في مصر. وكان صدقي من قبل وهو وزيرا للداخلية سنة 1925 قد اعتقل الوطنيين الفلسطيني الذين هتفوا ضد بلفور صاحب الوعد أثناء مروره على القاهرة في طريقه إلى فلسطين لافتتاح الجامعة العبرية[16]. وكذلك أوفدت حكومة زيور باشا احمد لطفي السيد مندوبا عن الجامعة المصرية لحضور احتفالات افتتاح الجامعة العبرية سنة 1925، كما اشتركت حكومة صدقي باشا في معرض تل أبيب الصهيوني الذي أقيم في ربيع سنة 1932 متجاهلة جميع التحذيرات والنداءات التي وجهتها إليها الأوساط الوطنية في فلسطين، فضلا عن أن المعروضات المصرية التي أرسلت إلى المعرض عادت كلها إلى مصر بدون أن يبتاع منها اليهود شيئا[17] وقد ذكر ممثل مصر في تقريره عن معرض تل أبيب أسباب ذلك الكساد الذي أصاب المعروضات المصرية في ذلك المعرض

فقال (آن آهل فلسطين وهم يمثلون 80٪ من السكان قد قاطعوا ذلك المعرض مقاطعة تامة[18]).

حزب الوفد.. والقضية الفلسطينية:

يتحدد موقف حزب الوفد من القضية الفلسطينية طبقا لموقفه العام من عروبة مصر. وبالرغم من ثقافة سعد زغلول الأزهرية الأزهري فقد كان الوفد في عهده حزبا قوميا مصريا ولم يول القضايا العربية اهتماما كافيا[19]. والواقع أن الوفد لم يحاول أن يلتحم بالحركات الوطنية في المنطقة العربية ليعمل خلالها كقوة ضخمة في مواجهة الاستعمار. بل كان للوفد مواقف معادية للحركة الوطنية العربية وابرز دليل رفض حكومة سعد زغلول عام 1924 إيواء اللاجئين الليبيين الوطنيين الهاربين إلى مصر من الإرهاب الإيطالي في ليبيا[20].

وتنص المادة الأولى من برنامج حزب الوفد الذي وضع في 23 نوفمبر 1918 (آن مهمة الوفد هي السعي بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجد للسعي سبيلا في استقلال مصر استقلالا تاما).

كما تنص المادة الثالثة على أن الوفد يستمد قوته من رغبة أهالي مصر التي يعبرون عنها رأسا آو بواسطة مندوبيهم. ويتضح من هذا آن القومية المصرية هي الخط الفكري والسياسي الرئيسي للحزب. وكذلك لا نجد في أبحاث مؤتمر الوفد العام الذي انعقد في يناير1635 وحفره عدة آلاف من المواطنين وتحدث فيه أعمدة الوفد عن سياسة الحزب الداخلية والخارجية لا تجد سوى المضمون القومي المصري.

ولم تعثر في خطبة النحاس السنوية التي كان يلقيها في 13 نوفمبر من كل عام بمناسبة عيد الجهاد من 1929 حتى سنة 1935 على أدنى إشارة آلي القضايا العربية أو القضية الفلسطينية بصورة اكثر تحديدا[21]. غير أن موقع حزب الوفد على رأس الحركة الوطنية المصرية وكفاحه ضد الاستعمار أدى آلي اقترابه من الحركات الوطنية في العالم العربي من خلال استجابة الجماهير المصرية المتعاطفة مع قضايا الوطن العربي وخصوصا حادث البراق الذي اهتز له الشعب المصري بعمق. وقد كان هذا الحدث نقطة تحول هامة في موقف حزب الوفد من القضية الفلسطينية ومن هنا بدأت

نظرة الوفد إلى القضايا العربية تتطور شيئا فشيئا. وفي مطلع الثلاثينات أخذ الوفد يعترف بوجه مصر العربي، وقد برز ذلك في اشتراك الوفد في المؤتمر الإسلامي العام الذي انعقد بالقدس سنة 1931. كما تجلى في الجولة التي قام بها مكرم عبيد في سوريا ولبنان وفلسطين 1931. وقد تحدث في ذلك الحين عن الوحدة العربية، أكد عروبة مصر مستندا إلى بعض الأدلة التاريخية مثل انحدار المصريين من أصول عربية سامية فضلا عن روابط اللغة والتقاليد والخصائص الاجتماعية والجهاد المشترك من اجل الحرية. وقد أشار إلى توفر أسس الوحدة العربية ولكنها في حاجة إلى تنظيم والغرض من هذا التنظيم هو خلق جبهة مناهضة للاستعمار وقادرة على صيانة القوميات وتحقيق الرخاء الاقتصادي وتنسيق العاقات والمصالح المتبادلة بحيث تصبح الدول العربية (وطنا كبيرا يتفرع منه عدة أوطان لكل منها شخصيتها لكنها في خصائصها القومية العامة متحدة ومتصلة اتصالا وثيقا بالوطن الأكبر)[22].

وفي أبريل 1936 نشبت ثورة فلسطين الكبرى واستمرت ثلاثة أعوام وفي هذا الوقت كانت المفاوضات المصرية البريطانية تجري لحل القضية المصرية. وكانت مظاهر التضامن مع شعب فلسطين قد تجاوزت رسميا وشعبيا الحدود التقليدية واتجهت إلى مشاركة الفلسطينيين وتأييدهم في نضالهم، وذلك رغم أن الحكومة المصرية تعمدت إخفاء مشاعرها المتضامنة مع شعب فلسطين حرصا على مفاوضاتها مع بريطانيا التي انتهت بمعاهدة 1936[23]. على إن هذا كله لم يمنع النحاس باشا من الأعراب عن تضامن مصر حكومة وشعبا مع شعب فلسطين حين صرح بان مصر لا تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي تجاه ما يجري في فلسطين، وأعلن عن تأييده المطالب الشعب العربي الفلسطيني[24] وكان النحاس باشا قد عقد جلسة خاصة مع مستر أيدن ناقش فيها القضية الفلسطينية وأوضح له عدم رضائه عن مشروع التقسيم. وقد كان هذا الموقف من جانب حكومة النحاس باشا كفيلا بتدفق الاهتمام الرسمي والشعبي إزاء أحداث الثورة، وانعكس ذلك على موقف الصحف المصرية التي تابعت أحداث الثورة وصداها في العالم العربي والخارجي كما جسدت تعاطف المصريين مع الوطنيين الفلسطينيين[25]. وقد أعرب النحاس باشا عن نفوره من مشروع التقييم

للسفير البريطاني السير مايلز لاميسون يوم 14 يوليو 1937، وأوضح له أنه لا يستطيع أن يشعر بالاطمئنان وهو يفكر في قيام دولة يهودية على حدود مصر. إذ ما الذي يمنع اليهود من ادعاء حقوق لهم في سيناء فيما بعد[26] ؟ والواقع إن هذه المخاوف التي جسد بها النحاس باشا إدراكه لأبعاد الخطر الصهيوني كانت الصحف الوفدية قد أشارت لها منذ عام 1928 عندما نشرت كوكب الشرق مقالا منقولا عن، صحيفة «دوراها يوم» العبرية و صحيفة «بالستين ويكلي» البريطانية تحت عنوان «مصر وسيناء»، ويدعو هذا المقال إلى جعل فلسطين وطنا لليهود على أن تصبح مستعمرة بريطانية مثل كندا واستراليا وتضم إليها شبه جزيرة سيناء بعد أن تقتطع من مصر. وأوضح كاتب المقال بأنهم يقبلون التنازل عن الانتداب الذي يقربهم من الاستقلال ويقبلون أن تهبط فلسطين إلى درجة مستعمرة بريطانية، ولكن على «أن تتسع بلادهم وتمتد حدودها وهذا هو التعويض الذي يطلبونه من بريطانيا»[27].

وقد أشار الكاتب إلى عدم أهمية سيناء بالنسبة لمصر، ودليل ذلك أن الحكومة المصرية قد وافقت منذ 25 سنة للدكتور هرتزل على إرسال بعثة إلى جزيرة سيناء لتدرس إمكان اتخاذها وطنا لليهود (وان هذا كاد يتم لولا أن البعثة لم تعجبها سيناء[28]).

وتعلق كوكب الشرق على ذلك بأن هذا المشروع هو في أساسه أحد مشروعات السياسة البريطانية، ودليل ذلك انه ورد في كتاب ألفه الكولونيل ودجود وعنوانه (الدمينون السابع). وتبدي كوكب الشرق دهشتها بسبب موقف الحكومة المصرية آنذاك (حكومة محمد محمود) التي تقرر فتح اعتمادات مالية كبيرة لإصلاح الطرق في شبه جزيرة سيناء في الوقت الذي يتردد فيه ذكر هذا المشروع في الصحف البريطانية والصهيونية.. وتتساءل هل ممكن أن يكون ذلك محض صدفة ؟ وتعود الصحيفة فتستدرك قائلة بأنه (لو أن في مصر حكومة دستورية تقاوم أطماع الاستعمار ومن خلفها شعب يقف ورائها كتلة واحدة ولو أن فيها برلمان تعرف إنجلترا أنه لا يفرط في حقوق البلاد، وقد استطاعت إنجلترا أن تقتطع واحة جغبوب من مصر في غيبة البرلمان فهل تستطيع الآن أن تلحق بها سيناء بمد أن محيت الحياة النيابية أصلا[29]).

الصحافة الوفدية.. والقضية الفلسطينية:

لم تصدر عن الوفد صحف تحمل أيديولوجية بشكل واضح ومحدد، ولكن كانت هناك صحف تلتزم بسياسة الوفد بوجه عام وتنطق بوجهة نظره، ولكن مع عدم استبعاد احتمالات نشوب الخلاف بين رؤساء تحرير هذه الصحف وبين الوفد. ولذلك نستطيع أن نقول أن الصحف الوفدية لم تكن صحفا حزبية بالمعنى المتفق عليه علميا. بل كانت مرتبطة بسياسة الوفد فيما يتعلق بالقضايا الداخلية وهما قضيتا الاستقلال والدستور. أما فيما عدا ذلك فان هذه الصحف كانت تعكس ثقافة واتجاهات رؤساء تحريرها سواء ما يتعلق بالمسائل الفكرية أو السياسية. لعل موقف الصحف الوفدية من القضية الفلسطينية يعد مثلا واضحا أمامنا على الفجوة التي كانت قائمة بين سياسة الوفد وموقعه من القضايا العربية وخاصة أثناء العشرينات والثلاثينات وموقف الصحف التي كانت تنطق باسمه. ففي حين كان موقف الوفد من القضية الفلسطينية في تلك المرحلة يشوبه الغموض واللامبالاة وانعدام الإدراك لخطورة الصراع الدائر فني فلسطين كانت صحف الوفد تبدي تفهما عميقا لإبعاد هذا الصراع. وتحرص على متابعته وكشف مكامن الخطر فيه طوال العشرينات والثلاثينات.

ومما يدل على أن موقف هذه الصحف من القضية الفلسطينية لم يكن يعكس الموقف الفكري أو السياسي لحزب الوفد الإشادة والثناء الذي وجهه عبد القادر حمزة صاحب البلاغ لوزارة محمد محمود في عامي 1938، 1939 بسبب موقفها من القضية الفلسطينية[30] وعاب البلاغ على النحاس باشا سكوته عن القضية وأورد بعض الوقائع التي تؤخذ على حكومة الوفد في هذا الصدد مثلا موافقة حكومة النحاس على سفر مئات من العمال المصريين إلى فلسطين كي يحلوا هناك محل العرب الذين أضربوا تأييدا لثورة 1936. ولم يوقف سفر هؤلاء العمال آلا بمسعى خاص وبعد اعتراض وتنبيه. كذلك اعتراض حكومة النحاس على تنسيق جهودها مع السعودية من أجل العمل لصالح القضية الفلسطينية مما اضطر السعودية إلى الاشتراك مع العراق وإعداد مذكرة مشتركة إلى بريطانيا تحمل وجهة نظرهما في المسألة الفلسطينية وقد برر النحاس باشا موقف الرفض من جانبه بأنه يريد أن يعمل وحده مستقلا عن الحكومات العربية ا لأخرى[31].

وقد و قع اختيار المؤلفة على البلاغ وكوكب الشرق باعتبارهما ناطقين باسم الوفد رغم ما بينهما من اختلافات في المنطلقات الفكرية والسياسية والرؤية العامة للقضايا العربية. ويرجح سبب هذا الاختيار إلى أن البلاغ كانت مرتبطة بالوفد طوال العشرينات منذ صدورها في يناير 1923 وحتى بداية الثلاثينات (1922) ثم تحولت عن الوفد. ولم تعد حينئذ تعكس وجهة نظر الوفد بل كانت تعكس وجهة نظر رئيس تحريرها وكتابها فقط، أما كوكب الشرق فقد ظلت وفدية منذ صدورها في 21 سبتمبر 1924 ولم تتحول عن الوفد حتى نهاية عمرها. وقد هاجمت كوكب الشرق البلاغ بعد انفصاله عن الوفد. فضلا عن ذلك هناك اختلاف بين معالجة كل من الصحيفتين للقضية الفلسطينية هذا الاختلاف الذي ينبع من الاختلاف الفكري والثقافي لكل من رئيسي تحرير الصحيفتين. فبينما كان حافظ عوض رئيس تحرير كوكب الشرق (وهو من قدامى الصحفيين الذين شهدوا المرحلة الأولى وشاركوا في تحرير المؤيد) يمثل الاتجاه الإسلامي وينطلق في معالجته للقضية الفلسطينية من رؤية إسلامية لا تخلو من النزعة القومية، كان عبد القادر حمزة رئيس تحرير البلاغ يمثل اتجاها فكريا اكثر استنارة وعصرية في نظرته ومعالجته للقضايا العربية وان كان لا يخلو من الجذور الإسلامية.

البلاغ.. والقضية الفلسطينية:

تميزت البلاغ عن الصحف المصرية المعاصرة لها بتدفق اهتمامها واستمراريته فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية. وقد شمل هذا الاهتمام مختلف جوانب القضية وأبعادها سواء على الصعيد الفلسطيني أو الصهيوني آو البريطاني آو العربي أو الإسلامي. وقد نال الجانب الفلسطيني النصيب الأكبر من اهتمام البلاغ. إذ تابعت القضايا الجوهرية في الصراع مثل قضيتي الهجرة وبيع الأراضي. كما ركزت على حركة الشعب الفلسطيني في مواجهة الانتداب والصهيونية ممثلة في المؤتمرات وردود الفعل الجماعية[32]. أما ثورات الشعب الفلسطيني وانتفاضاته فقد قامت بتغطيتها خبريا من خلال المراسل الخاص للبلاغ في مدينة القدس، كما تناولتها بالتعليق من خلال عشرات المقلات السياسية[33]. وقد اعتمدت البلاغ على

الخبر كوسيلة أساسية لتغطية أحداث القضية الفلسطينية ومتابعة تطوراتها ويلي ذلك مباشرة المقال الذي كان أداتها الرئيسية في الإفصاح عن وجهة نظرها إزاء تطورات الصراع(34). وكثيرا ما كانت تنقل البلاغ عن الصحف الفلسطينية أحيانا عن الصحف البريطانية والصهيونية وفي الحالة الأخيرة كانت تقوم بتفنيد هذه المقالات وتحليلها البراز الفقرات المعرضة فيها. ومن ابرز الصحف الفلسطينية التي كانت تنقل عنها البلاغ صحيفتا الجامعة العربية والرمل أما الصحف البريطانية والصهيونية أديلي تلجراف، وبالستين ويكلي وصحف فلسطين(35). كما فتحت صفحاتها للكتاب الفلسطينيين والعرب المقيمين بمصر وخارجها مثل نسيم صبيعة والأمير شكيب أرسلان ومحمد على الطاهر وأمين الريحاني، وغالبا ما كانت تتلقى تعليقات من الفلسطينيين أنفسهم والمصريين المقيمين بفلسطين مثل عبد الله البندك وحسان أبو رحاب(36). وقد انفردت البلاغ بمتابعة نشاط الأحزاب الفلسطينية والمعارك السياسية التي كان يخوضها الشعب الفلسطيني في الانتخابات البلدية(37). وقد تناولت البلاغ العلاقات اليومية بين سكان فلسطين المسلمين والمسيحيين واليهود مع مراعاة تركيزها على الزاوية الدينية(38). كما اهتمت بإبراز جوانب النشاط الوطني التي تجسد وحدة العنصرين المسلم والمسيحي في فلسطين(39).

وكثيرا ما كانت البلاغ تناقش قضايا التبشير وتربط بين التبشير الصهيوني والتبشير الإنجليزي(40). وتكاد تكون البلاغ الصحيفة المصرية الوحيدة التي أولت مسالة الجنسية بالنسبة للفلسطينيين اهتماما كبيرا، ونشرت عدة تعليقات ربطت فيها بين مشكلة الجنسية ونضال الشعب الفلسطيني من اجل الاحتفاظ بأراضيه وتفوقه السكاني داخل فلسطين باعتبار أن القضية الفلسطينية تتكون في الأساس من هذه العناصر مجتمعة(41)، وقد نشرت البلاغ ملخصا للنداء الذي وجهته اللجنة التحضيرية للدفاع عن حقوق المهاجرين العرب في الجنسية الفلسطينية(42).

ومما يلفت النظر في اهتمام البلاغ بمتابعة النشاط الصهيوني آن هذا الاهتمام لم يقتصر فقط على النشاط الصهيوني في فلسطين بل اهتمت بنفس القدر بالنشاط العالي للصهيونية وخصوصا المؤتمرات الصهيونية(43). وقد ركزت البلاغ على رصد الصعوبات والمشاكل التي واجهتها الصهيونية

خلال العشرينات في فلسطين في محاولة للتوصل إلى نتيجة تؤكد فشل الصهيونية في فلسطين[44].

ويلاحظ أن البلاغ كانت تركز في الثلاثينات على متابعة النشاط الصهيوني في المؤتمرات وقراراته الخاصة بفلسطين ولم تبد البلاغ اهتماما واضحا بمسألة الهجرة اليهودية في العشرينات ولكن ابتداء من مايو 1930 بدأ اهتمامها بهذه القضية يتدفق وقد ركزت بشكل خاص على وقف الهجرة وضرورة تقييدها[45]. كذلك أشارت البلاغ إلى النشاط الشيوعي في فلسطين في الثلاثينات وقد اهتمت بإبراز العلاقة بين الشيوعية وحركة العمال اليهود [46]. وكانت البلاغ تركز على مصير وعد بلفور وإبراز نشاط الوكالة اليهودية في فلسطين وإبراز صدى النشاط العربي لدى الصهيونيين[47].

وفيما يتعلق بالسياسة البريطانية في فلسطين فقد نالت اقل نصيب من اهتمام البلاغ. وقد حاولت البلاغ إبراز أهمية فلسطين في المخططات البريطانية والتأكيد على أهمية الوطن القومي باعتباره متكأ للسياسة البريطانية في الشرق الأدنى. كما حرصت البلاغ على إبراز علاقة القوى الوطنية الفلسطينية بالمندوب السامي من ناحية أبرزت من ناحية أخرى علاقته الوثيقة باليهود في فلسطين[48].

ولم تغفل البلاغ عن الإشارة إلى رد الفعل العربي والإسلامي لما كان يدور في فلسطين سواء تمثل هذا الصدى في المؤتمرات الإسلامية والعربية أو ردود الفعل الخاصة بكل دولة على حدة. وقد كانت البلاغ هي الصحيفة المصرية الوحيدة التي انفردت بمتابعة أخبار ومجريات المؤتمر الإسلامي سنة 1931 متابعة يومية بالإضافة إلي إلمامها بآراء الجبهات المختلفة داخل المؤتمر وخارجه[49]، وقد اهتمت البلاغ بحركة العلاقات المصرية الفلسطينية منذ عام 1923، وكانت تركز على الزيارات المتبادلة بين المسئولين في مصر وفلسطين وصداها في الصحف الفلسطينية[50]. وقد استأثرت القضية الفلسطينية بالصفحة الثانية في البلاغ حيث خصص لها باب ثابت اسمه (رسالة فلسطين)[51]. ولكن لم يمنع هذا من نشر كثير من المقالات والتعليقات والأخبار الهامة الخاصة بالقضية الفلسطينية في الصفحة الأولى من البلاغ[52].

أما رؤية البلاغ للقضية الفلسطينية فهي رؤية قومية إسلامية. إذ كانت

تصور الصراع في فلسطين على النحو التالي: (آن الصهيونية من الناحتين السياسية والاقتصادية مشروع قائم على الظلم والباطل وان فكرة الوطن القومي لليهود تفوق ظلما وشناعة فكرة الاستعمار نفسها، لان الدولة الاستعمارية التي، تستولي بالقوة على بلاد ليست لها معتبرة نفسها غريبة عن تلك البلاد مهما بلغت سطوتها ومهما نكلت بالشعب الذي تستعمره.. أما الصهيونية فأنها تذهب إلى ابعد من ذلك فتحاول أن تفعل في فلسطين ما لا تفعله الدول في مستعمراتها.. فضلا عن أنها قائمة على فكرة دينية وسياسة مذهبية تمجها المدنية الحديثة والمبادئ التي يخضع لها العالم في عصرنا، هذا عصر الحرية والمساواة والإخاء كما يسمونه[53]).

وترى الصحيفة أن اليهود قد اعتقدوا أن تحقيق الفكرة الصهيونية أصبح من الأمور السهلة. ولكن النتيجة كانت عكس ذلك إذ أنهم وجدوا في فلسطين شعبا متمسكا ببلاده وتقاليده غير مستعد للتنازل عن حقوقه الموروثة. وقد تبين أن الحلم الذي يحلم به الصهيونيون لا يمكن أن يتحقق آلا إذا أمكن آن تزول الأغلبية الساحقة من عرب فلسطين لتحل محلها أغلبية مثلها من اليهود وهذا هو المستحيل[54]. وتدلل البلاغ على استحالة ذلك بعدة شواهد أهمها:

أولا: آن ملايين الجنيهات التي أنفقت لتحقيق فكرة الوطن القومي اليهودي والدعاية التي قامت بها الحركة الصهيونية بمساعدة حكومة الانتداب وأنواع الأغراء المختلفة التي أغروا بها يهود أوروبا للهجرة آلي فلسطين لم تؤد إلى ما يريدون فلا يزال اليهود أقلية في فلسطين، بل لا يزال الكثيرون يرحلون منها بعد أن ظهرت لهم الحقيقة وهي أنها لا تدر عليهم لبنا وعسلا كما كانوا يتوهمون[55].

ثانيا: آن الأساس الأول لتحقيق فكرة الوطن القومي قائم على التبرعات والمساعدات المالية وهذه لا تؤسس دولة ولا تنشئ وطنا.

ثالثا: آن إنشاء دولة قائمة على أساس الدين وحده دون سواه ثبت أنها وهم من الأوهام (ذلك أن النور الصناعي الذي كان معتنقو الفكرة الصهيونية يلوحون به ليهود العالم فيبهر أبصارهم ويجعلهم يهيمون بها ويحنون شوقا إلى النزوح إليها.. هذا النور انقلب ظلاما بعد نشوب الاضطرابات التي كانت مسالة البراق كافية في أثارتها على هذا الوجه ا لدامي[56]).

رابعا: أن الصهيونية في فلسطين لا يمكن أن تقف على أقدامها وحدها من الناحية السياسية. لان السياسة البريطانية تأبى ذلك وسبب هذا أنها لا يمكن أن تقيم بيدها شبحا قد يزعجها يوما ما. وهى تعلم أن فلسطين على مرمى سهم من طريق مواصلاتها الإمبراطورية وأنها الطريق المنتظر لتغذية حوض البحر الأبيض بالبترول الذي يقدرون له اليوم أن تخترق أنابيب الصحراء من العراق إلى فلسطين حتى تصب في حيفا[57]. ولذلك فان السياسة البريطانية ترى من صالحها استمرار تقليم أظافر الصهيونية كلما رأتها تحاول تجاوز الحدود المرسومة.

ولكن مع منتصف الثلاثينات وتغير موازين القوى داخل فلسطين نلحظ انعكاس ذلك على رؤية البلاغ لأبعاد الصراع الفلسطيني الصهيوني البريطاني. إذ قدمت بريطانيا كل أوجه المساندة والدعم للوطن القومي اليهودي حتى اصبح عدد اليهود في فلسطين 400 ألف بعد أن كانوا في بدء الحرب العالمية الأولى 46 ألفا. كما انهم بأموالهم الطائل استولوا على أخصب الأراضي الفلسطينية واخرجوا منها المزارعين العرب واستبدلوا بهم غيرهم من اليهود، كما أخذوا يطوقون المدن بأملاكهم استعدادا على حد قول البلاغ «لذلك اليوم الذي يستطيعون فيه الانقضاض على جميع الأماكن المقدسة والمسجد الأقصى وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين واستعادة هيكل سليمان»[58].

وفي ضوء هذه المتغيرات بدأت البلاغ تعيد النظر في حساباتها. البعاد رؤيتها للصراع خلال العشرينات وبدأت تتشكل رؤيتها الجديدة في ضوء التطور الذي بلغته القضية الفلسطينية. ونلاحظ إن البلاغ بدأت تقتنع بان الحكومة البريطانية جادة كل الجد في تهويد فلسطين وليي أدل على هذا من اعتبارها الوكالة اليهودية هيئة تشير عليها بما تراه يعود بالنفع العام على اليهود ويحقق مشروع الوطن القومي واتباعها سياسة المحاباة والعطف على الآمال اليهودية وظهورها بجلد النمور كأشرة للعرب عن أنيابها.. وتحقيقا لهذه السياسة الحائدة عن الطريق السوي أرهقت كواهل العرب بفرض الضرائب الفادحة والرسوم العديدة وتكديسها في خزائنها الحديدية حتى بلغ مجموع ما يحصل عندها من الوفر في هذا العام 1935 ما يربو على ستة ملايين جنيه امتصتها من دماء العرب المساكين فأفقرتهم ولصقت

أيديهم بالتراب[59]).

وكانت البلاغ تطرح حلا للصراع لا يقتصر على النضال السياسي فقط بل يعتمد أيضا وبنفس الأهمية على العامل الاقتصادي ، فكانت تهيب بالفلسطينيين أن يتجهوا بكل قواهم إلى إحياء المشروعات الوطنية وإنشاء الشركات الصناعية والتجارية واستثمار رؤوس أموالهم في كل ما من شأنه أن ينميها. إذ لا يجب أن يعتمدوا فقط على تفوقهم السكاني ونضالهم السياسي بل لا بد من دخولهم حلبة المنافسة الاقتصادية مع الصهيونيين، حتى لا يصل الصهيونيون يوما إلى مركز الزعامة الاقتصادية لأنهم إذا دخلوا إلى هذا المركز اصبح من السهل أن تكون لهم الزعامة ا لسياسية[60].

وفيما يتعلق بالدعوة التي كانت تروج لها بعض الصحف المصرية والصهيونية في تلك الفترة وهي ضرورة التفاهم والاتفاق بين العرب واليهود من أجل إنهاء الخصومة القائمة بينهما والتعاون سويا لبناء الوطن المشترك، كانت البلاغ تبدي عدم اقتناعها بهذه الفكرة وتتنبأ بالفشل للجهود التي تبذل في هذا الصدد (لان العرب يدركون أن هذه المحاولات مجرد شباك يراد اقتناصهم بها وهم يعتبرون إلى اليوم آهل البلاد وان اليهود دخيلون لا حق لهم في الإقامة بفلسطين[61]).

كوكب الشرق .. والقضية الفلسطينية:

تشترك كوكب الشرق مع البلاغ في تدفق اهتمامها وشموله بالقضية الفلسطينية خلال العشرينات والثلاثينات وان كانت الكوكب تتميز عن البلاغ في أسلوب المعالجة والرؤية الفكرية والسياسية التي استندت إليها في تناولها للقضية. فضلا عن إن الكوكب قد تعرضت للتعطيل أثناء حكم محمد محمود في مارس 1919 - نوفمبر 1929 .. وقد أدى ذلك إلى تخلفها عن متابعة أحداث البراق 1929 . هناك نقطة اختلاف أخرى بين الصحيفتين الوفديتين.. وهي أن صحيفة كوكب الشرق كانت تتابع أحداث القضية الفلسطينية وتطوراتها كجزء من اهتمامها بالشئون الشرقية والإسلامية. وقد خصصت لذلك بابا ثابتا كان يحتل الصفحة الثانية من الصحيفة ويظهر مرتين أو ثلاث مرات أسبوعيا تحت عنوان: (شئون الشرق العامة[62])، وكان يقوم بتحريره محرر مختص ولكنه لم يوقع باسمه مطلقا. وكان لكوكب

الشرق مراسل فلسطيني خاص في القدس وآخر في حيفا، وكان مراسل القدس يوقع باسم ابن عياد. كذلك دأبت كوكب الشرق مثل زميلتها البلاغ على نقل بعض المقالات الهامة من الصحف الفلسطينية ولكن بقدر يفوق البلاغ، إذ كانت تنق عن «ألف باء» و «الجامعة العربية» و «الجامعة الإسلامية» و «لسان العرب» كما كانت تمنح الفرصة للكتاب الفلسطينيين والعرب المقيمين بمصر وخارجها للكتابة فيها أمثال أمين سعيد وشكيب إرسلان ومحمد علي الطاهر.

تناولت كوكب الشرق القضية الفلسطينية بأبعادها المطروحة خلال العشرينات والثلاثينات وهي البعد الفلسطيني والبعد الصهيوني والبعد البريطاني ثم البعد العربي والإسلامي. وأخيرا البعد الدولي رغم أنه لم يكن متبلورا بشكل واضح خلال هذه المرحلة. وقد اعتمدت كوكب الشرق في معالجتها للقضية على الخبر بصفة أساسية ثم مقالات الرأي والتعليقات[63]. وقد احتلت أنباء القضية الصفحة الثانية من الصحيفة بصفة دائمة، أما المقالات والافتتاحيات كانت دائما تتصدر الصفحة الأولى في الكوكب[64].

وقد نال الجانب الفلسطيني في الصراع النصيب الأكبر من اهتمام كوكب الشرق. فقد تابعت ملحمة الثورة الفلسطينية من إضرابات ومظاهرات ومحاكمات وأبدت اهتماما خاصا بالمسجونين السياسيين وذكرى الشهداء الفلسطينيين أكثر من الصحف المصرية الأخرى[65]. كما كانت كوكب الشرق أكثر الصحف المصرية التي عالجت قضية بيع الأراضي في فلسطين. وقد بدأ اهتمامها بهذه المسألة منذ 1924 وتصاعد ابتداء من 1932. وكانت تركز على دور السماسرة في بيع الأراضي الفلسطينية وتكثر من نشر الفتاوى والنداءات لإنقاذ الأراضي[66]. كذلك تابعت الكوكب اوجه النشاط اليومية للشعب الفلسطيني. وكانت تركز على المناسبات الدينية واحتفال الفلسطينيين بها[67]. وكانت تهتم بإضرابات العمال. وتتميز كوكب الشرق باهتمامها المتزايد بمتابعة نشاط الشعب الفلسطيني بمختلف فئاته منذ منتصفة العشرينات وبانتظام حتى نهاية الثلاثينات. وكانت توجه اهتماما خاصا للنشاط الشعبي (عمال - نساء - شباب[68]. (وقد أبدت الكوكب تعاطفها العلني مع الحزب العربي الفلسطيني وتولت الكتابة عنه ونشر بياناته منذ

أتعلان مولده في أبريل 1935 [69]، وان لم يمنعها هذا من الاهتمام بمتابعة نشاط الأحزاب الفلسطينية الأخرى[70].

آما العلاقات بين العرب واليهود فقد ركزت كوكب الشرق على إبراز الصراعات والاصطدامات اليومية التي كانت تقع بين العرب واليهود داخل فلسطين، رغم أن هذا الطابع العدائي لم يظهر بوضوح في الصحف سوى في الثلاثينات، آما قبل هذا التاريخ فلم تشر الصحف إلى هذا الجانب أصلا[71].

وقد تابعت كوكب الشرق النشاط الصهيوني في فلسطين وكان اهتمامها الأساسي منصبا على كشف وإبراز خطورة الصهيونية على فلسطين من خلال دسائس الصهيونية ضد العرب وأساليب اليهود من أجل السيطرة على فلسطين[72]. كما كانت تشير إلى الخلافات بين الصهيونيين في فلسطين[73]. وأبدت كوكب الشرق اهتماما ملحوظا بقضية الهجرة اليهودية. إذ تابعت أرقام اليهود المهاجرين إلى فلسطين واهتمت بكشف وسائل دخولهم فلسطين كما أنها هي الصحيفة المصرية الوحيدة التي نشرت عريضة الحزب العربي الفلسطيني إلى المندوب السامي عن الهجرة وبيع الأراضي[74].

وعن السياسة البريطانية في فلسطين حرمت كوكب الشرق على إبراز العاقة بين الانتداب البريطاني والصهيونية. كما ركزت على توضيح موقف الفلس طنين من لجان التحقيق البريطانية[75]. وفيما يتعلق بالعلاقات البريطانية الفلسطينية في تلك الفترة، فقد اقتصر اهتمام الكوكب على إبراز نشاط الوفود الفلسطينية في لندن وتعاطف مسلمي لندن مع القضية الفلسطينية[76]. كما أشارت الكوكب إلى قسوة الإنجليز وأساليبهم الوحشية إزاء الفلاحين الفلسطينيين وإخراجهم من أراضيهم تحت تهديد الدبابات والطائرات[77]، وخصوصا مأساة عرب الحوارث والزيادنة.

وكان اهتمام كوكب الشرق ملحوظا بتسجيل ورصد ردود الفعل العربية والإسلامية إزاء القضية الفلسطينية وخصوصا خلال الثلاثينات، وقد كانت تركز على الجانب السياسي للعلاقات العربية الفلسطينية وموقف العرب من القضية ذاتها[78]. كذلك تابعت موقف مسلمي الهند وإيران وبريطانيا من القضية[79].

أما العلاقات المصرية الفلسطينية فقد بدا اهتمام كوكب الشرق بمتابعتها مبكرا منذ عام 1926. وكان تركيزها منصبا على المصريين المقيمين في فلسطين ومشاكلهم ووجوب حمايتهم[80]. كما قامت الكوكب بتغطية زيارات المسئولين المصريين لفلسطين وخصوصا مكرم عبيد، ونشرت عدة تعليقات على زيارة صدقي باشا لفلسطين سنة 1932[81].

ولم تغفل كوكب الشرق البعد الدولي للقضية الفلسطينية فقد أشارت إلى صدى الأحداث الفلسطينية في أوروبا والولايات المتحدة والفاتيكان وتأثير اليهود داخل لجنة الانتدابات وموقف عصبة الأمم من القضية[82].

وتحددت رؤية كوكب الشرق للقضية الفلسطينية من خلال منطلقات دينية مشوبة بالنزعة القومية. إذ أنها ترد الصراع إلى أسباب دينية، بل وتصور الهدف من إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين على أنه لا يخرج عن الإطار الديني المحض. فهي ترى «أن بريطانيا تهدف بسياستها إلى أبعد من أيجاد وطن لليهود أو أراحتهم من التشتت والتفريق في أنحاء الدنيا.. بل تدفع بهم إلى هذه البقعة لأغراض دينية، فعلها تريد أن تصل بمسألة حكم بيت المقدس إلى نهاية حاسمة لا تتجدد. ولن تكون هذه النهاية الحاسمة بحكم العرب أتنهم لو حرموا اليوم من حريتهم واستقلالهم فسيعودون أليها مع الزمن. وآذن فالحل الذي تسعى إليه بريطانيا هو تذويب العرب لا استبعادهم بإفنائهم من هذه الرقعة الاكتفاء بإضعافهم[83]». وتعتقد كوكب الشرق بأن بريطانيا قد اختارت اليهود للقيام بهذا الدور لأنها تعلم جيدا أنها لو دفعت بأفواج المسيحيين إلى فلسطين فانهم سوف يمتزجون مع العرب ويؤلفون وحدة تفسد على بريطانيا خطتها. وعلى هذا اختارت بريطانيا اليهودي لما له من ظروف وتكوين خاص يجعله ينفر من التآلف مع أي شعب آخر.

وتكرر كوكب الشرق في معظم مقالاتها هذا التصور، وهو أن وعد بلفور يهدف في الأساس إلى حرمان المسلمين من مسجدهم الأقصى وأماكنهم المقدسة، وان بريطانيا ترمي من ورائه (إلى أن توجد في فلسطين شعبا متنافرا مختلفا لا يمكنه أن يأتلف ولا تتركه بريطانيا قبل ذلك بدعوى المحافظة على الآمن فتبقى جاثمة على صدره باسطة كفها على قناة السويس وقابضة بالأخرى على ميناء حيفا[84]).

ورغم الرؤية الدينية التي تغلف موقف كوكب الشرق في تفسيرها السباب الصراع الفلسطيني الصهيوني البريطاني، فأنها كانت تبدي إدراكا واضحا لأطراف الصراع. فهي لم تقع صريعة الفهم المشوش الذي كان يخلد بين حقيقة الدور الذي يقوم به كل طرف من أطراف الصراع مثلما كان يحدث لدى بعض الصحف المصرية المعاصرة لكوكب الشرق عندما كانت تخلط بين الصهيونية وبريطانيا أيهما الأصل في الصراع آيهما الفرع. كانت كوكب الشرق تدرك جيدا أن بريطانيا هي الأساس وكانت تدعو العرب إلى أدراك هذه الحقيقة وتطالبهم بأن يجاهروا الإنجليز بالعداء ويبادرهم بالخصام. وكانت تفسر عدم وضوح الرؤية لدى العرب في البداية بأنه يرجع إلى آثار من حسن الظن بأولئك الحلفاء القدامى كانت لا تزال تتردد في صدور العرب فتوجه مقاومتهم إلى الصهيونية ووعد بلفور وما من ذيول [85]».

ولكن من خلال الاحتكاك اليومي بالسياسة البريطانية والتحيز الساخر الذي كانت تبديه نحو اليهود بدءا بفتح البلاد على مصاريعها أمام المهاجرين اليهود وانتهاء بانتزاع الأراضي الفلسطينية بقسوة ووحشية وتأمين حصول اليهود عليها في حراسة الحراب البريطانية «وقد كانت فاجعة إجلاء عرب الحوارث بالنار والحديد قد فعلت في النفوس فعلها [86]». من هنا بدأت الجماهير الفلسطينية تفيق وتستيقظ على الحقيقة، وتدرك أن العدو الأساسي هو بريطانيا. وقد تمخض هذا الإدراك عن نشوب اضطرابات 1933 وكانت موجهة ضد الإنجليز رأسا. ونلحظ سيطرة الفكر الديني على كوكب الشرق حتى في تحليلهما لاضطرابات 1933 التي أجمعت معظم الصحف على تفسيرها من منطلق قومي صحيح. ولكن كوكب الشرق ترى (أن مظاهرة القدس كانت الطلقة الأولى التي دوت في أذان المستعمرين فنبهتهم إلى سوء عاقبتهم.. وتجاوبت أصداؤها في كل برهة من جهات العالمين العربي والإسلامي تعلن للمسلمين أن مقدساتهم في خطر شديد وان المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين يطمع في هدمه اليهود ليقيموا على أنقاضه هيكل سليمان [87]).

وفيما يتعلق بالدعوة التي روجت لها بعض الصحف المصرية في تلك الفترة وهي الاتفاق بين العرب واليهود فقد أبدت كوكب الفرق موقفا حازما إزاء هذه الدعوة. وسخرت من الفكرة إلى درجة أن أطلقت عليها «نغمة

التوفيق بين حقوق العرب وأطماع الصهيونية»[88] ودللت بالشواهد على استحالة تحقيق هذا الهدف.

حزب الأحرار الدستوريين.. والقضية الفلسطينية:

تأسس هذا الحزب في أكتوبر 1922 على أساس قومي مصري استمرارا لحزب الآمة. وقد ضم عددا من كبار ملاك الأرض أكثرهم من أعضاء حزب الآمة أو أبنائهم وذويهم منضما إليهم فريق من المثقفين ذوي الاتجاه الليبرالي. وقد نصت مبادئ الحزب التي أعلنت في حفل تأسيس الحزب وأعلنتها جريدة السياسة في عددها الأول على استكمال استقلال مصر والتمسك بعدم فصل السودان عن مصر ويحفظ سيادتها عليه وحقوقها فيه وتأييد النظام الدستوري والدفاع عن حرية الفرد[89]. ويلاحظ اقتصار مبادئ الحزب على القضية المصرية طوال العشرينات والثلاثينات رغم أن بعض أعضائه البارزين قد تحولوا إلى الاهتمام بالقضايا العربية وخصوصا القضية الفلسطينية وأبرزهم محمد علي علوية وعبد الله عنان ومحمود عزمي. ونتيجة للتطورات السياسية التي طرأت على العالم العربي في الثلاثينات وأدت إلى طرح بعض القضايا العربية بإلحاح على مسرح السياسة المصرية مثل قضية البراق 1929، ثورة فلسطين الكبرى 1936، من هنا جاء اهتمام الأحرار الدستوريين بالقضية الفلسطينية كجزء من القضايا المطروحة في تلك المرحلة التاريخية ولكن لم يبد من مواقفهم سواء عندما كانوا في الحكم أو خارجه أية تعاطف واقتناع بحقوق عرب فلسطين، بل على العكس تماما كانت صحيفتهم السياسة تروج للدعوة إلى التفاهم بين العرب واليهود، وترى أن حل المشكلة الفلسطينية يكمن في تحقيق هذا التفاهم من اجل إقامة الوطن المشترك. وتظهر هذه الدعوة في معظم كتابات السياسة التي تتعلق بالقضية الفلسطينية في تلك الفترة.

وقد كتب عبد الله عنان في جريدة السياسة الأسبوعية يستنكر أسلوب العنف الذي لجأ أليه الشعب الفلسطيني في أحداث البراق 1929. كما نصح كلا من العرب واليهود بالاعتدال قائلا (آن في وسع العرب آن يغنموا اكثر بالاتحاد والجهاد السلمي المستمر وان يحاولوا في المستقبل دون إراقة الدماء.. وعلى اليهودية إذا أرادت السلام أن تقنع الأمم العربية بأنها لا

تفهم فكرة الوطن القومي آلا في معنى متواضع وفي دائرة محدودة.. وأنها لا ترمي آلا أن تقيم وئام وتفاهم مع أصحاب البلاد رمزا فقط لليهودية وملاذا أو ملجأ ليس غير لتراثها وتقاليدها[90] وقد كان لهذه النغمة صدى مقبول لدى الدوائر الصهيونية، عبرت عنه صحيفة هآرتس الصهيونية التي أرسلت ردا نشرته السياسة في عددها الصادر في 28 سبتمبر 1929، إذ أكدت اسفها الشديد لأنها أول مرة فقط تسمع صوتا مستنيرا في العالم الإسلامي يشجب سياسة العنف التي يسلكها الشعب الفلسطيني لتحقيق أمانيه[91] وقد تبنى الدكتور حسين هيكل رئيس تحرير صحيفة السياسة دعوة التفاهم بين العرب آو اليهود فدعا إلى تأليف لجنة، يهودية عربية تضطلع بهذا العبء إذ كان يرى أن حل المشكلة الفلسطينية لا يكون (آلا من العرب واليهود ولا ينتظر من الدولة الإنجليزية أو عصبة الأمم أن تتوسط لهذا التفاهم لأنه يلوي عليها مقاعدها الاستعمارية[92]). و قد أشادت صحيفة «إسرائيل» صوت الحركة الصهيونية في مصر بمقال الدكتور هيكل باعتباره (خير ما كتب إلى الآن باللغة العربية بأسلوب برئ من الهوى وروح الإخلاص والصراحة في مشكلة فلسطين[93]). كما قامت صحيفة السياسة باستعداء السلطات ضد الفلسطينيين المقيمين في مصر، مهددة إياهم بالطرد وقد وجهت إليهم تهمة إثارة الطائفية في مصر بسبب النشاط الدعائي الذي كانوا يقومون به لتزويد الرأي العام المصري بالمعلومات والحقائق عن أحداث البراق [94]. ولم تنس السياسة أن تشيد باليهود المصريين وتؤكد اعتزاز مصر بوجود هذا العنصر الذكي العامل بين عناصرها[95].

السياسة اليومية.. والقضية الفلسطينية:

لقد عالجت صحيفة السياسة اليومية القضية الفلسطينية معالجة شاملة أحاطت بأبعاد القضية فلسطينيا وصهيونيا وبريطانيا وعربيا.. وقد اهتمت السياسة بمتابعة الجانب الفلسطيني للقضية وهو يتضمن النشاط الوطني والثوري للحركة الوطنية الفلسطينية خلال العشرينات والثلاثينات. كما يتضمن جوانب الحياة اليومية بالنسبة للشعب الفلسطيني ممثلة في نشاطاته المختلفة في مجالات الاقتصاد والتعليم وعلاقاته بحكومة الانتداب

والمؤتمرات التي كانت تعقدها القيادات الشعبية والمعارض والعلاقات اليومية بين العرب واليهود. وقد كان اهتمام السياسة بمتابعة هدا الجانب متوسطا في العشرينات ولكنه تصاعد بشكل ملحوظ خلال الثلاثينات. ومن الناحية الصحفية استخدمت صحيفة السياسة الخبر كوسيلة أساسية لمتابعة ما يدور من أحداث وتطورات داخلية في فلسطين في تلك المرحلة[96] ويلي ذلك المقال الذي كان يحمل وجهة نظر الصحيفة بشكل مباشر أو غير مباشر. وكثيرا ما كانت تنقل السياسة من الصحف البريطانية بعض المقالات التي تعالج القضية الفلسطينية[97]. وغالبا ما كانت تحتل أنباء القضية الفلسطينية الصفحة الأولى في صحيفة السياسة[98].

أما البعد الصهيوني للقضية الفلسطينية وهو يتضمن النشاط الصهيوني داخل فلسطين وخارجها والمؤتمرات الصهيونية والهجرة اليهودية وشراء الأراضي وتفاعل كل هذه الجوانب مع الأطراف الأخرى للصراع. عالجت صحيفة السياسة هذا الجانب من خلال المقال أساسا ثم الخبر[99]. وقد كانت تركز كل النشاط الصهيوني داخل فلسطين ثم يلي ذلك المؤتمرات الصهيونية.

وفيما يتعلق بالبعد البريطاني للقضية الفلسطينية الذي يشتمل على السياسة البريطانية في فلسطين في العشرينات والثلاثينات أي نشاط المندوب السامي والمشروعات البريطانية في مجال الحكم الذاتي والهجرة وبيع الأراضي ولجان التحقيق البريطانية وصدى ذلك لدى الحركة الوطنية الفلسطينية والدوائر الصهيونية، فقد تناولت السياسة هذا الجانب، من خلال المقال ثم الخبر[100]. وكانت تستعين في معالجة هذا الجانب بالمقالات المنقولة عن الصحف البريطانية والتي تحمل في الغالب وجهات نظر معتدلة. وقد كان تركيز السياسة على تحليل السياسة البريطانية في العالم العربي ككل وفي فلسطين بوجه خاص[101]، ومناقشة وعد بلفور وان لم تغفل متابعة نشاط المندوب السامي البريطاني في فلسطين[102]. أما البعد العربي للقضية الفلسطينية فلم تعره السياسة اهتماما بل نلحظ أنها اهتمت بالبعد الدولي للقضية، فأشارت إلى تقارير لجنة الانتدابات الخاصة بفلسطين كما أشارت إلى صدى القضية في الدوائر الأوروبية[103].

وقد عالجت صحيفة السياسة اليومية القضية الفلسطينية في

العشرينات والثلاثينات من منطلق قومي علماني يستنكر سياسة العنف التي كانت تلجأ أليها أحيانا الحركة الوطنية الفلسطينية[104]. ولذلك كانت السياسة تلتقي مع الفريق المهادن في الحركة الوطنية الفلسطينية الذي يعرف بفريق المعارضة أو النشاشيبية ويميل إلى (التعاون مع الإنجليز واليهود على أساس الحقائق السياسية الراهنة[105]).

وكانت السياسة تصور الصراع في فلسطين من الزاوية القومية الصحيحة إذ كانت ترى آن الاستعمار البريطاني هو الذي وضع مشروع الوطن القومي اليهودي وهو الذي يؤازره ويعمل على تنفيذه في فلسطين وهو الذي يظاهر اليهود على العرب (وان الاستعمار البريطاني لم يبعث باليهود إلى فلسطين حبا باليهودية أو تنفيذا لفكرة إنسانية ولكن لكي يجعل من فلسطين بركانا من القلاقل والاضطرابات وليخلق فيها حالة سياسية تقتضي دائما وجوده وسيطرته[106]).

ورغم التصور الصحيح للصراع الذي كانت تطرحه السياسة آنذاك فأنها كانت تطرح حلولا غير وطنية. ودليل ذلك موقفها من الحركة الوطنية الفلسطينية، فهي توجه نقدا مرا لقيادة الحركة الوطنية وترى أنها لا تتوفر فيها شروط الزعامة وأنها تضم خليطا من العناصر المفككة المتناقضة وتفتقر إلى برنامج وطني واضح. علاوة على أنها تتخذ قرارات متطرفة ثم تتراجع عنها[107] فضلا عن ذلك تدين صحيفة السياسة أسلوب الثورة كوسيلة لحسم هذا الصراع فترى أن الثورة سبيل خطر لتأييد الحقوق آو استردادها وان إهدار الدماء أشد ما يناقض أساليب العصر وروحه[108]. وهي تطرح تصورها للسلوك الذي يجب أن تنهجه الحركة الوطنية فتقول أن لفلسطين كباقي الشعوب الشرقية أمانيها الوطنية ولكن التذرع بالسكينة والأناة والحكمة سلاح ناجح وأما الثورة الدموية فأنها في الغالب ترتد إلى عكس الغاية وتسفر عن أثار رهيبة[109].

وبناء على ذلك تحدد السياسة موقفها من الصراع في فلسطين فترى حسمه من خلال الإقناع واللجوء إلى التحكيم استنادا إلى أن مبادئ الوفاق والتحكم قد أصبحت شعار العمر في فض الخصومات والمنازعات الدولية والقومية ولذلك كان حريا بالعرب واليهود معا آلا يدخروا وسيلة للالتجاء إلى التحكيم في فض الخصومات الناشبة بينهما[110].

وقد تمخض هذا الموقف من جانب السياسة عن انحيازها إلى الطرف المهادن في الحركة الوطنية الفلسطينية آي النشاشيبية كما أسلفنا، ويعكس هذا الموقف من جانب صحيفة السياسة الاتجاه الفكري والسياسي للحزب الذي تنطق باسمه، آي حزب الأحرار الدستوريين الذي كان يتبنى ذات السياسة ويحتل ذات الموقع داخل الحركة الوطنية المصرية.

وعلى ضوء ذلك كانت السياسة تؤيد مبدأ التعاون مع حكومة الانتداب البريطانية في فلسطين، وقد وجهت اللوم إلى اللجنة التنفيذية العربية بسبب مقاطعتها لمشروع المجلس التشريعي وانتخاباته. إذ كانت السياسة ترى أنه من الأفضل أن يكون للامة الفلسطينية مثل هذا المجلس الذي كان يمكن أن يكون وسيلة لاطلاع الحكومة على رغبات الآمة ومطالبها ولو إلى حد معين[111].

موقف السراي.. من القضية الفلسطينية:

عندما ألغيت الخلافة سنة 1924 قامت في الهند وفي بعض البلاد الإسلامية هيئات تدعو إلى نقل الخلافة إلى دولة إسلامية، وكان هناك اتجاه بان بريطانيا ترحب بان تكون الخلافة في مصر، علاوة على وجود مثل هذا الاتجاه لدى بعض الدول الإسلامية عدا أهل الحجاز وعلى رأسهم الملك عبد العزيز أل سعود. وقد أخذ الاهتمام بهذه المسالة يزداد وخصوصا في نهاية 1925. وقد كان الملك فؤاد يتجه ببصره إلى الخلافة، واستعان برجال الأزهر من أجل الدعوة لهذه الفكرة. وقد استقر الرأي على الدعوة لعقد مؤتمر إسلامي في القاهرة يضم جميع الدول الإسلامية لبحث مسالة الخلافة، ولكن تصدى الوفد والأحرار الدستوريون لمحاربة الفكرة، ونجحوا بالفعل في إفشالها[112]، وكان فشل هذه الفكرة بمثابة إغلاق الباب نهائيا في وجه الجامعة الإسلامية وتأكيدا للتيار القومي المصري. وقد شهدت هذه الفترة (نهاية العشرينات) أحداث البراق التي اهتز لها الشعب المصري بمختلف فئاته، وكان لها الصدى الأقوى لدى الأوساط الإسلامية في مصر. ولم يكن الصراع على البراق في حقيقته سوى مظهر للصراع القومي بين الحركة الوطنية الفلسطينية والاستعمار البريطاني الصهيوني في فلسطين. وقد هبت القوى الوطنية في فلسطين تدعو العالم الإسلامي والعربي لمؤازرتها

في تلك المعركة التي لم تكن تتعلق بالشعب الفلسطيني وحده، ولكن بالعالم العربي كله. ودعا المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين إلى عقد مؤتمر إسلامي عام بالقدس لخلق كتلة إسلامية عربية قادرة على الوقوف في وجه الأطماع اليهودية[113]. في هذه الفترة عارض الملك الاشتراك في المؤتمر الإسلامي، إذ أن فشل مشروع الخلافة جعله يعارض أية دعوة للجامعة الإسلامية لا تخرج من تحت تاجه. ولما كانت الفكرة العربية في مصر في تلك المرحلة تتشابك مع النزعة الإسلامية، لذا فقد اتسم موقف السراي من القضايا العربية بنفس الحذر والتحفظ الذي اصبح يتسم به موقفها إزاء القضايا الإسلامية خصوصا بعد فشل مسألة الخلافة. وقد ظل هذا الموقف يحكم اتجاه السراي إزاء القضية الفلسطينية طوال العشرينات والثلاثينات إلى أن استبدلت السراي بمطمحها الإسلامية التي وأدتها الظروف في تلك الفترة مطامح عربية في بداية الأربعينات[114].

صحيفة الاتحاد.. والقضية الفلسطينية:

تجسد صحيفة الاتحاد موقف السراي من القضية الفلسطينية خلال فترة العشرينات والثلاثينات. فقد تابعت الاتحاد الصراع في فلسطين خلال تلك المرحلة. ولم تهمل حادثا واحدا من إحداث القضية، بل تابعت مختلف تطوراتها سواء من الناحية الخبرية أو التعليق عليها عدا مقالات الرأي التي كانت تحمل وجهة نظر حزب الاتحاد وبالتالي السراي في القضية الفلسطينية. وقد كان الخبر هو الوسيلة الرئيسية التي اعتمدت عليها صحيفة الاتحاد في متابعتها للأحداث الفلسطينية ويلي ذلك المقال ثم التعليقات وان كانت لم تستبعد الفنون الصحفية الأخرى مثل التحقيق[115]. وقد نال الجانب الفلسطيني النصيب الأكبر من اهتمام الاتحاد إذ قامت بتغطية أحداث الثورات الفلسطينية 1929 ، 1933 من خلال برقيات وكالات الأنباء وكانت تنشرها تحت عنوان (أخبار الشرق)[116] آما جوانب الحياة اليومية بالنسبة للشعب الفلسطيني فقد تناولتها الاتحاد من الجانب الخبري فقط وكانت غالبا ما تنقل عن الأهرام والمقطم فضلا عن (التلغرافات اليومية.)

ويلاحظ أن الاتحاد كانت تركز على النشاط الرسمي (المحاكم-المؤتمرات

الاقتصادية-المشروعات العامة-البنوك)[117]. وقد اهتمت الاتحاد بالإشارة إلى الجهود التي تبذل من أجل التفاهم بين العرب واليهود[118] ولم تول الاتحاد قضية بيع الأراضي رغم أهميتها ما تستحقه من اهتمام بل اكتفت بمتابعتها من خلال وكالات الأنباء وفي عامي 1934 , 1935[119] فقط وقد أولت الاتحاد اهتماما ملحوظا للنشاط الصهيوني في فلسطين وركزت على إبراز أهمية وعد بلفور والإشادة بالوطن القومي ومنجزات اليهود في فلسطين البراز العلاقة بين الانتداب والصهيونية[120].

واهتمت الاتحاد بالإشارة إلى حوادث الهجرة غير المشروعة وتهريب اليهود إلى فلسطين عن طريق مصر[121]. كذلك نلحظ تزايد اهتمام الاتحاد بمتابعة أحوال اليهود في مصر والدول العربية وتركيزها على حوادث الاضطهاد التي تعرض لها اليهود في روسيا وألمانيا[122] وتناولت الاتحاد السياسة البريطانية في فلسطين من زاوية نشاط المندوب السامي وتصريحاته وتنقلاته[123]. وكانت الاتحاد أحيانا تنقل عن الصحف البريطانية (الديلي ميل - الفورتنتلي ريفيو) وأحيانا أخرى كانت تنقل عن مراسل الأهرام في لندن وخصوصا في متابعتها لتطورات القضية الفلسطينية في مجلس العموم البريطاني[124]. وكما اهتمت الاتحاد بتسجيل صدى الأحداث الفلسطينية لدى الدول العربية، فقد كان تركيزها على رد الفعل المصري واضحا.

وكانت الاتحاد اكثر الصحف اهتماما بحركة العلاقات المصرية الفلسطينية ومتابعتها بجميع أبعادها البريطانية واليهودية والعربية، وقد ركزت على العلاقات التجارية والاقتصادية وبشكل خاص خلال الثلاثينات[125].

كذلك تابعت الاتحاد البعد الدولي للقضية الفلسطينية والذي يتمثل في علاقتها بعصبة الأمم ولجنة الانتدابات وكان اهتمامها بهذا الجانب يفوق الصحف المصرية الأخرى[126].

كانت الاتحاد تصور الصراع في فلسطين على آن المسلمين والمسيحيين في فلسطين يواجهون تهديدا خطيرا لكيانهم القومي يتمثل أساسا في الخطر الصهيوني علاوة على وقوع بلادهم تحت الانتداب البريطاني وترى أن إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين هو الحل الأوحد المطروح

لمشكلة اليهود في العالم. وان حياة فلسطين قد بلغت من الازدهار والقوة خلال السنوات التي تدفقت فيها الهجرة اليهودية مصحوبة برؤوس الأموال مما لا يمكن إغفاله. وانه من الخطأ المبين الاعتقاد بأن فلسطين أصبحت مأوى للفقراء المشردين. ولذلك أن إنشاء الوطن القومي في فلسطين يعد فاتحة عهد جديد فيها وسيكون هذا العهد حافلا بالعجائب والمدهشات[127].

وكانت الاتحاد تطرح حلا للصراع الفلسطيني الصهيوني البريطاني يلتقي مع الحلول التي طرحتها الصحافة الصهيونية في مصر وروجت لها المقطم والسياسة وهى ضرورة الاتفاق بين الفريقين لتسوية ما بينهما من خلافات. وقد دأبت الاتحاد على ترديد هذه النغمة في أكثر من مقال حتى وصلت إلى حد الادعاء بان الدوائر العربية المتطرفة قد بدأت تقتنع بهذا الحل. وكانت تبرر هذا الحل بان بريطانيا قد هددت بالعدول عن إنجاز المشروعات الإصلاحية الكبيرة في فلسطين وشرق الأردن ما لم يتوصل العرب واليهود إلى عقد اتفاق بينهما بأي ثمن[128]. وفسرت الاتحاد موقف العرب وميلهم إلى التفاهم مع اليهود بأنه يبدو أن العرب قد تأثروا من تدفق الهجرة اليهودية ولذلك أصبحوا يميلون إلى التفاهم مع اليهود على تسوية هذه المسألة[129].

وتبدي الاتحاد تفاؤلا شديدا إزاء هذا الموقف من جانب بعض القادة العرب وترحيبهم بفكرة التفاهم العربي الصهيوني، وتستشهد بمواقف بعض القادة السوريين ومنهم رياض الصلح الذي أعرب عن موافقته على قضية التفاهم بين العرب واليهود[130].

وتنفرد الاتحاد عن الصحف المصرية المعاصرة لها بأنها قد شنت حملة هجوم عنيف على المؤتمر الإسلامي الذي عقد بالقدس 1931 إذ هاجمت الموعد الذي حدد لاجتماعه وجدول الأعمال الذي أعده ولخصت موقفها في أن كثيرين من آهل الرأي والمشورة يرون وجوب انتقال الداعين إلى مصر لمقابلة أهل الحل والعقد فيها والاتفاق على طريقة الاجتماع وتحديد موعده ووضع برنامجه[131]. ولا شك أن الاتحاد بموقفها هذا كانت تعكس وجهة نظر السراي التي أظهرت عداء ا واضحا إزاء أية دعوات إسلامية لا تصدر من جانبها أولا يكون لها مكان الصدارة فيها وخصوصا بعد فشل الدعوة إلى عقد مؤتمر للخلافة ولتحقيق طموح الملك فؤاد في إن يصبح

خليفة للمسلمين.

الأخوان المسلمون.. والقضية الفلسطينية:

لقد أعلن الأخوان المسلمون تضامنهم الكلي مع عرب فلسطين منذ بداية تطور القضية الفلسطينية، وقد نبع اهتمامهم من (شعور دفاق بحق العروبة ورابطة الإسلام)[132]. على حد قول ألبنا. وقد لعب العامل الديني دورا أساسيا في احتضان الأخوان المسلمين للقضية الفلسطينية باعتبارها جزءا من العالم الإسلامي الذي يرون أن أي اعتداء على قسم منه هو اعتداء على باقي الأقسام، وأن واجب المسلمين في سائر ديارهم مد يد العون لبعضهم بعضا[133].

وقد استطاعت حركة الأخوان المسلمين أن تحرك الري العام المصري تجاه القضية الفلسطينية من الزاوية الدينية مما ترتب عليه ردود فعل معادية للحركة الصهيونية واليهود في مصر. وقد استفادت حركة الأخوان من الناحية السياسية عندما نجحت في امتصاص طاقات السخط لدى الشعب المصري إزاء الحركة الصهيونية بتصويرها المعركة في فلسطين على أنها معركة بين اليهودية والإسلام وليست معركة قومية.

وقد برز دور الأخوان المسلمين أثناء ثورة فلسطين الكبرى عام 1936 عندما سارعوا آلي تنظيم المظاهرات ألفوا اللجان لتلقي التبرعات وإرسالها إلى اللجنة العربية وقاموا بإرسال برقيات احتجاج إلى المندوب السامي بفلسطين ووزارة الخارجية البريطانية وعصبة الأمم. ودعوا إلى تشكيل تجمع يشترك فيه الأمير عمر طوسون والهيئات المهتمة بالقضية الفلسطينية في مصر للعمل من اجل مساعدة الثورة العربية في فلسطين. كما طالبوا بتحويل اعتمادات لجنة مساعدة الحبشة إلى مساعدة الثورة الفلسطينية. ولم تكف صحيفة الأخوان المسلمين عن توجيه النداءات المتوالية إلى شعب مصر والدول الإسلامية والمسيحية تستحثهم إلى الإسراع للدفاع عن مهبط الأديان وموطن المقدسات[134].

وقد دأبت صحيفة الأخوان المسلمين على توجيه اللوم والنقد لموقف المفكرين المصريين المتسم بالسلبية إزاء هذه القضية الإسلامية الهامة، وكذلك لموقف باقي الفئات الإسلامية في مصر من شباب وأطباء وأثرياء

لأنهم تقاعسوا عن التطوع للدفاع عن هذا الوطن المقدس، ولم يتبرعوا بالأموال لإنقاذ ديار فلسطين، ولم يبادروا إلى إرسال النجدات الطبية لعلاج المرض والجرحى وشهداء الإسلام هناك[135].

وكان من أيسر الأمور بالنسبة للإخوان المسلمين أجراء المقارنات بين موقف المسلمين المتخاذل إزاء نصرة القضايا الإسلامية وموقف الأقباط المتسم بالإيجابية إزاء مساندة القضايا المسيحية. وكانت قضية اعتداء إيطاليا على الحبشة وإسراع الكنيسة المصرية والجمعيات القبطية للتضامن وإغاثة المنكوبين في الحبشة موضع تعليق دائم من جانب حركة الأخوان التي كثيرا ما كانت تلجا إلى هذه المقارنة كي تحث المسلمين على التحرك من أجل مساندة فلسطين وإنقاذ الحرم قبل أن يأتي الوقت الذي يريدون فيه الصلاة فلا يستطيعون[136].

ولا تكف صحيفة الأخوان المسلمين عن استثارة الحمية الدينية لدى الشعب المصري لإنقاذ المقدسات الإسلامية في فلسطين، فتقول: لو سار المسلمون كما سرنا إلى أرض فلسطين، ولو وقفوا أمام الحرم ومشوا في شوارع بيت المقدس ورأوا أسراب الرجال والنساء، ونظروا كتائب اليهود المنظمة وجيوش الصهيونية الظالمة التي تفد على فلسطين من سائر بقاع الأرض، ثم نظروا هم كيف يتجمعون عند الحرم ويقفون عند البراق الشريف فينفخ أحدهم في البوق خلافا لكل عرف ونظام فيجيبه جمهور اليهود (في العام المقبل يا إسرائيل) لو نظر المسلمون ذلك وفهموا ما يرمي إليه اليهود من وراثة لتجافت جنوبهم عن المضاجع وسارعوا لإنقاذ الحرم قبل أن يأتي الوقت الذي يريدون فيه الصلاة فلا يستطيعون[137]. وقد نشأت علاقة وثيقة بين الشيخ حسن ألبنا والحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى. وقد كانت بينهما مراسلات دائمة لتبادل وجهات النظر. وكانت حركة الأخوان تنظر إلى مفتي فلسطين باعتباره رجلا اجتباه الله لحماية فلسطين وقذفه رعبا في قلوب عدوها وأسكنه بقعة من الحرم قد بارك حولها، ولكن ليس معنى ذلك آلا يحمل معه العالم الإسلامي فلا تبذل في سبيل نصرته أموال المسلمين وأرواحهم[138].

وقد كان للموقف البريطاني العنيف ضد ثورة 1936 والقرار الذي أصدرته سنة 1938 بحل اللجنة العربية العليا وإلغاء وظيفة المفتي والقبض على

زعماء الثورة العربية في فلسطين كان لذلك أسوأ الأثر في نفوس الأخوان. كذلك اعتبرت حركة الأخوان موقف بريطانيا من الثورة في فلسطين بأنه موقف عداء وتحد صريح للعالم الإسلامي ولا يمكن معه أن تتحسن العلاقات بين بريطانيا والشعوب المسلمة[139].

مصر الفتاة.. والقضية الفلسطينية:

لقد عرف حزب مصر الفتاة باتجاه عربي واضح منذ تكوينه في الثلاثينات (أكتوبر 1933).. ومع إن الإطار الأيديولوجي لمصر الفتاة كان يدور حول ضرورة بعث مصر بعثا جديدا داخل إطار الصيغة المصرية الإسلامية، فانه لم يصرف وجهه عن القضايا العربية. فهو يطالب ببعث مجد مصر القديم وتأسيس إمبراطورية عظيمة تتألف من مصر والسودان وتحالف الدول العربية وتتزعم الإسلام وإشعال القومية المصرية بحيث تصبح كلمة المصرية هي العليا وتصبح مصر فوق الجميع[140]. وقد أعلن أحمد حسين برنامج مصر الفتاة على صفحات جريدة الصرخة يوم 21 أكتوبر 1933. والواقع آن دعوة مصر الفتاة وانحصارها داخل الفكرة القومية الضيقة وفي إطار فكرة الإمبراطورية المصرية قد انعكس بشكل مباشر على موقفها من القضية الفلسطينية. فقد كان اهتمام مصر الفتاة بقضية فلسطين نابعا في الأساس من مصدر متعصب مبعثه كراهية اليهود. وقد ترتب على هذا المفهوم الخاطئ لطبيعة الصراع الفلسطيني الصهيوني تورط الحزب في القيام بحملات عنصرية معادية لليهود المصريين وتحريض المواطنين على مقاطعتهم اقتصاديا ومحاولة تهييج واستثارة الرأي العام المصري ضدهم[141].

وقد نجح حزب مصر الفتاة في توثيق علاقاته منذ بداية وجوده مع بعض المواطنين الفلسطينيين المقيمين في مصر بشكل خاص مع محمد علي الطاهر صاحب صحيفة الشورى. وعندما أصدر الحزب صحيفته عام 1938 التي حملت اسم الحزب نفسه فتح صفحاتها لمحمد علي الطاهر خصوصا بعد أن صادرت السلطات البريطانية في مصر صحيفة الشورى[142].

والحقيقة أن صحيفة الصرخة التي أستأجرها أحمد حسين كي تكون

لسان حال مصر الفتاة من 1933 وحتى صدور صحيفة مصر الفتاة سنة 1938 لم تعثر فيها على مقالات أو تعليقات على ما كان يدور في فلسطين في ذلك الحين، بل احتوت على بعض المقالات القصيرة التي كانت تتضمن هجوما عنيفا على اليهود في مصر وتدعو آلي مقاطعتهم ردا على ما كان يحدث لعرب فلسطين على أيدي الصهيونية [143].

اليسار الماركسي.. والقضية الفلسطينية:

في أعقاب ثورة 1919 تجمعت الحلقات الماركسية المصرية والأجنبية مكونة الحزب الاشتراكي المصري والذي أعلن برنامجه الأول في 18 أغسطس 1921[144]. وفي يناير 1923 تقرر تغيير اسم الحزب إلى الحزب الشيوعي المصري. وفي عام 1924 وتحت ضغط أصحاب رؤوس الأموال الأجانب وتهديد سلطات الاحتلال البريطاني التي أرسلت بوارجها إلى الإسكندرية صفي بالقوة اعتصام عمالي قوده الحزب في الإسكندرية ثم سرعان ما أصدرت حكومة سعد زغلول قرارا بحل الحزب واتحاد العمال مما وأصدرت أحكاما قاسية على قادة الحزب، لكن الحزب الشيوعي المصري لم يتحطم تماما سنة 1924 في استمرت الكثير من خلاياه في معظم المدن المصرية. أعاد الحزب تنظيم نفسه وكون لجنة مركزية جديدة وكان الحزب على صلة بالحزب الشيوعي الفلسطيني. وظل باستمرار فرعا معترفا به من قبل الدولية الشيوعية. وكان نشاط الحزب سريا تماما ولم تتوقف الحكومة المصرية عن مطاردة الحزب طوال هذه المرحلة[145].

ووفقا لقانون المطبوعات كان يتعين الحصول على ترخيص من وزارة الداخلية لإصدار أي مطبوع دوري.

وفي هذه الفترة كان الحزب الاشتراكي قد طلب من الحكومة رخصة لإصدار صحيفة خاصة به. ولكن وزارة الداخلية رفضت هذا الطلب لا سيما على اثر ما نشره الحزب من الاحتجاجات والاعتراضات المتعلقة بالسياسة المحلية ولما لم ينجح في الحصول على الرخصة جعل يبحث عن جريدة موجودة فوجد جريدة الشبيبة، وهى جريدة أسبوعية أدبية اجتماعية للشيخ عبد الحميد النحاس، فاتفق وإياه على تحويلها إلى جريدة اشتراكية[146]. وقد صدر عددها الأول في أوائل يوليو 1922. ثم أصدرت

وزارة الداخلية أمرا بإغلاقها ومنع نشرها.

وقد تكررت المحاولة من جانب الحزب إذ اشترى امتياز العديد من الصحف التي لم يكتب لها الدوام وتميزت بقصر العمر نتيجة الملاحقة المستمرة من أجهزة الآمن ومحاربتها لها بسلاحي الإغلاق والمصادرة. وقد لجأت المنظمات اليسارية في كثير من أتلاحيان إلى إصدار نشرات غير دورية إذ أنها لا تحتاج لآذن خاص. وكان الحزب الشيوعي يلجأ في مختلف المناسبات إلى إصدار نشرة مطبوعة بعنوان (خطاب مفتوح إلى....) وقد صدر منها عدة أعداد مثل (خطاب مفتوح إلى سعد زغلول) و (خطاب مفتوح إلى المثقفين)[147]، هذا إلى جانب النشرات السرية الخاصة التي كانت يصدرها الحزب. وفي مارس 1925 أستأجر الحزب رخصة جريدة «الحساب» من صاحبها إبراهيم الصبحى الذي كان قد فشل في مواصلة إصدار جريدة يومية ذلك أنه أصدرها أسبوعية ثم توقفت الحساب عن الصدور بعد العدد العاشر الصادر في 23 ديسمبر 1924. ثم عاودت صدورها على يد رفيق جبور وكوادر الحزب الشيوعي في 6 مارس 1925 وقد ظلت تصدر حتى مايو1925. وقد حدد الحزب الشيوعي المصري موقفه من الفكرة العربية من خلال الشعارات التي بدأت تتردد في بياناته عن (وحدة الشعوب العربية في الكفاح ضد الاستعمار). وعندما تأسست (عصبة النضال ضد الإمبريالية) في بر وكسل سنة 1923 طرح الماركسيون المصريون مشروع تأسيس فرع لها في مصر يضم ممثلي مختلف القوى الوطنية. وقد شارك الحزب الوطني وزعيمه حافظ رمضان في الاتصالات والجهود التي بذلها الحزب الشيوعي مع ممثلي العصبة، وكان المشروع ينص على تأسيس فروع مماثلة في مختلف البلدان العربية على أساس أن تشكل منها قيادة مركزية عربية يمكن أن يطلق عليها اسم «عصبة تحرير البلدان العربية»[148]. وقد كان موقف الحزب الشيوعي المصري جزءا من الموقف العام للحركة الشيوعية العالمية إزاء الواقع العربي في ذلك الوقت. وقد أصدرت العصبة المناهضة للإمبريالية في نوفمبر سنة 1929 بيانا بعنوان (النضال من أجل حرية الشعب العربي) حددت فيه موقفها من القضية العربية على اثر وقوع أحداث البراق أغسطس 1929 في فلسطين-وقد جاء في البيان (لقد أوضحت أحداث فلسطين الأخيرة حقيقة أن القضية الوطنية العربية تشكل في

الوقت الراهن أحد القضايا الهامة في السياسة العالمية. والعرب يمتلكون كل الحق في القضاء على تقسيم وطنهم)[149].

الصحف المصرية غير الحزبية.. والقضية الفلسطينية:

١- موقف المقطم من القضية الفلسطينية:

يتحدد موقف المقطم من القضية الفلسطينية خلال العشرينات والثلاثينات انطلاقا من تبعيته المطلقة للاستعمار البريطاني وموقفه المعادي للحركة الوطنية المصرية. وقد حددت نشأته منذ صدوره سنة 1889، التزامه المسبق بالدفاع عن المصالح البريطانية ليس في مصر فحسب بل في الهند والمنطقة العربية وسائر أنحاء الإمبراطورية البريطانية. وقد انتهجت المقطم في معالجتها للقضية الفلسطينية نهجا مخالفا لمعظم الصحف المصرية الأخرى سواء من حيث حجم للاهتمام آو نوعه. فقد كان من المتوقع بالنسبة لهذه الصحيفة في ضوء ما عرف عنها من ارتباط وثيق بالسياسة البريطانية آن تكون لسانا للدفاع والدعاية للصهيونية في مصر وتسفر عن موقف شديد العداء لحقوق الشعب الفلسطيني. ولكن ما حدث كان مخالفا لهذا التوقع من حيث الشكل على الأقل. إذ آن المقطم قد طبقت هذا المخطط بالفعل ولكن من خلال سياسة حكيمة شديدة الدهاء والنعومة. فهي الصحيفة المصرية الوحيدة التي أتاحت الفرصة للكتاب العرب والكتاب اليهود لإبداء وجهات نظرهم على صفحاتها في مختلف التطورات التي طرأت على مسرح الأحداث في فلسطين خلال تلك المرحلة. وقد أعفت نفسها في ظل هذا الموقف من إبداء وجهة نظرها بشكل مباشر في الأحداث الفلسطينية. ومما يضاعف صعوبة الباحث أن صحيفة المقطم لم تقتصر على هذا الأسلوب بل لجأت آلي عدة أساليب متنوعة أولها أنها عينت لها مراسلا خاصا في فلسطين كان يوقع باسم صبير، وثانيها أنها كانت غالبا ما تنقل وجهات نظر الصحف البريطانية والصهيونية والفلسطينية فيما يتعلق بتطورات القضية. ومن خلال هذا التنوع ونشر الرأي ونقيضه تزداد الصعوبة في التقاط الخيط الأساسي الذي يعبر عن وجهة نظر المقطم.

وتتميز المقطم في معالجتها للقضية الفلسطينية بأبعادها المطروحة في تلك الفترة بالتحديد والفصل بين كل بعد من أبعاد القضية، ففي

الجانب الفلسطيني للقضية تجدها تمنح الفرصة كاملة للكتاب الفلسطينيين المقيمين في مصر وخارجها للكتابة وإبداء وجهة نظرهم، وأبرزهم في هذا الصدد نسيم صبيعه وإحسان الجابري ومحب الدين الخطيب ومحمد علي الطاهر. كذلك في الجانب الصهيوني للقضية تتيح المقطم للكتاب اليهود فرصة واسعة للكتابة والتعليق على كل ما يمس الحركة الصهيونية ومستقبل الوطن القومي اليهودي في فلسطين. وأبرز هؤلاء الكتاب سعد يعقوب المالكي والياس ساسون وعزرا ليفي ودانيال ليفي ود. هلال فارحي ويعقوب خوري. آما الجانب البريطاني للقضية فقد تبارى الكتاب من الجبهتين في الكتابة وإبداء آرائهم التي غالبا ما كانت تعكس التناقض الجذري بين الحقوق العربية والأطماع الصهيونية في فلسطين وعجز بريطانيا عن التوفيق بين هذه المتناقضات.

وقد اهتمت المقطم في تناولها للبعد الفلسطيني بإبراز مطالب الفلسطينيين علاوة على المقالات التي كانت تتناول القضية بشكل عام[150]. وقد نال هذا الجانب نصيبا وافرا من اهتمام المقطم التي تابعت معظم تفصيلاته وخصوصا الانتفاضات والثورات التي قام بها الشعب الفلسطيني في مواجهة الصهيونية والانتداب البريطاني[151]. ومع ذلك لم تمنح المقطم القضايا الجوهرية في الصراع وهما قضيتا الأراضي والهجرة الاهتمام المتوقع[152]. وقد أبدت المقطم اهتمامها بمناقشة أسباب المقاطعة بين العرب واليهود مستهدفة التوصل إلى تجاوز هذه الأسباب والترويج للدعوة إلى التفاهم بين العرب واليهود. وقد ساهم الكتاب اليهود المصريون ذوو الميول الصهيونية بنصيب وافر في هذه المسألة[153].

هذا وقد أولت المقطم اهتماما ملحوظا بالنشاط الصهيوني في فلسطين وخصوصا الإنجازات الصهيونية والدور الإيجابي الذي تقوم به الوكالة اليهودية في معاونة حكومة الانتداب من أجل التعجيل بإقامة الوطن القومي[154]. وكما أسلفنا كان اهتمام المقطم بمسالة الهجرة اليهودية محدودا وتعتبر اقل الصحف المصرية اهتماما بهذا الجانب[155]. كذلك لم تبد المقطم اهتماما يذكر بالمؤتمرات الصهيونية[156].

وقد تجلت براعة المقطم في معالجتها للسياسة البريطانية في فلسطين، إذ اتسمت هذه المعالجة بقدر ملحوظ من الدهاء والمداورة والحذر وركزت

المقطم على علاقات المندوب السامي بالجانب الفلسطيني[157]. وأفردت صفحاتها للكتاب العرب واليهود لمناقشة وعد بلفور واختلاف وجهات النظر فيه[158]. كما ناقشت المقطم احتمال تخلي بريطانيا عن الانتداب في فلسطين وأوضحت حيرتها إزاء المشكلة الفلسطينية[159].

وقد نال البعد الدولي للقضية الفلسطينية قدرا لا بأس به من اهتمام المقطم وخصوصا صدى الحوادث الفلسطينية في دول الغرب[160] وعلاقة المسألة الفلسطينية بعصبة الأمم[161].

ولكن يلاحظ أن المقطم أهملت عن عمد صدى الحوادث الفلسطينية في الدول العربية والإسلامية كما أنها لم تشر مطلقا إلى ردود الفعل المصرية إزاء القضية.

وفيما يتعلق بالرؤية التي انطلقت منها المقطم في موقفها إزاء القضية الفلسطينية.. نلاحظ أنه رغم أسلوب الحذر الذي التزمت به في عدم الإفصاح بشكل مباشر عن موقفها، يمكننا أن نستشف حقيقة موقفها من خلال بعض التعليقات والمقالات المتناثرة عبر العشرينات والثلاثينات علاوة على أنها جندت معظم أعدادها لوجهة النظر الصهيونية. ورغم أنها كانت تتيح للكتاب الفلسطينيين فرصة الكتابة فقد حظي المدافعون عن الفكر الصهيوني والدعوة الصهيونية بنصيب مضاعف.

ومن خلال أجراء إحصاء سريع لهذا الموضوع يتبين لنا أن النسبة تبلغ مرة واحدة لكل كاتب فلسطيني مقابل مرتين ونصف أو ثلاث مرات للكاتب اليهودي.

ولذلك أصبحت وجهة النظر الصهيونية مطروحة بشكل شبه دائم على صفحات المقطم. وقد بلغت قدرة المقطم على التضليل حدا وصل إلى أن صحيفة الشورى التي كان يصدرها الصحفي الفلسطيني محمد علي الطاهر في مصر نشرت شكرا وثناء على المقطم (لتوخيها الحق فيما تكتب) وأنها لا تخشى في الحق لومه لائم: فهي تنصر اللجنة التنفيذية في الحق وتأخذ عليها سلبياتها، كما أنها تأخذ على الأحزاب الأخرى عيوبها دون تحامل، ذلك بخلاف أكثر الكتاب الذين يوالون فريقا على حساب آخر[162].

وتصور المقطم الصراع في فلسطين على أنه نتاج ظروف عارضة، لان هذا البلد وتقصد فلسطين محكوم عليه بان يكون وطنا مشتركا يبن الشعبين

الشقيقين اليهودي والعربي سواء رضيا آم أبيا. وإذا كانت هناك بعض العوائق الخارجية التي قد تعرقل مسيرة الحركة الصهيونية فأنها لا تستطيع بآي حال إسقاطها والقضاء عليها طالما هناك شعب إسرائيلي حي على وجه الأرض[163].

وتظل هذه النغمة تتردد بأساليب مختلفة في معظم المقالات والتعليقات التي نشرتها المقطم في هذا الصدد. فهي تحاول دائما أن تصور الصهيونية على أنها لا تهدف مطلقا إلى طرد العرب من فلسطين وان فلسطين رغم أنها بلاد صغيرة، فان فيها متسع لأبنائها العائدين إليها من مختلف أنحاء العالم والممتلئين حماسا وقدرة على البناء والتعمير[164].

ولم تكف المقطم عن ترويج الدعوة الخاصة بضرورة التفاهم بين العرب واليهود. وقد انفردت بنشر وثيقة تاريخية تسجل اللقاء الذي تم بين الملك حسين بن علي والوفد الصهيوني سنة 1924. وتتضمن هذه الوثيقة تفاصيل اللقاء والخطاب الذي رفعه الوفد إلى الملك حسين يبدي فيه رغبة الشعب الإسرائيلي في الاشتراك مع الآمة العربية في سبيل نهضة الشرق. وقد رحب بهم الملك حسين ومنح الحاخام مير وسام الاستقلال بعد أن قدم الوفد الصهيوني، أمانيه لجلالة الملك في داخل إطار من القدسية[165].

وكانت المقطم تشير أحيانا إلى تدهور الأحوال في فلسطين دون أن تذكر الأسباب الحقيقية لهذا التدهور. ولكنها كانت تنصح أهل البلاد بأمرين: أولهما: ضرورة السعي بثبات من أجل تقدم بلادهم، وثانيهما: وجوب التخلص من خلافاتهم ومنازعاتهم والاقتداء بالأمم الأخرى التي لم تحقق أمانيها آلا بالاتحاد والإخلاص والعمل والصبر[166].

2- موقف الأهرام من القضية الفلسطينية:

تناولت الأهرام القضية الفلسطينية من منطلق صحفي أكثر منه فكري أو سياسي، لذ يتميز تناولها للقضية بعدة سمات تجعل منه فكري أو سياسي، لذا يتميز تناولها للقضية بعدة سمات بشكل واضح ومحدد.. أول هذه السمات التغطية الخبرية الشاملة لجميع أحداث القضية الفلسطينية بمختلف أبعادها الفلسطينية والصهيونية والبريطانية والدولية. ثانيا: تعتبر الأهرام الصحيفة المصرية الوحيدة التي لم تلجأ إلى استخدام المقال في معالجة تطورات القضية الفلسطينية بل استخدمت الحديث الصحفي إلى

جانب الخبر والتعليق[167]. ثالثا: منحت الأهرام اهتماما متساويا لجميع أبعاد القضية من حيث المتابعة الصحفية والتغطية الأخبارية.

وقد بدأت الأهرام تتابع بانتظام ردود الفعل العربية داخل فلسطين إزاء حكومة الانتداب والخطر الصهيوني منذ 1923[168] وكانت دائما تنشر حوادث فلسطين في الصفحة الثالثة وأحيانا في الثانية. وكان اهتمام الأهرام يتصاعد أثناء الثورات والانتفاضات. فلا يمر أسبوع دون أن ترد أخبار الثورات الفلسطينية عدة مرات. وكان للأهرام مراسل خاص في القدس. وقد انفردت الأهرام عن مختلف الصحف المصرية والعربية بتغطيتها الأخبارية الشاملة للثورات الفلسطينية وخصوما أحداث البراق واضطراباته 1933[169]..

وفي بداية الثلاثينات خصصت الأهرام بابا ثابتا في الصفحة الرابعة عنوانه (الحالة السياسية في فلسطين) كانت تتابع من خلاله نشاط الحركة الوطنية الفلسطينية ممثلة في اللجنة التنفيذية العربية[170].

أما الحياة اليومية للشعب الفلسطيني فقد تابعتها الأهرام من خلال باب ثابت عنوانه (الرسالة الفلسطينية) أفي الصفحة الثالثة وقد ركزت على نشاط المؤتمرات الشعبية والأحزاب والتجمعات المهنية مثل المعلمين والعمال[171] وقد تناولت الأهرام العلاقات اليومية بين سكان فلسطين من العرب واليهود منذ عام 1928 أبرزت علاقة كل منهما بالآخر وعلاقتهما على انفراد بالمندوب السامي كما عرضت لاحتمالات التفاهم والصدام الذي كان يقع بينهما[172].

وتناولت الأهرام أيضا مستقبل القضية الفلسطينية والملابسات التي أحاطت بها عربيا ودوليا. وكانت حريصة على أن يتم ذلك من خلال المتابعة الخبرية أو الأحاديث مع كبار المسئولين الفلسطينيين والصهيونيين على السواء[173].

وقد بدأ اهتمام الأهرام يتجه نحو متابعة النشاط الصهيوني في فلسطين ابتداء من عام 1924. والواقع أن هذا الاهتمام رغم طابعه الخبري آلا أنه كان هناك تركيز واضح على زيارات الزعماء الصهيونيين لفلسطين[174]. كما كانت تشير الأهرام دائما إلى مستقبل الوطن القومي اليهودي في فلسطين، و قد تطلب هذا تركيزها على نشاط المستعمرات من ناحية

التسليح وحاجتها إلى المال[175].

وقد كانت الأهرام هي الصحيفة المصرية الوحيدة التي انفردت بمتابعة الحياة اليومية لليهود في فلسطين.. مشاكلهم وإضراباتهم ونشاطاتهم المختلفة[176]. وأبدت الأهرام اهتماما مبكرا بقضية تهريب الأسلحة لليهود إذ بدأت تتابعها منذ 1929 على عكس باقي الصحف المصرية التي لم تنتبه إلى خطورة هذه المسالة سوى في ا لثلاثينات[177].

وفيما يتعلق بقضية الهجرة اليهودية إلى فلسطين فقد عالجتها الأهرام بغزارة ملحوظة إلى حد اقتصار هذه المتابعة على الجانب الخبري. وقد تصاعد اهتمام الأهرام بهذا الجانب ابتداء من منتصف 1930 وبلغ الذروة في 1933 , 1934. إذ كان لا يخلو الأهرام أسبوعيا من متابعة الموضوع عدة مرات على الأقل. وتداولت الأهرام اهتمامها لمسالة تهريب اليهود إلى فلسطين كما أشارت إلى الاضطرابات التي وقعت في فلسطين من جراء الهجرة اليهودية[178].

ومما يجدر ذكره الاهتمام غير العادي الذي أولته الأهرام لمسألة الشيوعية في فلسطين، وقد ركزت على إبراز العلاقة بين الشيوعية والتنظيمات الشعبية اليهودية والفلسطينية. وقد بدا هذا الاهتمام منذ 1927[179]. ولم يبرز اهتمام الأهرام بقضية بيع الأراضي سوى في الثلاثينات إذ بدأت منذ عام 1931 تتابع أخبار بيع الأراضي، ويلاحظ آن الأهرام كانت تربط دائما بين اليهود وتحسين الأراضي في فلسطين كما كانت تشير آلي موقف الهيئات العربية والإسلامية من هذه القضية[180].

وقد أبدت الأهرام اهتماما متزايدا إزاء العلاقات الفلسطينية العربية وبدأت تتابعها في إطارها الطبيعي منذ 1923[181]. وان كانت لم تغفل ردود الفعل العربية إزاء ما يحدث في فلسطين[182]. كما كانت الأهرام تهتم بنقل أراء الصحف المصرية الأخرى مثل البلاغ والسياسة وكوكب الشرق والمقطم وتعليقاتها على الأحداث الفلسطينية.

وكان للعلاقات المصرية الفلسطينية نصيب ملحوظ من اهتمام الأهرام خلال العشرينات والثلاثينات. ولم يكن هناك تركيز على جانب معين بل كانت عملية متابعة شاملة، وكان يغلب عليها الطابع الخبري[183] وكما أبدت الأهرام اهتمامها بحياة اليهود داخل فلسطين كذلك أولت حياة ونشاط

اليهود المصريين اهتماما مماثلا بل حرصت على إبراز علاقاتهم مع يهود فلسطين[184].

وقد قامت الأهرام بتصوير الصراع في فلسطين من الزاوية القومية الصحيحة إذ ألقت على بريطانيا المسئولية كاملة في تحويل هذا القطر العربي آلي وطن قومي لليهود.

وقد توقعت الأهرام الفشل للسياسة البريطانية في فلسطين وذلك لعدة أسباب.

أولا: آن بريطانيا وضعت هذا النظام بدون علم أصحاب البلاد ودون استناد آلي أي مبدأ من المبادئ التي تحكم الشعوب على أساسها. وثانيها: آن هذه البلاد لها وضع مقدس لدى ملايين المسلمين والنصارى واليهود. وثالثها: آن عددا كبيرا من اليهود الفلسطينيين يرفضون هذه السياسة الخاطئة.

وقد قام عدد كبير منهم بتحذير الصهيونيين من عواقب هذه السياسة ونصحهم بالاتفاق مع سكان البلاد وأصحابها بدلا من الاعتماد على قوة الحرب البريطانية في تحقيق أمانيهم والوصول إلى ما يدعون انه حق من حقوقهم التاريخية[185].

وطبقا للمنهج المعتدل الذي التزمت به الأهرام في معالجة القضايا الوطنية والسياسية نراها تؤيد الحركة الوطنية الفلسطينية ولكنها لا تؤيد الالتجاء إلى العنف بل ترى انه كلما ابتعد الوطنيون الفلسطينيون عن استخدام العنف فان حجتهم ستظل قوية ويبقى صوتهم عاليا مسموعا ويزداد عطف النفوس العادلة على قضيتهم عاليا مسموعا. ولا بد لهم أن يروا يوما ثمرة جهادهم و اتحادهم[186].

وخلافا لموقف بعض الصحف المصرية التي كانت تدعو العرب إلى ضرورة التفاهم مع اليهود. نلاحظ أن الأهرام تدعو اليهود إلى التفاهم مع أهل البلاد والاتفاق معهم على تعمير فلسطين على أساس أن ذلك خير لهم أبقى من النظام القائم على المطامع والمدعوم بسيوف الاحتلال البريطاني وحرابه.

الصحافة الطائفية.. والقضية الفلسطينية:

كان للصحف الطائفية دور واضح في الصحافة المصرية. فقد استخدمها

الاستعمار البريطاني كوسيلة فعالة في تنفيذ مخططه القائم على سياسة (فرق تسد). وقد حاول اتباع هذه السياسة في مصر منذ الاحتلال واحتفظ بحقه في استعمالها في وثيقة الاعتراف باستقلال مصر تحت تحفظ «حماية الآليات»[187] مستهدفا بذلك تحويل الأقلية الدينية إلى راس رمح يوجه إلى الحركة الوطنية وان يثير لدى الأغلبية ردود فعل دينية متطرفة ترتد بها إلى مواقف إرهابية تحرف النضال الوطني عن أهدافه الرئيسية. وقد نجح هذا المخطط في الفترة الأولى من الاحتلال وبدأ ما يسمى في مصر بالصراع الطائفي، وازداد هذا الصراع قوة بعد وفاة مصطفى كامل[188].

وكان من أهم صحف الأقباط في مصر في تلك الفترة صحيفتان هما (مصر) و (الوطن) [*]. ولم يقف الاحتلال البريطاني عند هذا الحد بل أوجد الخلاف بين المذاهب المسيحية ذاتها، فكانت جريدة الوطن تؤيد المذهب الإنجيلي بينما تؤيد جريدة مصر المذهب الأرثوذكسي. وقد وقع بينهما الخلاف واستمر حتى نهاية العشرينات[189]. وقد استطاع حزب الوفد وبمقدرة عالية أن يحبط سياسة إثارة الطائفية بين المسلمين والأقباط، وانعكس هذا على موقف الصحافة الطائفية من الحركة الوطنية في داخل مصر والحركات الوطنية في العالم العربي، ولكن لم يظهر الموقف بجلاء من جانب هذه الصحافة سوى في نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات. ويمكننا اعتبار القضية الفلسطينية وموقف الصحافة الطائفية منها مقياسا دقيقا لهذا التحول. ورغم أن حجم الاهتمام الذي حظيت به القضية في الصحافة الطائفية كان محدودا آلا أن موقف هذه الصحف كان يتسم بالمساندة والتأييد للجانب الفلسطيني في الصراع. وكان هناك إشادة دائمة بوحدة المسلمين والمسيحيين في فلسطين إزاء الخطر الصهيوني والانتداب البريطاني. وتجسد صحيفة الوطن هذا الموقف بوضوح، فقد عالجت القضية الفلسطينية من منطلق ديني قومي. وشنت هجوما متواصلا على تلك الفئة التي (قرر الله أن تكون مشردة في أنحاء الأرض[190] ويعني بذلك اليهود).

وقد صورت الوطن الصراع في فلسطين على أن الإنجليز يحاولون تغيير اتجاه التاريخ وتحويل سنة الله في خلقه، بجمع الفئات المتشردة من اليهود وزرعها في قلب فلسطين رغما عن إرادة سكانها من المسلمين

والمسيحيين، ولا تبالي بريطانيا بعد ذلك بما يسفر عنه ذلك المخطط الإجرامي سواء سفكت الدماء أم حقنت بل كل ما يهمها هو تسخير طائفة من البشر لتحقيق مصالحها على حساب الطوائف الأخرى.

وكثيرا ما تبدي صحيفة الوطن ثقتها وإعجابها الشديد بتلك الروح المباركة التي سرت في الشرق كله وتجلت في فلسطين. فلئن استطاع الغرب اليوم أن يتجاهل تلك القوة المعنوية فسيرغمه ثبات الشرق وتضامنه على احترام حقوقه وتقدير نهضته[191].

وكانت الوطن تبدي أسفها وحزنها لما أصاب فلسطين من فوضى واضطراب وتدهور في أحوال الآمن حتى أصبح الإنسان يخاف على نفسه وماله وبيته بالمدينة فضلا عن القرى والصحاري والقفار[192] وذلك في ظل حكومة الانتداب التي لم تعد تشغلها مصلحة البلاد بقدر ما هي مشغولة في تسهيل الهجرة اليهودية وانتزاع الأراضي من السكان العرب وتمليكها لصندوق رأس المال القومي اليهودي[193].

وتؤكد الوطن في معظم مقالاتها على صلابة الحركة الوطنية الفلسطينية ووحدة المسلمين والمسيحيين في فلسطين وإصرارهم على مقاومة وعد بلفور وإنشاء الوطن القومي اليهودي ولو أدى ذلك إلى فنائهم. إذ أنه من المحال أن يتهاونوا في الحفاظ على اعظم أثر ديني وهو المسجد الأقصى بتمكين اليهود من انتزاعه والسيطرة عليه فضلا عن آبائهم وأنفتهم من أن يخضعوا لفئة قضى الله عليها بان تعيش إلى الأبد مشردة بلا مأوى[194].

الصحافة الصهيونية في مصر:

لقد تمتعت الطائفة اليهودية في مصر بكامل حريتها في إصدار الصحف والمجلات الناطقة باسمها ومصالحها والتي تحمل وجهات نظرها فيما يتعلق بالشئون المصرية أو العالمية. وقد أصدر اليهود في مصر خلال العشرينات والثلاثينات عدة صحف ناطقة باللغة العربية عدا الصحف الأخرى الناطقة باللغتين الفرنسية والإنجليزية. ومن ابرز الصحف الناطقة بالعربية صحيفة الاتحاد الإسرائيلي التي أصدرتها جمعية القرائن الإسرائيلية بالقاهرة سنة 1924، وكان يرأس تحريرها يوسف فرج صالح. وكانت تهتم بمعالجة شئون طائفة اليهود القرائين ومتابعة أخبار اليهود في

العالم. ولم تكن تبدي اهتماما كبيرا بنشاط الحركة الصهيونية آو الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وان كانت تنشر أخبار فلسطين على عمود جانبي تحت عنوان (أخبار أرض الميعاد). وابتداء من عام 1926 أصبحت تصدر باسم باروخ لينوم نجوني صاحب الامتياز والمدير المسئول.

وقد شهدت هذه الفترة ظهور مجلتين يهوديتين انتشرتا انتشارا واسعا بين أبناء الطائفة اليهودية في مصر ولعبتا دورا هاما في الترويج للدعوة الصهيونية في مصر.. أولهما مجلة إسرائيل التي أصدرها الدكتور البيرت موصيري سنة 1920 وكانت تصدر بثلاث لغات العربية والفرنسية والعبرية. ولم تستمر الطبعة العبرية وقتا طويلا نظرا لقلة القراء اليهود الذين يجيدون العبرية. أما الطبعة العربية فقد استمرت أربعة عشر عاما. وكذلك الطبعة الفرنسية التي كانت تلقى انتشارا واسعا في الأوساط اليهودية. وبعد وفاة مؤسسها الدكتور البرت موصيري سنة 1933 حلت محله زوجته التي واصلت إصدار الصحيفة حتى سنة 1940. وكانت قد كتبت في نوفمبر سنة 1933 تستحث يهود مصر على المشاركة في تمويل الصحيفة بمد أن توفي صاحبها في أوائل ذلك العام، قالت: «لقد قمنا بنشر الدعوة الصهيونية طيلة هذه المدة والتبشير بالمبادئ الصهيونية والدفاع عنها ورد حملات خصومها عليها. وكم من مرة لفتنا نظر كبار رجال الصهيونية في الشرق إلى أن وجود جريدة يهودية بلسان عربي في مصر تتولى الدفاع عن الصهيونية وتنشر الدعوة لها فهي على جانب عظيم من الأهمية. وحذرت اليهود في المشرق ومصر بأنهم إذا لم يبادروا إلى معاونة الصحيفة فأنها ستتعطل». وقد ركزت صحيفة إسرائيل اهتمامها على متابعة النشاط الصهيوني في أنحاء العالم مع اهتمامها الأساسي بشئون الطائفة الإسرائيلية في مصر.

أما المجلة الثانية فهي مجلة الفجر التي أصدرها ثوسيسان سيكوتو سنة 1941 واستمرت حتى سنة 1931 ثم انتقلت أدارتها إلى جاك مالح. ولقد صادفت هذه المجلة عدة صعوبات مالية وكادت تتوقف عن الصدور بعد ذلك ولكن اهتم بها أعضاء محفل بني بريث وشكلوا لجنة برياسة سيمون ماني لدعمها ماديا وأدبيا. وقد اتخذت عصبة معاداة اللاسامية من الفجر منبرا لها طوال الأربعينات.

وفي عام 1931 أصدر البير ستراسلسكي رئيس فرع حزب التصحيحيين

في مصر جريدة الصوت اليهودي بالفرنسية، وكان يقوم بتمويل هذه الصحيفة عدد من كبار الرأسماليين اليهود في الإسكندرية، كما كانت تحظى برعاية حاخامات الإسكندرية. وقد كانت لسان حال الجناح المتطرف في الحركة الصهيونية.

وكان من أبرز الصحف اليهودية ذات الاتجاهات الصهيونية السافرة صحيفة الشمس التي أصدرها سعد يعقوب المالكي في سبتمبر 1934، وكانت تهتم بعرض قضايا ومشاكل اليهود في مصر كما كانت تنشر أخبار النشاط الصهيوني في فلسطين تحت عنوان (أخبار فلسطين). وكانت تهتم بإبراز دور اليهود في تقدم فلسطين الاقتصادي. ولم تكن تبدي اهتماما بمتابعة التطورات السياسية في المجتمع المصري في ذلك الحين. وتكمن خطورة هذه الصحيفة في أنها كانت تتزعم حملة هجوم شديدة على الاستعمار البريطاني في فلسطين مما كان يساعدها على اكتساب ثقة الحركة الوطنية المصرية. وقد أتاح لها ذلك فرصة نشر الأفكار الصهيونية والدفاع عنها بنعومة وخبث وأسلوب غير مباشر.

والواقع أن أخطر الصحف الصهيونية وأعمقها أثرا على يهود مصر كانت صحيفة المنبر اليهودي التي أصدرها جاك رابان في نهاية عام 1936. وقد كان يتسم بنشاط وحماس شديدين للحركة الصهيونية وساهم بالكتابة في معظم الصحف الصهيونية التي كانت تصدر في مصر في ذلك الحين مثل إسرائيل والفجر والشمس والصحف الأجنبية ذات الميول الصهيونية مثل البورص ايجبشيان وجريدة الأحد. كما ساهم في إنشاء نقابة الصحفيين المصرية. ولقد لعبت صحيفة المنبر اليهودي دورا أساسيا في الدعاية للحركة الصهيونية في مصر خصوصا في الأربعينات.

الصحافة الفلسطينية في مصر:

من ابرز الأصوات التي انطلقت في مصر خلال العشرينات والثلاثينات دفاعا عن فلسطين بصورة خاصة وعن البلاد العربية بصورة عامة، كان صوت الصحفي الفلسطيني محمد علي الطاهر صاحب الشورى(*1)، الذي سعى فور مجيئه إلى القاهرة سنة 1920 إلى تشكيل اللجنة الفلسطينية. وقد لعبت هذه اللجنة دورا هاما من خلال البيانات والنداءات والاستنكارات

التي كانت تصدرها تعليقا على الأحداث الفلسطينية العربية، وتحذيرا من الخطر الصهيوني، استنكارا للسياسة البريطانية الموالية للصهيونية في فلسطين. وتمكنت بفضل الجهود التي بذلها محمد علي الطاهر وأعضاء الجالية الفلسطينية بمصر من الكتاب والعلماء والشعراء من أن تستقطب تأييد ومساندة شرائح هامة من الرأي العام المصري. كما استطاع محمد علي الطاهر من خلال المقالات التي كان يكتبها في معظم الصحف المصرية [195] أن يخلق وعيا بالقضية الفلسطينية ويصحح كثيرا من الأخطاء المتداولة ويرد على كثير من المغالطات والافتراءات التي كانت تزخر بها بعض الصحف المصرية المعادية للقضية الفلسطينية. وقد اصدر صحيفة الشورى سنة 1924 فكانت لسان حال العالمين الإسلامي والعربي و لسان الثورة السورية.

وقد تنبه الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي إلى خطورتها فكان يمنع دخولها إلى الدول العربية والإسلامية التي تقع في دائرة نفوذه. وقد تغلب محمد علي الطاهر على منع الشورى ومصادرة أعدادها فلجا إلى إصدارها بأسماء أخرى. ففي عام 1926 بعد أن عطلت السلطات المصرية الشورى اصدر جريدة الجديد لصاحبها الدكتور محمود عزمي. فبادرت السلطات المسئولة إلى تعطيلها، فأصدر بدلا منها «الشباب». لكن السلطات المصرية عطلتها أيضا[196]. وفي سنة 1928 علم محمد علي الطاهر بان الشورى ستمنع من دخول فلسطين فبادر بأعداد صحف أخرى تحل محل الشورى، منها صحيفة باسم (الناس) فصودرت، وأخرى باسم «المنهاج» فصودرت أيضا. وأخيرا أصدرت الحكومة البريطانية في فلسطين أمرا بمنع دخول الجريدة العربية التي يصدرها بالقاهرة محمد علي الطاهر[197].

وقد تابعت صحيفة الشورى أحداث القضية الفلسطينية وتطوراتها خلال العشرينات وحتى بداية الثلاثينات. وقد خصصت بابا دائما بعنوان «شئون وشجون» يتضمن تعليقات على الأحداث الجارية في فلسطين، هذا عدا المقالات والتحقيقات الصحفية التي كانت تشكل المادة الأساسية التي استندت إليها الشورى في معالجتها للقضية الفلسطينية من مختلف زواياها. وكان اهتمامها ينبع من منطلق قومي عربي ذي خلفية فكرية إسلامية، لذلك نجدها تهتم بالتعليق على الجوانب الدينية للقضية وإبراز دور المؤسسات الدينية في حسم بعض المشاكل التي كانت تثار خلال

العشرينات[198]. وقد كانت الخطة التي سارت عليها صحيفة الشورى هي خطة الربط بين الشعوب التي أطلقت عليها اسم الشعوب المضطهدة، وهي الشعوب التي تتحدث باللغة العربية، وذلك عن طريق نشر أنباء بعضها لدى البعض الآخر توثيقا للروابط والفهم المشترك[199]. وتطبيقا لهذه الخطة فقد كان اهتمامها بالأوضاع الداخلية في فلسطين مثل (التعليم-القضاء-الانتخابات-البلدية). و قد تابعت الشورى أيضا أخبار النشاط الوطني الفلسطيني، كما تولت الرد على كثير من الافتراءات والأخبار الكاذبة التي كانت تروجها وكالات الأنباء البريطانية والفرنسية عن الكفاح الفلسطيني. وقد استطاعت الشورى من خلال المقالات السياسية والتعليقات والتحقيقات الصحفية آن تخلق تيارا فكريا مواليا للقضايا العربية نجح في اجتذاب كثير من قطاعات الرأي العام المصري الذي التف حول قضايا العروبة، كما نجحت الشورى مع سواها من الصحف العربية مثل الفتح والمنار والإخاء، في أن تخلق توازنا دعائيا لصالح القضية الفلسطينية خلال العشرينات والثلاثينات، وذلك في مواجهة التيار الصهيوني الذي كانت تقوده عدة صحف مثل الشمس والاتحاد والإسرائيلي وإسرائيل.

وكان من ابرز كتابها في هذا المجال الأمير شكيب ارسلان ونسيم صبيعة والدكتور أحمد زكي باشا ومنصور فهمي[200].

مراجع وهوامش

(1) احمد طربين-قضية فلسطين-معهد الدراسات العربية-القاهرة سنة 1972- ص 39.

(2) جورج انطونيوس-يقظة العرب-ترجمة حيدر الركابي-بيروت 1959، ص 458.

(3) ناجي علوش-الحركة الوطنية الفلسطينية أمام اليهود والصهيونية-1882- 1948- بيروت 1974

(4) اللجنة الملكية لفلسطين-1937- تقرير عرض على البرلمان في شهر يوليو 1937- ص 81.

(5) عادل غنيم-الحركة الوطنية الفلسطينية من 1917- 1926- الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974- ص 364.

(6) السياسة الأسبوعية. 30/6/1928.

(7) المقطم 21/8/1924 فرع بنك مصر في فلسطين.

(8) السياسة الأسبوعية 18/12/1926العلاقات الاقتصادية بين مصر وفلسطين.

(9) السياسة الأسبوعية 1927/1/.

(10) فلسطين والضمير الإنساني-محمد علي علوية-ص 37.

(11) البلاغ 28/11/1929 عطف مصر على فلسطين-انظر الملحق رقم 1.

(12) الشورى 18/12/1929. انظر الملحق رقم 2.

(13) البلاغ 8/12/1920 خطبة عزام في المؤتمر الإسلامي-ملحق رقم 2.

(14) البلاغ 9/12/1931 أبعاد عزام عن فلسطين .

(15) البلاغ 20/12/1931.

(16) السياسة 1/9/1929.

(17) طارق البشرى-المحركة السياسية في مصر من 1945- 1951- الكتاب العربي-القاهرة-1972- ص 241.

(18) كوكب الشرق 9/3/1923 الحكومة المصرية-معرض تل أبيب.

(19) كوكب الشرق 27/12/1933، مصر والمعرض الصهيوني.

(20) أنيس صابغ-الفكرة العربية في مصر-مصدر سابق-ص 194.

(21) د. محمد أنيس ورجب حراز-التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث دار النهضة المصرية-القاهرة 1972.

(22) انظر كوكب الشرق والبلاغ 13/11/1930, 1931, 1932, 1933, 1934, 1935.

(23) كوكب الشرق 12/9/1931 .

(24) أميل توما-مصدر سابق.

(25) المصدر السابق 30/10/1936.

(26) عبد العظيم رمضان-الحركة الوطنية المصرية من 1937- 1948- مصدر سابق.

(27) كوكب الشرق 28/12/ 1928.

(28) المصدر السابق.

(29) المصدر السابق.

الصحف الوفدية «البلاغ»

(30) البـلاغ 20/7/ 1938.
(31) البـلاغ 15/1/1939 نقلا عن د. عبد اللطيف حمزة-أدب المقالة والصحيفة الجزء الثامن- القاهرة 1963 ص 366.
- في 16 ديسمبر 1922 حصل عبد القادر على ترخيص من وزارة الداخلية بإصدار جريدة يومية سياسية عربية باسم البلاغ. وفيما هو يستعد لإصدار هذه الجريدة علم سعد زغلول بذلك وكان يومئذ بجبل طارق فبادر بإرسال برقية يهنئه فيها. وعلم أعضاء الوفد المصري في لوزان كذلك بقرب صدور البلاغ فاشتركوا في إرسال برقية تهنئة آلي صاحبها. وعندما صدرت الصحيفة في 28 يناير 1923 تصدرت برقيات التهنئة الوفدية عددها الأول وبذلك بدت هذه الصحيفة وفدية. واتخذت لها شعارا هو إحدى كلمات سعد زغلول (يعجبني الصدق في القول والإخلاص في العمل وان تقوم المحبة بين الناس مقلم القانون) وقد ارتبطت البلاغ بسياسة صاحبها عبد القادر حمزة. ففي الفترة الأولى ارتبطت بسياسة الوفد ثم تحولت عنه سنة 1932. وقد تعطلت البلاغ بعد ثلاثة اشهر من صدورها (6 مارس 1923 ثم عاودت الصدور في 18 يونيو ثم عطلت في 15/9/1928 (أربعة أشهر) وعطلت في 15 يوليو 930 ا تعطيلا نهائيا. ثم صدرت البلاغ مضافا أليها كلمة الجديد في 23 يوليو 1931. وقد أبدت البلاغ اهتماما كبيرا بالقضايا العربية ومشاكل المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي.
المصدر:
ا- د. عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة والصحيفة-مصدر سابق.
2- د. عبد اللطيف حمزة: قصة الصحافة العربية في مصر-بغداد 1967 ص 140.
3- أنور الجندي: الصحافة السياسية في مصر-القاهرة 1962. ص 261.
(32) انظر أعداد البلاغ 19, 28/3/1929, 3, 7/12/1931, 3, 26/1/1942
(33) انظر الفصل الخاص بالبراق واضطرابات 1933 وانتفاضة القسام ومعالجة البلاغ لها.
(34) بلغ هدد المرات التي استخدمت فيها البلاغ الخبر 530 مرة والمقال 230 مرة والتعليق 27 مرة.
(35) انظر البـلاغ الأعداد 22/1/1928, 5, 18/4/1929, 12/3 / 1932.
(36) أنظر البـلاغ الأعداد 4/8/1932, 30/12/1934, 5 /3 /33, 8, 13 / 4 /1933.
(37) أنظر البـلاغ الأعداد 11, 24/9/1934, 2, 3/10/1934.
(38) البـلاغ 18/2/1933, 22/8/1933, 1/11/1933.
(39) البـلاغ 8, 20/4/1933.
(40) البـلاغ 8/7/ 1933, 24/8/1933.
(41) البـلاغ 14/3/1928, 16/9/1929.
(42) البلاغ 14/3/1928. انظر الملحق رقم (5)
(43) انظر البـلاغ الأعداد: 3/4/1933, 19/6/1933, 21 /7 /1933 17 8 1933, 24 8 1933, 12 1 1935.
(44) انظر البـلاغ 21/8/1927, 22/11/1926, 9/1/1927, 9 /4/1929.
(45) انظر الفصل الخاص بالهجرة اليهودية ومعالجة البلاغ له.
(46) انظر البـلاغ الأعداد 6/6/1930, 17/10/1932, 11/9/1934.
(47) البـلاغ 12/8/1934, 6/10/1934.

(48) انظر البلاغ الأعداد 8/9/1929, 11/ 9/1929, 21/1/1932, 31 /1/1933.
(49) البلاغ 10/12/1931, 19/12/1931, 26/12/1931.
(50) البلاغ 9/2 /1932, 20/11/1931, 8/1/1933, 27/8/1922.
(51) بلغ عدد المرات التي ظهرت فيها أنباء القضية الفلسطينية في الصفحة الثانية من البلاغ 630 مرة.
(52) عدد مرات ظهور مقالات عن القضية الفلسطينية في الصفحة الأولى للبلاغ كان 180 مرة.
(53) البلاغ 3/12/1926.
(54) البلاغ 9/4/1926.
(55) البلاغ 16*9/1929.
(56) المصدر السابق.
(57) المصدر السابق 9/5/1929.
(58) المصدر السابق 1/11/1935.
(59) المصدر السابق.
(60) البلاغ 20/5/1929.
(61) البلاغ 27/12/1933.

كوكب الشرق

الصحيفة الوفدية الثانية.. صدرت في12 سبتمبر 1924 وهي صحيفة مسائية يومية كان يرأس تحريرها أحمد حافظ عوض الذي عاصر الرعيل الأول من الصحفيين وتأثر بالشيخ علي يوسف صاحب المؤيد.

حدد حافظ عوض سياسة كوكب الشرق قائلا بأنها) تعمل لخدمة القضية الوطنية إلى جانب رسالتها الإسلامية والعربية).. وهي تعد امتدادا لصحيفة المؤيد فيما يتعلق باتجاهاتها الإسلامية الشرقية ظلت تنطلق بأهداف الوفد حتى توقفت سنة 1939. وقد تعرضت للتعطيل والمصادرة مرتين: الأولى في 16 مارس 1929 في عهد حكومة محمد محمود، والثانية في يناير 1931 في عهد حكومة إسماعيل صدقي . ابتداء من أغسطس 1931 بدأ يظهر اسم محمد صلاح كرئيس تحرير مسئول لكوكب الشرق. خصصت كوكب الشرق لمعالجة الشئون العربية والإسلامية عرف باسم (شئون الشرق العامة) وقد بدأ يظهر في نهاية عام 1928 وكان يظهر بدون انتظام كل يومين آو ثلاثة أيام. وأصبح هذا الباب يحتل صفحة كاملة ابتداء من شهر مايو 1933.

المصادر:

1-د. عبد اللطيف حمزة: قصة الصحافة العربية في مصر مصدر سابق ص 141.
2- انور الجندي: الصحافة السياسية في مصر-مصدر سابق ص 289- 287.
3- كوكب الشرق: العدد الأول 21/9/1924, 1/5/1933.

(62) بلغ عدد المرات التي استخدمت فيها كوكب الشرق الخبر لمتابعة القضية الفلسطينية وتطوراتها خلال العشرينات والثلاثينات 580 مرة-والمقالات 290 مرة.
(63) بلغ عدد الموضوعات التي ظهرت عن القضية الفلسطينية في الصفحة الأولى من الكوكب 240 مرة.
(64) انظر كوكب الشرق الأعداد 12, 30/6/1930, 3, 5/9/1931, 4, 14/5/1935.

(65) أنظر كوكب الشرق الأعداد 4/1/1935, 16/1/1935 , 23/1/1935, 4, 14/5/1935.
(66) كوكب الشرق 4/5/1925, 1, 3/1/1930.
(67) انظر كوكب الشرق الأعداد 4/11/، 25/6/1932, 15/3/1935.
(68) كوكب الشرق 6, 11, 14, 17/4/1935, 1/6/1935.
(69) كوكب المشرق 1/7/1935, 4/4/1935.
(70) انظر كوكب الشرق 18/4/1935, 20/4/1935, 22 /4/1935 23/11/1935, 2/11/1935.
(71) انظر كوكب الشرق الأعداد 30/7/1933, 22/5/1925, 2, 12, 21, 24/4/1935, 112/1935.
(72) انظر كوكب الشرق 13/5/1935, 27/1/1935.
(73) انظر كوكب الشرق 12/8/1926, 25/11/1929, 8/12/1929, 19 3 1935, 15/4/1935, 3/6 /1934, 14/12/1924, 4/2 / 35, 20/2/1935, 23 /3/1935.
(74) انظر كوكب الشرق 23/7/1933, 25/8/1934, 2 /11/1934, 4/1/30.
(75) كوكب الشرق 13/1/1930, 27/5/1930, 6/5/1930.
(76) كوكب الشرق 19/6/1933, 30/10/1933, 2/11/1933, 10/11/1933, 18/11/1933.
(77) كوكب الشرق انظر 13/1/1930, 5/5/1930, 10 /12/1933, 7/2/34, 3/3/1934, 1935/ 4/4, 9/9/1935, 3/9/1935.
(78) كوكب الشرق 24/12/1933, 6/9/1931, 12/8/1942, 3/9 /1933.
(79) كوكب الشرق 24/11/1934.
(80) كوكب الشرق 13/2/1932, 13/8/1931.
(81) كوكب الشرق 7 12 1929, 13 6 1930, 9/13 /1931.
(82) كوكب الشرق 8 /10/1925, 12/7/1930, 18/ 6/1930.
(83) كوكب الشرق 8/11/1933.
(84) كوكب الشرق 2/11/1933.
(85) المصدر السابق.
(86) كوكب الشرق 17/12/1933.
(87) كوكب الشرق 2/11/1933
(88) كوكب الشرق 8 /6/1930.
(الأحرار الدستوريون)
(89) عبد العظيم رمضان: الحركة الوطنية المصرية من 1918- 1936. دار الكاتب العربي-القاهرة 1970- ص379.
(90) السياسة الأسبوعية 7/9/1929.
(91) السياسة الأسبوعية 28/9 /1930.
(92) السياسة الأسبوعية 24/6/1930.
(93) المصدر السابق.
(94) إسرائيل 27/6/1929.
(95) السياسة 1/9/1929.
- صحيفة السياسة اليومية تمثل الصحافة الحزبية في معسكر حزب الأحرار الدستوريين ويمكن اعتبارها امتدادا لصحيفة (الجريدة) في منهجها الفكري. كما كان حزب الأحرار الدستوريين

امتدادا لحزب الآمة. صدر العدد الأول 31 أكتوبر 1922. حدد هيكل مهمة جريدة السياسة في آمرين.. أولهما الدفاع عن الدستور، وثانيهما استقلال مصر وكفالة حقوقها في السودان وقد واجهت السياسة عنفا كبيرا في ظل العهود التي كانت تحكم فيها الوزارات الوفدية وفي عهد إسماعيل صدقي حيث عطلت إداريا من ديسمبر 1930 إلى يمنيو 1931. وكان للقوانين الكثيرة المقيدة للحرية آثرها في تعرض السياسة للمصادرة وكتابها للمحاكمة، ومن أهم القضايا الفكرية التي خاضتها صحيفة السياسة هي:

1- كتاب الإسلام أتصول الحكم لعلي عبد الرزاق.

2- كتاب الشعر الجاهلي لطه حسين.

3- معركة التبشير.

آما معاركها السياسية فقد كانت ضد الوفد فيما عدا فترتي ائتلاف 1926 , 1935. وقد وصف الدكتور عبد اللطيف حمزة أسلوب جريدة السياسة بأنه (آدني إلى العفة والنزاهة لأنها تعبر عن رأي الأقلية ولان أصحابها كانوا حريصين على أن يظهروا أمام الجمهور بمظهر السمو في النقد).

المصـــــادر :

1- أنور الجندي: الصحافة السياسية في مصر-مطبعة الرسالة-القاهرة 1962.

2- د. عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية الجزء السادس-دار الفكر العربي القاهرة 1963.

3- د. إبراهيم عبده: تطور الصحافة المصرية الطبعة الأولى القاهرة 1963- القاهرة 1944.

السياسة

(96) كانت نسبة المواد الصحفية في تخطية صحيفة السياسة للأحداث الفلسطينية وتطورات القضية بجميع أبعادها خلال العشرينات والثلاثينات على النحو التالي:

المقال 74 مرة-الخبر125 مرة-الحديث 5 مرات-الافتتاحيات 2 مرة-التعليق 4 مرات.

(97) انظر السياسة الاعداد1929/16/8 , 1929/28/9 , 1923/3/9،

(98) بلغ عدد المرات التي احتلت فيها القضية الفلسطينية الصفحة الأولى من السياسة خلال تلك الفترة 103 مرة.

(99) استخدمت السياسة لمعالجة الجانب الصهيوني في القضية الفلسطينية المقال 25 مرة، المخبر 40 مرة والصفحة الأولى 12 مرة.

(100) استخدمت السياسة لمعالجة الجانب البريطاني في القضية الفلسطينية المقال 27 مرة، الخبر 50 مرة والصفحة الأولى 12 مرة.

(101) انظر أعداد السياسة 1923/3/9 , 1929/23/9 , 1932/26/2 , 27 2 1936.

(102) انظر أعداد السياسة 10 , 30 /1923/8 إلى 1926/13/1 , 1926/3/11 1929/1/3 , 1932/15/4

(103) انظر أعداد السياسة 1926/12/11 , 1926/18/11 , 16 8 1927.

(104) السياسة 1929/31/8.

(105) السياسة 1927/18/5.

(106) السياسة 1931/31/10.

(107) 1931/8/1.

(108) السياسة 1929/8/31

(109) المصدر السابق.

(110) المصدر السابق.

(111) السياسة 18/5/1927.

(112) عبد العظيم رمضان-الحركة الوطنية في مصر من 1918- 1936- دار الكاتب العربي-القاهرة-1970- ص584.

(113) طارق البشرى-الحركة السياسية في مصر1945- 1952- الهيئة المصرية العاملة للكتاب 972 ا- ص 236- 239.

(114) المصدر السابق.

صحيفة الاتحـــــاد:

أصدرها حزب الاتحاد الذي أعلن عن تأليفه في 10 يناير سنة1925 وهو أحد الأحزاب التي المقت بها السراي في معركتها ضد الوفد وكان يرأسه حسن نشأت باشا. وقد أصدر هذه الصحيفة في 11 يناير1925 كي تكون لسان حاله هي وصحيفة الليبرية بعد أن انسحب منها نيون كاسترو فأصبحت اتحادية بعد أن كانت وفدية . وقد نشرت الصحيفتان برنامج الحزب الجديد الذي اقتصر على الشئون الداخلية مثل إصلاح الأزهر وترقية حالة الفلاح والعمال وتحسين الخدمات توطئة لافتتاح بريطانيا بضرورة الحصول على الاستقلال. ولم يحدد سياسة عربية آو دولية وكان يراس الصحيفة عبد الحليم البيلي المحامي. ولم تتعرض للمصادرة أو التعطيل مثلما كان يحدث للصحف لوطنية في مصر في تلك الفترة.

المصـــادر:

ا- عبد العظيم رمضان-الحركة الوطنية 1918- 1926- مصدر سابق ص 574.

2- الياس قسطاكي عطاره-تاريخ تكوين الصحف في مصر.

(115) بلغ عدد المرات التي استخدمت فيها الاتحاد الخبر 197 مرة والمقال 36 مرة. والتعليق 14 مرة والحديث 3 مرات.

(116) انظر الاتحاد15/1/1930 , 14/9/1929 , 11/11/1929 , 14/10/1929 , 20/3/1934 , 1935/ 2/11.

(117) انظر الاتحاد 15/9 /1929 , 23/11/1929 , 22/1/1930 , 12 7 1933 , 6 3 1934.

(118) الاتحاد 16/2/1931 , 6/8/1934 , 12/2/1935.

(119) الاتحاد 20/11/1934 , 14/7 /1935 , 5/9 /1935.

(120) الاتحاد 17/5/1925 , 5/6/1928 , 21/7/1931.

(121) الاتحاد 18 5 1933 , 24/12/1933 , 21/8/1934 , 15/10/1935

(122) الاتحاد 22/4/1933 , 7/8/1933 , 20/11/1934 , 24/12/ 1933 , 29/1/1934.

(123) 10/ 3 /1929 , 5/9/1929 , 12/9/1929 , 1/1/1933 , 1/2/1932

(124) الاتحاد 4/12/1929 , 1/1/1930 , 14/12/1929.

(125) الاتحاد 28/11/1929 , 1/7/1930 , 27/1/1935 , 5/2/1935 , 2 7 1935.

(126) الاتحاد 8/9/1929 , 13/1/1930 , 2/ 2/1930 , 9 /2/1930 , 10/3/1930 , 7/6/1930 , 1934/ 19/3 , 27/5/1934.

(127) الاتحاد21/7/1931.

(128) الاتحاد 17/5/1925.

(129) الاتحـاد 6/8/1934.
(130) المصدر السابق.
(131) الاتحـاد 2, 5/11/1931.
(132) حسن البنا-مذكرة الدعوة والداعيـة ص 222.
(133) أنيس صايغ-الفكرة العربية في مصر-بيـروت 157- ص 199.
(*2) جريدة الأخوان المسلمين.. جريدة أسبوعية إسـلامية جامعة كانت تصدرها جمعية الإخوان المسلمين بالقاهرة وكان يحررها نخبة من أعضائها وهي لسان حال جمعيات الأخوان المسلمين ويخدم كل هيئة تعمل لرفعة الإسلام وإعادة مجده. وقد صدر العدد الأول في نهاية عام 1933.
(134) جريدة الأخوان المسلمين 28/4/1936, 7 صفر1355.
(135) للإخوان المسلمين 19/5/1936- 28 صفر1355.
(136) الأخوان المسلمين 5/11/1935- 8 شعبان 1355.
(137) المصدر السابق.
(138) المصدر السابق-عبد العظيم رمضان-الحركة الوطنية من 937- 1984 مصدر سابق-ص 310.
(139) حسن ألبنا-مذكرات الدعوة والداعية-دار الكاتب العربي القاهرة ص 286.
محمد رفعت-قضية فلسطين-ص 79- أقرا عدد 58.
(140) أحمد حسين-أيماني-الطبعة الأولى-مطبعة الرقائب 1926 ص 66.
(141) أنيس صايغ-الفكرة العربية في مصر-مصدر سابق-ص 196.
(142) أحمد حسين-نصف قرن من العروبة وقضية فلسطين-المكتبة العصرية صيدا-بيروت 1971- ص 58.
(143) انظر الصرخة 1934- 1935.
(144) أنظر د. رفعت السعيد-تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر 1900- 1925- دار الفارابي-بيروت 1972- اليسار المصري (1925- 1940- دار الطليعة بيروت 1973).
(145) المصادر السابقة، عبد القادر ياسين-بحث عن الصحافة اليسارية وقضية فلسطين ص 2.
(146) الأهـرام 12/7/1922.
(147) د. رفعت السعيد-الصحافة اليسارية في مصر-دار الطليعة-بيروت 1974- ص 12.
(148) د. رفعت السعيد-اليسار المصري والقضية الفلسطينية-دار الفارابي بيروت 1973- ص 24.
(149) International press correspondence - English Edition (un - 149 published Manuscripts)
No - 54-15. November 1993. P. 1371.
- صدرت المقطم في 18 أبريل 1889 كجريدة يومية سياسية احتلالية (أي لسان حال الاحتلال البريطاني في مصر). وقد تولى فارس نمر رئاسة تحريرها. وكان يقوم بتخطيط سياستها منذ صدورها وحتى وفاته ديسمبر سنة 1951.
وقد كشف المقطم منذ اليوم الأول لصدوره عن سياسته في الدفاع عن المصالح البريطانية، ونتيجة لالتزامه بالعداء السافر للحركة الوطنية المصرية فقد أعفتها السلطات البريطانية من قرارات التعطيل آو المصادرة التي كانت تتعرض لها الصحف الوطنية في مصر على أيدي المحكومان المصرية. وقد هاجم المقطم الثورة أعرابية ولعب دورا أساسيا في توسيع شقة الخلاف وإثارة الطائفية بين المسلمين والمسيحيين سنة 1910, 1911 وتميز المقطم بالرد على كل وجهات النظر المعادية لبريطانيا في صحف أوربا وقد استقطب مشاعر العداء من جانب التيارات الوطنية أو

الصحافة المصرية.

المصـــادر:

1- أنور الجندي الجند الصحافة السياسية في مصر-مصدر سابق.

2- أنيس صايغ-الفكرة العربية في مصر-بيروت 1957- ص 114.

3- قسطاكي الياس عطارة-تاريخ تكوين الصحف المصرية-القاهرة 1928- ص 263.

(150) وقد بلغ عدد مرات استخدام التعليقات في المقطم 95 مرة، والمقال35 مرة، والخبر 185 مرة، والافتتاحيات 30 مرة، والصفحة الأولى 82 مرة، والإعلانات 15 مرة، والأحاديث 65 مرة، والتحقيقات 45 مرة.

(150) انظر المقطم الأعداد 6/11/1929, 1/12/1929, 13- 3- 32.
29/5/1932, 1/11/1933, 8- 11- 1933.

(151) انظر المقطم 13, 15, 17/9/1929, 28, 29/9/1929, 5, 22 11 1929, 12 3 1930, 4 8 1930, 23/9/1930, 29/3/1933, 3/10/1933.

(152) 1/2/1935.

(153) انظر المقطم 29/8/1929, 12/7/1931, 14/7/1931, 12 6/12/1933, 13/12/1933, 1934/ 21/10, 11/10/1935.

(154) انظر المقطم 30/7/1929, 24/7/1931, 22/9/1931, 29/12/1932 2 9 1933, 29/8/1935.

(155) المقطم 25/10/1933, 22/11/1934.

(156) المقطم 7/8/1929.

(157) المقطم 19/1/1929, 25 6 1929, 13/9/1929.

(158) المقطم 21/3/1930, 16/4/1930, 9/3/1930.

(159) المقطم 27 9 1929, 3/10/1929, 7/9/1930, 26/11/1933.

(160) المقطم21/9/1929, 1/11/1929, 8/12/1929, 26/3/1933, 2 12 1933.

(161) المقطم 2/11/1929, 15/12/1929, 11/2/1929.

(162) المقطم 12/19252.

(163) المقطم 17/3/1923, 10/5/1923.

(164) المصدر السابق.

(165) المقطم27/2/1924.

(166) المقطم 27/8/1924.

الأهـرام

(167) بلغ عدد المرات التي استخدمت فيها الأهرام الخبر في معالجتها القضية الفلسطينية 1009 مرة والتعليقات 40 مرة والأحاديث الصحفية 25 مرة.

(168) الأهرام انظر الأعداد 2/3/1923, 26/2/1923, 26/3/1925, 25/8/1925, 6/11/1928.

(169) الأهرام انظر 29/8/1929، أكتوبر 1929، نوفمبر 1929، ديسمبر 1929, 27/4/1923, 1933/ 16/6, 28/10/1933, 29 /10/1933, 1/11/1933, 30/11/1933, 12/12/1933, 20/12/1933، 19 1 934 1, 14 4 1934.

(170) الأهرام انظر 4, 7/3/1931, 17, 18/ 1931، يونيو 1932، يوليو 1933، أكتوبر-نوفمبر 1933،

مارس-أبريل 1934.

(171) الأهـرام 21/4/1931, 23/4/1929, 11/1/1928, 26/4/1928, 3/8/1931, 28/ 8 /1930، 29/9/1930, 12/4/1934, 23/8/ 1934, 2 /7 /1934.

(172) انظر الأهرام 18/6/1931, 25/6/1931, 10/7 /1931, 2/8/1931, 25/11/1930, 193012/ 23, 31/3/1931, 10/5/1931.

(173) انظر الأهـرام 13/11/1930, 11/4/1931, 2/5/1931, 25/3 1933, 1/5/1933, 11/1933/ 29, 17/2/1924, 11/3/1924, 23/11/1929.

(174) انظر الأهـرام 16/3/1932, 13 /11/1932, 14/11/1931, 21 /3/1931.

(175) انـظـر الأهـرام 10/11/1932, 5/7/1931, 28/7/1931, 12/10/1931, 4/9/1933, 1934/ 29/11, 28/1/1928.

(176) انظر الأهرام مارس 1925، أبريل 1926، يونيو وأكتوبر وديسمبر 1928، سبتمبر وأكتوبر 1929، نوفمبـر 1930، ينـاير 1931، مارس وأبريل ومايـو 1931، يونيو وأغسـطس 1932، أبريل ومايـو 1933، مـايو 1934.

(177) انظر الأهـرام 12/7/1931, 9/7/1931، نوفمبـر 1929، مارس 1930, 28 أكتوبـر 1934.

(178) أنظر الاهـرامينـاير وفبرايـر1925، أكتوبر 1929، مايو ونوفمبـر 1930، مايو 1931، مايو 1932، أبريل ومايو ويونيو وأغسطس 1933، يونيو ويوليـو 1934.

(179) الأهـرام انظـر الأعداد يوليو 1927، ينـاير وفبراير ومارس ومايو 1928، فبراير ونوفمبر 1929، مايو ويونيو وديسمبـر 1930، ينـاير ويونيو وأكتـوبـر 1931، أبريل وأغسطس 1932، أبريل وديسمبـر 1933.

(180) الأهـرام انـظـر 22/8/1931, 17/8/1933, 15/ 6/ 1934, 22/5/1931.

(181) الأهـرام 12/ 3/ 931 1, 20/6/1934, 22/5/1934, 26/3/ 1925.

(182) انظر الأهـرام 2/3/1934, 7/6/1929, 27/ 9 / 1931, 22/7/1932, 3/11/ 1933, 1933/ 21/11, 24/7/1934, 9/5/1933, 25/9/1933, 8/5/1933.

(183) الأهـرام 29/10/1929, 23/3/1930, 16/4/1931.

(184) انظر الأهـرام: ينـاير وفبراير 1924، مارس 1925، مايو 1926، يوليو وأغسطس وسبتمبر 1927، ينـاير أبريل وديسمبر سنـة 1928، ينـاير وفبراير وأغسطس 1929، يونيو وسبتمبر وديسمبـر 1930، يوليو وأكتوبر 1931، فبراير ومارس ومايو 1932، يوليو 1933، ينـاير وأبريل ويوليو وأكتوبـر 1934.

(185) الأهـرام: 12/3/1923.

(186) الأهـرام: 29/8/1929, 12/3/1923.

(187) الأهـرام 4/6/1932.

(188) طارق البشرى-الحركة السياسية في مصر من 1945- 1952- مصدر سابق.

(189) عبد اللطيف حمزة-الصحافة العربية في مصر-مصدر سـابق-ص 114.

(190) أنور الجندي-الصحافة السياسية في مصر-مصدر سابق.

(*) صحيفة الوطـن:

أصدرهـا ميخـائيل عبد السيد 1878ثم احتجت حتى أستأنف إصدارهـا جندي إبراهيم 1901. وقد أعلنت مناصرتها للإنجليز بعد الاحتلال ووقفت موقفا معاديا للحركة الوطنية، وقد وصفها أمين الرافعي رئيس تحرير الأخبار بأنها (سياسة احتلالية أكثر من المقطم). وقد اشتركت مع جريدة

مصر في المعركة الطائفية التي اندلعت سنة 1909 وامتدت اكثر من ثلاث سنوات وقد لعبت هذه الصحيفة دورا خطرا في تعميق الخصومة بين المسلمين والأقباط بتحريض من بريطانيا. وقد توقفت عن أداء هذا الدور في منتصف العشرينات بفضل الجهود التي بذلها الوفد من أجل إحباط الصراع الطائفي أصبحت تعمل داخل إطار الحركة المصرية رغم موقفها المعارض لسعد زغلول.

(191) المصدر السابق.

(192) الوطن 29/5/1925.

(193) الوطن 28/11/1923.

(194) الوطن 7/6/1930 .

(*1) محمد علي الطاهر وصحيفة الشورى:

ولد محمد علي الطاهر في نابلس 1896. وكان أول صوت أتطلق بالتحذير من الصهيونية وأنها تستهدف إنشاء دولة يهودية في فلسطين في عام 1914 في جريدة فتى المعرب التي كانت تصدر في بيروت، وكان يعمل لها مراسلا في يافا، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى لجأ إلى مصر هربا من مظالم جمال باشا ولكن السلطات البريطانية اعتقلته لمدة عامين من 1915- 1917. وبعد انتهاء الحرب عاد إلى فلسطين حيث شارك في تحرير جريدة سورية الجنوبية التي كانت تصدر في المقدس. وعمل مديرا للبريد والتلغراف بنابلس. وحين تشكلت الحكومة المدنية برئاسة هوبرت صموئيل وعين مديري الإدارات من الإنجليز واليهود استقال من وظيفته وعاد إلى مصر حيث عمل بالتجارة لتدبير مبلغ يمكنه من إصدار صحيفة. وقد نجح في الحصول على امتياز باسم جريدة الشورى، وصدر العدد الأول منها 1924. وقد تصدر عددها الأول كليشيه يقول أنها.. (جريدة سياسية تبحث في شئون فلسطين وسورية ولبنان وشرق الأردن). وفي نهاية أكتوبر 1926 تغير عنوانها إلى (جريدة تبحث في شئون البلاد العربية والأقطار المستبعدة) وفي بداية 1929 بدأت تظهر الشورى وتحتها عنوان (جريدة تبحث بها شئون البلاد العربية والشعوب المظلومة). وكانت تصدر مع الشورى نشرات مكتب الاستعلامات العربي الفلسطيني من فظائع الاستعمار في سوريا ولبنان. وقد منعت الشورى من دخول فلسطين وسوريا ولبنان، وكان محمد علي الطاهر يحتال على تهريبها تحت أسماء أخرى. وفي 1940 اعتقلته السلطات البريطانية وهرب من المعتقل سنه 1941، ثم أفرجت عنه حكومة المنحاس سنة 1942. وفي سنة 1949 اصدر إبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء والحاكم العسكري العام آمرا عسكريا باعتقال محمد علي الطاهر وإيداعه معتقل الهاكستيب في صحراء السويس. وفي أبريل 1955 غادر صاحب الشورى مصر إلى بيروت بعد أن عاش في القاهرة 40 عاما تخللها عذاب واعتقالات وصراع مع الاستعمار البريطاني.

المصـــادر:

1- مجلة الأديب-الجزء الخامس-بيروت-مايو 1967.

2- د. خيرية قاسمية: محمد علي الطاهر-كلمة فلسطين في مصر-شئون فلسطين ا. م. ا.ف.-بيروت-نوفمبر 1974- ص 150.

(195) كان محمد علي الطاهر يكتب في كوكب الشرق والبلاغ والمقطم.

(196) مجلة الأديب-الجزء الخامس-بيروت-مايو 1967- ص 47.

(197) د. خيرية قاسمية-محمد علي الطاهر قلم فلسطيني مصر-شئون فلسطينية-العدد 29- بيروت نوفمبر 1973- ص 150- 154.

(198) الشورى 3/7/1929, 4/6/1926.

(199) الشورى 12/12/1928.

(200) الشورى 11/3/1926, 20/9/1926.

الباب الثاني
الصحافة المصرية وقضايا العشرينات
والثلاثينات على الساحة الفلسطينية

3 السياسة البريطانية في فلسطين

لقد عالجت الصحف المصرية هذا الجانب (السياسة البريطانية في فلسطين) من منطلقات فكرية مختلفة وبمدى متفاوت من الاهتمام ومن خلال أساليب صحفية متعددة. كانت الأهرام والمقطم أكثر الصحف المصرية اهتماما بمعالجة هذا الجانب في القضية الفلسطينية خلال العشرينات والثلاثينات. ويتخذ اهتمام الأهرام طابعا خبريا ويقتصر على تسجيل نشاط المندوب السامي وسياسة بريطانيا في فلسطين، وأحيانا كان يتعرض لمناقشة بعض مشروعات السياسة البريطانية في فلسطين والتغيرات الدستورية-القرض البريطاني لفلسطين-لجنة شو للتحقيق في أحداث البراق. وكان يهتم بإبراز إيجابيات السياسة البريطانية في فلسطين مستعينا بتعليقات وأقوال الصحف البريطانية. كما ركز الأهرام على متابعة اتجاهات المسئولين البريطانيين إزاء الأوضاع في فلسطين من خلال نشر مداولات مجلس العموم ومواقف بعض النواب البريطانيين إلى جانب العرب، وذلك لإيجاد توازن مع التصريحات التي كان يدلي

بها الزعماء البريطانيون تأييدا للوطن القومي اليهودي في فلسطين. وقد كانت الأهرام تميل في معظم الأحيان إلى إبراز اتصالات المندوب السامي بالجانب العربي ق الوطنية الفلسطينية وتكثر من نشر تصريحات المندوب السامي عن استعداد الحكومة للمحافظة على الأرض ردا على الصحف الأخرى التي كانت تهتم بكشف مساوئ الانتداب البريطاني في فلسطين مثل كوكب الشرق والبلاغ. كذلك اهتمت الأهرام بمتابعة زيارات المسئولين البريطانيين لفلسطين مثل زيارات أسقف كنتربري واللورد اللنبي ومايلز لامبسون لفلسطين وقد بدأ اهتمامها بهذا الجانب منذ يناير 1923.

تبنت المقطم مهمة الدفاع عن المصالح البريطانية في فلسطين، ولكن بأسلوب مقنع وغير مباشر لا يخلو من الدهاء. وقد اتبعت في ذلك وسيلتين الأولى إعادة نشر المقالات المنقولة عن الصحف البريطانية.. آلتي تحمل وجهة النظر البريطانية، والوسيلة الثانية هي نشر مقالات للكتاب اليهود المصريين ذوي الاتجاهات الصهيونية. وفي الحالات التي كانت تتعرض فيها المقطم لنقد السياسة البريطانية في فلسطين فقد كان مبعث ذلك شدة الحرص على ضمان المصالح البريطانية في المنطقة العربية.. فقد كانت المقطم تطالب الحكومة البريطانية بتعديل سياستها في فلسطين ليس حرصا على ضمان الحقوق الوطنية للعرب في فلسطين، ولكن تجنبا للقلاقل التي تهدد استمرار السيطرة البريطانية. وكانت ترى أن حسم الصدامات بين العرب واليهود في فلسطين لا يمكن إنجازه آلا من خلال إبقاء زمام الموقف في أيدي بريطانيا أنصافا للطرفين وحرصا على رفاهية ورخاء فلسطين وكذلك كانت المقطم تطالب بإعادة النظر في صك الانتداب «لان تطبيقه الحالي في فلسطين سيؤدي إلى مزيد من سفك الدماء ولذلك يمكن أجراء بعض التعديلات غير الجوهرية حرصا على استمرار النفوذ والسيطرة البريطانية ولكن بخسائر أقل». وكانت المقطم منبرا للدفاع عن وعد بلفور بأساليب مباشرة وغير مباشرة، وكذلك كانت المقطم الصحيفة المصرية الوحيدة التي نشرت مقالات لبعض الكتاب اليهود يطالبون باستمرار هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني بعد انتهاء مدة تعاقده في فلسطين رغم ما اتسمت به فترة حكمه من زيادة الاضطرابات بين العرب واليهود بسبب تحيزه الواضح للوطن القومي اليهودي وتشجيعه للهجرة

اليهودية وانتزاع الأراضي بالقوة من الفلاحين العرب لصالح الشركات الصهيونية.

وقد كانت «السياسة» اليومية تميل إلى نشر المقالات والدراسات السياسية المنقولة عن الصحف الأوروبية (الإنجليزية والفرنسية) والتي تحمل معلومات اكثر مما تحمل وجهة نظر.

وتتفرد السياسة عن بقية الصحف المصرية بهذا الاتجاه محاولة إسباغ طابع موضوعي على موقفها من السياسة البريطانية في فلسطين خلال العشرينات والثلاثينات. وان كان لا يخلو الآمر من نشر بعض المقالات التي تنبئ عن وجهة نظر السياسة بأسلوب غير مباشر. وكانت السياسة تؤمن بأهمية التعرف على آراء الخصوم ولذلك اهتمت بنشر دفاع لويد جورج عن الوطن القومي اليهودي ووعد بلفور، كما نشرت السياسة حديثا مع العالم الألماني أيشتين نقلا عن صحيفة الاكسلسيور الفرنسية صرح فيه عن أمله في أن تواصل بريطانيا دورها الإنساني في إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

وقد حرصت «كوكب الشرق» في معالجة هذا الجانب من جوانب القضية الفلسطينية على إبراز العلاقة بين الانتداب البريطاني والصهيونية ودور بريطانيا في تنفيذ وعد بلفور، وذلك سواء في أخبارها أو تعليقاتها أو مقالاتها. وكانت كوكب الشرق تأخذ في مقالاتها دائما جانب الدفاع عن القوى الوطنية الفلسطينية والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني في مواجهة سياسة التهويد آلتي كانت تنتهجها حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين. لذلك اهتمت بنشر الوقائع التي تكشف تحيز بريطانيا لليهود ضد العرب ودورها في تشريد عرب الحوارث والزيادة وإخلائهم عن أراضيهم بالقوة المسلحة لصالح الصهيونية. كذلك تابعت كوكب الشرق نشاط الوفد الفلسطيني في لندن سنة 1930 كما اهتمت بإبراز تعاطف مسلمي لندن مع القضية الفلسطينية. وكان يغلب على معالجة كوكب الشرق الطابع الحماسي المشوب بالانفعال. ولذلك كانت تكثر من نشر النداءات والتصريحات المباشرة التي تنقل وجهة نظر اللجنة التنفيذية العربية في مواجهة السياسة البريطانية في فلسطين.

وتنفرد «البلاغ» عن الصحف المصرية المعاصرة لها في تلك الفترة بأنها

كانت تنقل عن الصحف الأوروبية والصحف الفلسطينية في ذات الوقت وكانت تنتقي من الصحف الأوروبية المقالات المؤيدة لوجهة النظر العربية أو التي تبرز التحالف البريطاني الصهيوني وفي تلك الحالة كانت تقوم البلاغ بالتعليق عليها وتفنيدها.

وقد حاولت «البلاغ» توضيح أهمية فلسطين في المخططات البريطانية والتأكيد على أهمية الوطن القومي لليهود باعتباره متكأ للسياسة البريطانية في الشرق الأدنى، كما اهتمت البلاغ بنشر مقالات عن وعد بلفور في الشرق الأدنى. وتناقضه مع وعود بريطانيا للعرب أثناء الحرب العالمية الأولى.

أما صحيفة الاتحاد فقد اقتصر اهتمامها على متابعة نشاط المندوب السامي وتصريحاته وزيارته للمندوب السامي الفرنسي في سوريا. وكانت الاتحاد تنقل أيضا عن الصحف الأوروبية ولكن كانت تهتم بنشر المقالات التي تهادن السياسة البريطانية في فلسطين. ولم تحاول الاتحاد قط أن تبرز أو تشير إلى العلاقة العضوية بين الانتداب البريطاني والصهيونية بل على العكس كانت تحاول إيهام القراء بان بريطانيا حريصة على مصالح العرب في فلسطين قدر حرصها - أن لم يكن اكثر - على مصالح اليهود.

وما يدعو للدهشة الهجوم والنقد الذي تعرضت له السياسة البريطانية في فلسطين من جانب الصحف اليهودية في مصر، وهما صحيفة إسرائيل والشمس إذ لم تنقطعا عن اتهام بريطانيا بالتخلي من وعودها لليهود في فلسطين، كما شنتا هجوما عنيفا على سوء استغلال بريطانيا للاماكن المقدسة في فلسطين. كذلك وجهت «إسرائيل» نقدا حادا لتقرير لجنة شو للتحقيق في أحداث البراق، واتهمت اللجنة بالتحيز للعرب.

آما صحيفة الشورى لسان حال الفلسطينيين في مصر.. فقد تابعت بالتعليقات والمقالات السياسية مراحل السياسة البريطانية في فلسطين مع التأكيد على جوانب التحيز الصريح للوطن القومي اليهودي والمضي بإصرار في تنفيذه رغم الاضطرابات والاصطدامات والانتفاضات التي قام بها العرب احتجاجا على سياسة تهويد البلاد. وكان «نشيم صبيعة» والأمير شكيب ارسلان من أبرز الذين كتبوا عن السياسة البريطانية في فلسطين ووعد بلفور في العشرينات وبداية الثلاثينات.

وقد شهدت الثلاثينات مرحلة جديدة في العلاقات الصهيونية البريطانية حيث دب أول شقاق بين زعماء الحركة الصهيونية والحكومة البريطانية بسبب صدور كتاب باسفيلد الأبيض (أكتوبر 1930) والذي استقال على أثره وايزمن من رئاسة الوكالة اليهودية والمنظمة اليهودية كما أسلفنا، واستقال معه عدد من كبار زعماء الصهيونية.

وقام اليهود في العالم بحملة عنيفة ضد بيان الحكومة البريطانية في كتابها الأبيض وانضم إلى الجلسة كبار الاستعماريين البريطانيين أمثال سمسفي وتشيمبرلين وبولدوين وتشرشل وايمري فشجعوا كتاب باسفيلد وضربوا على نغمه (الالتزام المزدوج). وانهال سيل البرقيات من كل مكان على الحكومة البريطانية ودوائر عصبة الأمم مما آثار دهشة لجنة الانتدابات الدائمة في جنيف وجعل أحد أعضائها يتساءل ما إذا كانت اللجنة أمام مؤامرة دعائية عالمية، وقد دل ذلك على مدى تنظيم الحركة الصهيونية العالمية، كما دل ذلك على أن الاستمرار في سياسة الوطن القومي تقتضي مصالحة الزعماء الصهيونيين المستقيلين. وسرعان ما استجابت الحكومة البريطانية للضغط فدعت وايزمن ونفرا من الزعماء الصهيونيين للتفاوض مع لجنة وزارية خاصة الفت لهذا الغرض برئاسة وزير الخارجية مورسون وسكرتيريه مالكولم ماكدونالد، وانتهت المفاوضات الصهيونية وتراجع ماكدونالد عما جاء في كتاب باسفيلد الأبيض.

وقد تجسد هذا التراجع في الرسالة المعروفة برسالة ماكدونالد السوداء، وقد أطلق العرب عليها هذا الاسم أنهم اعتبروها وثيقة خزي وعار في تاريخ السياسة البريطانية.

وقد قاد الكتاب اليهود المصريون والجناح الصهيوني على الأخص حملة نقد عنيفين على السياسة البريطانية في فلسطين، وكانت «إسرائيل» والمقطم والشمس منابر رئيسية لهذا الهجوم. وكانوا يؤكدون في هجومهم على بريطانيا، بان استمرار بريطانيا في فلسطين أو تخليها عن الانتداب على أن ينقل إلى عصبة الأمم ذاتها، كل ذلك (لا يمس تصريح بلفور والوطن القومي بشيء، فليس الآمر معلقا على إرادة إنجلترا إذا أرادت العبث بعهودها لليهود، فقد وقعت على هذا العهد 52 دولة وصدقت عليه عصبة الأمم فاكتسبت صفة وثيقة دولية تتصل بشرف أمم العالم المتمدنين).

وقد حاولت الحركة الوطنية في فلسطين أن تتعاطف في هذه المرحلة مع اليهود والحركة الصهيونية ضد الإنجليز. ولذلك أجرى العرب اتصالات باليهود مقترحين التوصل معهم إلى نوع من الاتفاق على أتساس قطع العلاقات مع بريطانيا قطعا تاما، ولكن اليهود رفضوا ذلك على الفور لأنهم يعتبرون علاقتهم ببريطانيا مسالة جوهرية. ليس هذا فحسب بل قرروا أن يشكلوا وحدات مسلحة ويحاربون إلى جانب البريطانيين إذا ما تجددت الثورة. ولم يكن هذا التحالف بين العرب واليهود ممكنا لان الجناح المتمرد على الإنجليز جناح جابوتنساكي هو الجناح الأكثر صهيونية وبالتالي الأكثر يمينية وتخلفا وعداء للعرب. أما الجناح الصهيوني الآخر فقد كان يعتبر أن استمرار الاحتلال البريطاني حتى يبلغ اليهود نسبة معينة من السكان قضية أساسية. ولذلك كانت استراتيجيتهم تختلف عن استراتيجية العرب الذين يريدون الاستغلال للحيلولة دون زيادة عدد الصهيونيين ودون توسيع الاستيطان. ثم أن العرب كانوا يعتبرون أن بقاء الانتداب هو العقبة الرئيسية في سبيل تحررهم بينما كان الصهيونيون يعتبرون أن بقاء الانتداب هو السبب إلى بناء دولتهم، وهكذا كانت الأهداف متناقضة. وفي ضوء هذا التفسير يمكننا أن نفهم الدوافع التي كانت تحرك حملات الهجوم الصهيونية ضد الانتداب البريطاني. فالواقع أنها كانت للمزايدة وللتغطية وللتمويه اكثر منها حملات حقيقية للهجوم. كما كانت هذه الحملات مدفوعة بالرغبة في التعجيل ببناء الوطن القومي اليهودي. فهو آذن هجوم من موقع التحالف مع بريطانيا وليس من موقع التناقض معها. فذا كانت هناك تناقضات فهي تناقضات ثانوية.

4 النشاط الصهيوني في فلسطين في العشرينات والثلاثينات

تشترك الصحف المصرية عامة في الاهتمام بهذا الجانب، ولكن تختلف زاوية الاهتمام وحجمه.. وتعتبر البلاغ أكثر الصحف المصرية اهتماما بهذا الجانب في فترة العشرينات. وقد كانت تركز على فشل الصهيونية في فلسطين والتشكيك في نجاحها والتنبيه إلى كذب دعايتها[1].

كما اهتمت بإبراز نشاط الوكالة اليهودية والنشاط الصهيوني في الميادين الاقتصادية[2]، وكان اهتمام البلاغ بمتابعة النشاط الصهيوني لا يقتصر على رصد هذا النشاط والتعليق عليه داخل فلسطين فحسب بل تابعت النشاط الصهيوني العالمي وخاصة المؤتمرات الصهيونية. وقد اتخذ اهتمامها في اغلبه شكل مقالات وتعليقات وأحيانا أخبار، وكانت تحاول دائما إبراز العلاقة بين المؤتمرات الصهيونية واستعمار فلسطين[3]. رغم أن البلاغ لم تهتم بمسالة الهجرة اليهودية خلال العشرينات آلا نادرا فقد بدأ اهتمامها يتدفق ابتداء

من مايو 1930 وتصاعد أثناء الثلاثينات بشكل واضح. وقد ركزت البلاغ بشكل خاص على ضرورة وقف الهجرة وتقييدها. أشارت إلى تهريب اليهود إلى فلسطين والعصابات الصهيونية التي تقوم بتزوير شهادات الهجرة ومراكز هذه العمليات في أوروبا والعالم الغربي[4].

وقد انفردت البلاغ بعدة مقالات عالجت فيها موقف اليهود من المجلس التشريعي والقرارات آلتي اتخذها مؤشر صهيونيي إنجلترا التي انصبت جمعيها على الاعتراض على تشكيل المجلس التشريعي في ظل ظروف عدم الاتفاق بين العرب واليهود مما يضر كثيرا بالوطن القومي[5]، وقد عالجت البلاغ أيضا الانقسامات داخل الحركة الصهيونية وحرضت على إبراز آثارها على فلسطين. وكذلك أشارت إلى قضية تسليح اليهود ومصادر هذه الأسلحة ووسائل تهريبها إلى فلسطين ودور الحركة الوطنية في مراقبة وضبط هذه الأسلحة، آما قضية بيع الأراضي فقد كانت البلاغ أكثر الصحف المصرية اهتماما ومتابعة لهذا الجانب، وقد طالبت بإنشاء شركة لإنقاذ الأراضي، كما كشفت عن موقف الأمير عبد الله وتأجير أتراضيه لليهود، ونشرت التحقيقات كاملة عن مأساة عرب الحوارث.

آما الأهرام فقد اهتمت بمتابعة النشاط الصهيوني في فلسطين من الناحية الخبرية، وكانت تركز على زيارات الزعماء الصهيونيين لفلسطين، كما كانت تشير إلى مستقبل الوطن القومي في فلسطين. وما يكتنفه من صعوبات.. وقد بدأ اهتمامها بهذا الجانب منذ عام 1924. وقد تابعت الأهرام أخبار المؤتمرات الصهيونية بانتظام منذ عام 1927 وكانت أحيانا تنشر بعض التعليقات على هذه المؤتمرات[6]. وكانت الأهرام الصحيفة المصرية الوحيدة التي تابعت الحياة اليومية لليهود في فلسطين ومشاكلهم وإضراباتهم ونشاطاتهم المختلفة[7]. وعلاقاتهم بالخارج، و قد عالجت الأهرام موضوع الهجرة اليهودية[8] في فلسطين بغزارة ملحوظة ولكن اقتصرت المتابعة على الجانب الخبري، كما اهتمت الأهرام بمتابعة تهريب الأسلحة إلى اليهود منذ عام 1929[9]، وذلك على عكس الصحف المصرية الأخرى التي لم تبد اهتماما بهذه المسألة آلا في الثلاثينات. وأبدت الأهرام اهتماما غير عادي بقضية الشيوعية قي فلسطين بدأ منذ يونيو1928 وكان اهتمامها ينصب على إبراز العلاقة بين الشيوعية والتنظيمات الشعبية

اليهودية والفلسطينية. وقد اتخذ هذا الاهتمام شكلا خبريا أيضا. وقد تصاعد اهتمام الأهرام بمتابعة تطورات الهجرة اليهودية إلى فلسطين ابتداء من منتصف 1930، وبلغ الذروة في عامي 1933 , 1934 إذ كان لا يخلو الأهرام أسبوعيا من متابعة الموضوع عدة مرات على الأقل واهتمت بالذات بموضوع تهريب اليهود إلى فلسطين كما ركزت على الاضطرابات التي وقعت في فلسطين من جراء الهجرة اليهودية[10].

و فيما يتعلق بمسألة بيع الأراضي كان اهتمام الأهرام خبريا في معظمه، ولم تفصح الأهرام عن وجهة نظرها في هذه القضية الهامة. وان لم يكن من العسير أن تستشف موقفها من خلال المتابعة الخبرية. فنلاحظ أن معظم الأخبار كانت تتعلق بمشروعات اليهود لتحسين الأراضي والأسماء اليهودية التي أطلقت على المناطق العربية التي اشتراها اليهود والمساومات آلتي تجري على بيع الأراضي البراز رأي اليهود في تقرير ألمستر جون هوب سمبسون الذي طالب بالحد من الهجرة اليهودية وجعلها طبقا لطاقة البلاد الاستيعابية بالفعل وليس بالقول فقط[11].

أما «الاتحاد» فقد كان اهتمامها بمتابعة النشاط الصهيوني في فلسطين خلال العشرينات محدودا، رغم أنه تدفق في الثلاثينات بشكل ملحوظ وقد انصب اهتمامها على الإشادة بالوطن القومي ومنجزات اليهود في فلسطين البراز أهمية وعد بلفور لمستقبل فلسطين الاقتصادي والعمراني[12]، واتخذ هذا الاهتمام شكل مقالات. آما في الثلاثينات فقد تنوع اهتمام «الاتحاد» بالنشاط الصهيوني ولم يقتصر على استخدام المقالات فقط بل أتخذ في معظم الأحيان طابعا خبريا، وقد عالجت الاتحاد وسائل الهجرة الصهيونية وتسليح اليهود والمؤتمرات الصهيونية التي عقدت خلال الثلاثينات بإفاضة، وان كان اهتمامها بموضوع تهريب اليهود إلى فلسطين والهجرة غير المشروعة[13] قد نال جزءا أكبر من الاهتمام واستمرارية في المتابعة تفوق سائر جوانب النشاط الصهيوني تلك الفترة[14]، وقد التقت الاتحاد مع الصحف الصهيونية في مصر في الترويج للدعوة الخاصة باتفاق العرب واليهود من أجل الوطن المشترك. وكانت هي الصحيفة المصرية الوحيدة التي تابعت هذه القضية وقد بدأت منذ نهاية العشرينات حتى منتصف الثلاثينات[15].

وفيما يتعلق بالمقطم فهي تتميز بأنها كانت تعرض وجهتي النظر العربية والصهيونية من خلال كتابات القراء وكبار الكتاب من الفريقين، وهناك كثيرين المساجلات في هذا الصدد، ولكن يلاحظ أن اليهود المصريين كانوا يتخذون من المقطم منبرا رئيسيا للدفاع عن الصهيونية، ولكن اهتمام المقطم بالإنشاد الصهيوني في فلسطين خلال العشرينات كان ينصب معظمه على الدفاع عن الصهيونية والإشادة بالتحضر والعمران الذي أصاب فلسطين على أيدي الصهيونيين، وكان يروج لعقد مؤتمر اقتصادي أو سياسي مشترك بين العرب واليهود من أجل مستقبل فلسطين[16]. ونادرا ما كانت تلجا المقطم إلى الاستعانة بالأخبار في متابعتها للنشاط الصهيوني. بل كانت تعتمد أساسا على المقالات وأحيانا التعليقات. وفي الثلاثينات لم يتغير أسلوب المقطم في إتاحة الفرصة للكتاب الموالين للفريقين العرب والصهيونيين لإبداء وجهات نظرهم في هذا الجانب من جوانب القضية الفلسطينية، ولكن يلاحظ كثرة المقالات التي نشرت بأقلام كتاب يهود مصريين مثل د. هلال فارحي وسعد يعقوب المالكي وعزرا ليفي ودانيال ليفي. بعض هذه المقالات كانت تشكل جزءا من معركة ثارت بين رجال الاكليروس، الذين كانوا يطالبون بمقاطعة اليهود مقاطعة تامة فلأنهم يمتنعون عن تشغيل العرب. وهنا انبرى الكتاب اليهود للرد عليهم واستنكار دعوتهم والاستشهاد بمآثر اليهود على المسيحيين في العصور الغابرة[17]. وكذلك شغلت صفحات المقطم بعدة مقالات لإثبات أن اليهودية قومية وليست دينا[18]. ومقالات أخرى ترى أن اليهودية دين وأمة وليست قومية[19]. ولم نلاحظ اهتمام المقطم بالقضايا الأساسية التي دار حولها النشاط الصهيوني في فلسطين في الثلاثينات مثل قضايا الهجرة وشراء الأراضي وتسليح اليهود، وان كانت قد تابعت المؤتمرات الصهيونية وكانت تركز على التصريحات التي يدلي بها زعماء الصهيونية لتحذير العرب وكانت تشير إلى التصريحات الاستفزازية[20]. واهتمت المقطم بإبراز نوعية المهاجرين اليهود إلى فلسطين مستهدفة التأكيد على أنهم لن يشكلوا عبئا أو معوقا للوجود العربي في فلسطين بل سوف يساهمون في تطوير وتقدم البلاد[21].

وقد اهتمت المقطم بنشر مأساة إجلاء عرب الزبيدات عن أراضيهم والمعركة التي نشبت بينهم وبين اليهود والبوليس البريطاني وبجلائهم بالقوة

عن أراضيهم[22]. وتشارك «السياسة» المقطم في تبنيها لوجهة النظر الموالية للصهيونية. وقد برز هذا الاهتمام في المقالات التي كتبتها عن الجامعة العبرية، وأشادت بالدور الحضاري الذي تقوم به في فلسطين، كما اهتمت «السياسة» بمتابعة المؤتمرات الصهيونية ودورها في إقامة الوطن القومي اليهودي وتبريرها للأسباب التي دفعت اليهود إلى البحث عن وطن. والاضطهادات التي لقيها اليهود في أوروبا. وعلاقة ذلك بالهجرة اليهودية إلى فلسطين[23]. وقد عالجت السياسة النشاط الصهيوني في الثلاثينات في سلسلة مقالات كتبها محمد عبد الله عنان ابعد زيارته لفلسطين تميزت باحتوائها على قدر كبير من المعلومات التاريخية، وقد تناولت فيها المراحل آلتي مر بها وعد بلفور وما ترتب عليه من كوارث وماس لا زال العرب في فلسطين يدفعون ثمنها باهظا[24]. كما عالجت السياسة قضية الهجرة اليهودية إلى فلسطين من زاوية تختلف عن الزوايا الأخرى آلتي عالجتها الصحف المصرية، فقد أبرزت علاقة الهجرة اليهودية بالأوضاع النازية في ألمانيا وكشفت عن تواطؤ بريطانيا مع السلطات الألمانية لتسهيل الهجرة إلى فلسطين[25].

آما كوكب الشرق فقد تركز اهتمامها على المقالات التي تبرز خطورة الصهيونية على فلسطين بالإشارة إلى دسائس الصهيونية ضد العرب واجتماعات اليهود وأساليبهم من أجل السيطرة على فلسطين[26]. كما كانت تشير إلى الخلافات والانقسامات بين الصهيونيين في فلسطين. وقد كانت كوكب الشرق اكثر الصحف المصرية اهتماما بأخبار الهجرة اليهودية واهتمت بمتابعة أرقام المهاجرين اليهود إلى فلسطين كما اهتمت بوسائل دخولهم إلى فلسطين[27].

ولم يفتها إبراز العلاقة العضوية بين مسألتي الهجرة والأراضي لذلك نلاحظ اهتمام كوكب الشرق بكشف أساليب الصهيونية في امتلاك أراض فلسطين والدور الذي تقوم به المنظمات الصهيونية لشراء الأراضي. وقد انفردت كوكب الشرق عن بقية الصحف المصرية بنشر عريضة الحزب العربي الفلسطيني التي رفعها إلى المندوب السامي وتناول فيها مشكلتي الهجرة وبيوع الأراضي أملا في أن يتدخل المندوب السامي مدفوعا بمبادئه الإنسانية من أجل وقف عملية البيوع والهجرة[28]، واهتمت كوكب الشرق

بنشر، عدة فتاوى بتجريم كل من يبيع أرضه، كما ركزت على دور السماسرة في بيع أراضي فلسطين [29].

وقد لجأت كوكب الشرق في معالجة النشاط الصهيوني إلى المقال التحليلي، كما أنها لم تتجاهل الخبر وان كانت أكثر الصحف المصرية استخداما للنداءات والبيانات والمذكرات والعرائض.

أما صحيفة الشورى لسان حال الفلسطينيين في مصر فقد اهتمت بنشر تصريحات الزعماء الصهيونيين وتفنيدها والرد عليها[30]. كما نشرت عدة مقالات هامة للأمير شكيب أرسلان عن الصهيونية تناول فيها الأسس التاريخية لنشأتها وخطورتها على مستقبل الوطن العربي، كما أبرز أن استمرارها في فلسطين مرهون.. بضعف الآمة العربية وبعجزها عن درء الخطر الصهيوني[31] كما اهتمت الشورى بمتابعة أكاذيب الصهيونية وإن بإسناد تصريحات كاذبة إلى الزعماء العرب لخلق وقيعة الحركة الوطنية الفلسطينية، كان محمد علي الطاهر رئيس تحرير الشورى يهتم بملاحقة ادعاءات الصهيونيين وكشف ما تنطوي عليه من كذب وافتراء. وكانت المقالات هي المادة الأساسية التي اعتمدت عليها الشورى في معالجتها لمختلف جوانب القضية الفلسطينية.

وكان موقف صحيفة إسرائيل هو الدفاع الدائم عن الوطن القومي اليهودي والصهيونية ولم يقتصر دورها على خدمة الصهيونية من الناحية الدعائية فحسب بل كانت تتصدى دائما للرد على الصحف المصرية الموالية للفلسطينيين في مختلف القضايا[32] التي أثيرت في العشرينات والثلاثينات بدءا بقضية الهجرة وملكية حائط المبكى وانتهاء بقضية الشيوعية في فلسطين. وقد كانت إسرائيل تحاول الربط بين الجرائم والشيوعية في فلسطين[33] وتدفع تهمة الشيوعية عن الصهيونيين وذلك ردا على الصحف المصرية التي كانت تربط بين الشيوعية والصهيونية في معظم الأحيان.

آما صحيفة الشمس فقد كان دورها مكملا لصحيفة إسرائيل ولكن بأسلوب أكثر خبثا ودهاء، فقد كانت تتظاهر دائما بحرصها على علاقة العرب واليهود في فلسطين لمصلحة الطرفين، وكانت في ذات الوقت تبث سمومها بهدوء. فهي لم تتخلف عن الدفاع بشكل مباشر غير مباشر عن مصالح الصهيونية ودورها في بناء فلسطين[34].

ويدور النشاط الصهيوني في فلسطين في العشرينات والثلاثينات حول ثلاث قضايا رئيسية عالجتها الصحف المصرية من زوايا مختلفة وبمدى متفاوت من الاهتمام. هذه القضايا هي على التوالي:

1- الهجرة اليهودية.
2- الجامعة العبرية وزيارة بلفور لفلسطين 1925 بمناسبة افتتاحها.
3- قضية الأراضي.

وسوف نتناول كلا منها على حدة.

هوامش

(1) البلاغ 9/1/1927 تقرير الدكتور برغشت عن الصهيونية وعجزها عن حل مشكلة اليهود.
(2) البلاغ 22/8/1923 مقال عن فشل الصهيونية في فلسطين.
(3) البلاغ 19/12/1926 فشل الصهيونية في فلسطين.
البلاغ 9/4/1929 الصهيونية مشروعاتها السيطرة على فلسطين من الناحية الاقتصادية.
(4) البلاغ 25/8/1929 مقررات المؤتمر الصهيوني.
(5) البلاغ 25/5/34, 20/11/1934, 4/1/1935.
(6) انظر الأهرام 12/8/1929, 16/7/1931, 2/9/1933.
(7) * انظر الأهرام 8/1/1931, ، 24/7/1931, 12 /1931/ 10 25 8 33.
(8) * انظر الأهرام 3/ 9/1934, 29/5/1934, 26/8/1934.
(9) الأهرام 5/7/1931, 2/12/1934.
(10) الأهرام 3/6/1934, 29/5/1934, 26/ 8/34, 2/12/1934.
(11) الأهرام 5/1/ 1933, 6/12/1931, 22/5/1931, 15/7 ل/1934.
(12) الاتحاد 17/5/1925 الحركة الوطنية في فلسطين.
(13) الاتحاد 8/9/1935 خطبة وايزمان في المؤتمر الصهيوني.
(14) الاتحاد 20/3/1930, 24/12/1933, 21/8/34, 21/10/1935،
(15) الاتحاد 6 /8/1934, 22/9/1934.
(16) المقطم 10/5/1923دفاع عن الصهيونية بقلم اسرائيل رئيب.
(17) المقطم 17/3/1923 اليهود الوطنيون والصهيونية بقلم يوسف كاستل. المقطم 28/9/1929 الوطن القومي لليهود بقلم محمد علي الطاهر.
(18) المقطم 16/12/1933, 6/12/1933.
(19) المقطم 30/3/1934 اليهود قومية بقلم سعد يعقوب المالكي.
(20) المقطم 11/4/1934 اليهودية دين الله بقلم نقولا.
(21) المقطم 14/7/1931.
(22) المقطم 2/9/1933.
(23) المقطم 8/2/1935.
(24) السياسة 16/8/1929, 10/12/1929.
(25) أنظر أعداد السياسة من 28 10 1933- 5/11/1933.
(26) السياسة 22 /10/1933.
(27) كوكب الشرق 20/5/1930.
(28) كوكب الشرق 19/3/1935, 11/4/1935, 15/4/1935.
(29) كوكب الشرق 8/11/1935, 1/6/1929.
(30) كوكب الشرق 13/2/1935, 15/ 6/1929.

(31) الشورى 30/9/1929.

(32) الشورى 16/10/1929، 6/11/1929.

(33) إسرائيل 13/6 /1930، 5/1/1934.

(34) انظر أعداد الشمس 1934، 1935، 1936.

المبحث الأول

الهجرة اليهودية

اعتمد الغزو الصهيوني لفلسطين الذي بدا في أواخر القرن التاسع عشر على العنصر البشري كأحد أركانه الأساسية وقد تميزت السنوات الأولى من الثلاثينات بزيادة موجات الهجرة اليهودية بمعدلات كبيرة فاقت في عام 1933 كل ما ذهب إلى البلاد في السنوات الست السابقة لذلك العام. ولا تخفى العلاقة الجدلية بين النشاط الوطني الفلسطيني وحركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين. فكلما زادت الأخيرة ترك ذلك انعكاسه الحاد على الحركة الوطنية الفلسطينية في شكل إضرابات ومظاهرات واحتجاجات، والعكس صحيح تماما. ودليل ذلك أن الهدوء النسبي الذي تميزت به الحركة الوطنية الفلسطينية بعد عام 1921 يرتبط إلى حد كبير بضعف معدلات الهجرة اليهودية في السنوات آلت! إلية، كما أن زيادة النشاط الوطني وتكثيف جهود الحركة الوطنية وتبلورها في سنة 1933 والسنوات التالية لها كان مرتبطا بازدياد الهجرة في تلك السنوات[1].

وقد تابعت الصحف المصرية قضية الهجرة اليهودية إلى فلسطين باعتبارها مؤشرا هاما لنمو الوطن القومي اليهودي وذات صلة وثيقة بتصاعد

الحركة الوطنية الفلسطينية بالإضافة إلى دلالتها الواضحة على التحالف البريطاني الصهيوني ضد المصالح القومية لعرب فلسطين.

وتتباين اتجاهات الصحف المصرية ويتنوع اهتمامها بمسألة الهجرة وذلك طبقا لمواقفها من القضية الفلسطينية ككل، فنلاحظ إن صحيفتي البلاغ وكوكب الشرق قد ركزتا على متابعة أعداد المهاجرين اليهود البراز ردود الفعل العربية إزاء تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين مع عدم إغفالها لمواقف الأطراف الأخرى في الصراع وخصوصا حكومة الانتداب والتسيرات التي كانت تقدمها لحركة الهجرة اليهودية بالرغم من احتجاجات العرب المتواصلة وتوصيات لجان التحقيق المختلفة بضرورة تقييد الهجرة أو إيقافها.

وتنفرد كوكب الشرق بنشر إحصائية عن عدد المهاجرين اليهود خلال عامي 1933 , 1934، وتذكر عدد المسلمين والمسيحيين الذين دخلوا فلسطين خلال نفس الفترة مستهدفة من تلك إلى إبراز الفرق الهائل بين أعداد هؤلاء وأعداد أولئك. ولا تعلق الصحيفة على الإحصائية بل تكتفي بذكر الأرقام وتترك للقارئ مهمة الاستنتاج أدراك مدى الخطورة التي أصبحت تشكلها الهجرة اليهودية على سكان فلسطين ومصيرهم القومي.

تشير الإحصائية إلى أن عدد اليهود الذين دخلوا البلاد سنة 1933 كانوا 30337 مهاجرا بينما بلغ عدد المسلمين والمسيحيين 1150 شخصا، وفي سنة 1934 زاد عدد المهاجرين اليهود حتى بلغ 32758 مهاجرا بينما لم يزد عدد المسلمين والمسيحيين عن 1783 شخصا[2]. ونلاحظ أن عدد اليهود أصحاب رؤوس الأموال المهاجرين إلى فلسطين قد ازداد خلال السنوات الأولى من الثلاثينات وتفوق على عدد المتدينين والأيتام الذين كانوا يفدون إلى فلسطين في موجات كبيرة خلال العشرينات. فقد بلغ عدد أصحاب رؤوس الأموال اليهود في سنة 1933- 3250 مهاجرا بينما دخل البلاد من الفئات الفقيرة المتدينة في نفس العام 460 مهاجرا فقط وفي سنة 1934 زاد عدد الفئة الأولى وبلغ 5125 مهاجرا ولم يزد عدد الفئة الثانية عن 2100 شخصا[3].

وتفسر المقطم هذه الظاهرة بان البلاد كانت في البداية مفتوحة في وجوه الفقراء وكانت الأموال ترد من الخارج لشراء الأراضي باسم الشعب اليهودي. ولكن الأزمة الاقتصادية العالمية (1929 - 1931) أثرت بشكل حاسم في تحويل اتجاه الأموال اليهودية، فبدلا من منحها للحركة الصهيونية في

فلسطين أصبحت تستثمر فيها.. آي أن باب الهجرة قد فتح في وجوه الطبقة المتوسطة بدلا من الطبقة الفقيرة، وحل الماليون اليهود محل الفقراء الذين كانوا يحتقرون المال والربح ويقعون بالاشتراك في تعمير صهيون[4] ولذلك أصبح من النادر أن نسمع عن خريجي الجامعات في روسيا وبولندا ورومانيا يكسرون الحجارة لترميم الطرق آو يحلبون البقر ولكن اصبح من الشائع رؤية كثير من اليهود يبنون مصانع الأسنان الصناعية والصابون والثياب والمطابع وهي أعمال تعود بربح وفير على أصحابها[5].

وهنا تشير المقطم آلي تحول أساسي في اتجاه الحركة الصهيونية، فقد كان الرواد الأوائل الذين وفدوا إلى فلسطين يتكونون من مجموعات من المثاليين المدفوعين بخليط من الأفكار الصهيونية والتصورات الدينية وتحقيق الحلم اليهودي الأزلي بإقامة مملكة إسرائيل في أرض الميعاد. ولذلك كان يسيطر عليهم الفكر والسلوك الجماعي على عكس مجموعات المهاجرين في الثلاثينات الذين كان أغلبهم من الطبقة المتوسطة (البرجوازية التجارية والصناعية) فقد كان يحركهم أساسا عامل الربح والسلوك الفردي. فذا كانت الاعتبارات الاقتصادية من دوافعهم فأنها لم تكن الدافع الوحيد. فلقد كانوا في كثير من الحالات متشبعين بقناعات صهيونية في النواحي الدينية خاصة.

وتذكر الإحصائية التي نشرتها كوكب الشرق أن عدد العمال اليهود الذين دخلوا فلسطين عام 1933 بلغ 1165 عاملا ووصل سنة 1934 إلى 1688 عاملا[6]. وتشير البلاغ بهذه المناسبة إلى ظاهرة جديدة تتعلق بهؤلاء العمال، خاصة بشهادات الهجرة التي تتسلمها الوكالة اليهودية من حكومات الانتداب وتقوم بتوزيعها بالعدل بين اليهود. والجديد في هذه المسألة هو إعطاء شهادات الهجرة على الحساب وهى طريقة ابتدعتها الحكومة منذ نهاية عام 1932، وقد ترتب عليها مفارقات ونتائج غريبة. ذلك أنه عندما يحل موسم إعطاء باقي الشهادات وتقوم الحكومة بخصم العدد الذي حصلت عليه الوكالة من قبل (على الحساب) هنا تثور ثائرة الوكالة وباقي الهيئات اليهودية في فلسطين والخارج وتبكي وتنوح زاعمة أن الحكومة قد أعطت الوكالة عددا من الشهادات اقل من العدد المقرر، وأنها في سبيل تحقيق الهجرة اليهودية إلى البلاد. وتكون النتيجة (أن الحكومة البريطانية تحت

تأثير هذه الحملات في البرلمان البريطاني وفي لجنة الانتدابات (تلحس) العدد الذي أعطته على الحساب وتحسبه هبة في سبيل الله وتعطي الوكالة بدله عددا مماثلا آو أكثر[7]. والمعروف أن هذه الشهادات تعطى فقط من اجل هجرة العمال اليهود وهى لا تقل عن ستة آلاف شهادة في كل ستة أشهر ويحق للعامل الذي يدخل بها أن يأتي بعائلته، وهي عادة لا تقل عن خمسة أشخاص.

ومن أبرز السمات التي تتميز بها الهجرة اليهودية في الثلاثينات (سيل اليهود الهاربين من ألمانيا الذي أخذ يتدفق إلى فلسطين البلاد التي يمكنهم أن يدخلوها كحق وليس كمهنة)[8]. ولقد كان نصيب ألمانيا من شهادات الهجرة 6,26 ٪ فازدادت حصتها إلى الضعف بعد وصول الحزب النازي إلى الحكم سنة 1933 وأخذ اليهود الألمان يتأهبون للنزوح من بلادهم، ووجد كثير منهم ملجأ مؤقتا لهم في البلاد المجاورة لألمانيا. وقد نظر زعماء الحركة الصهيونية بعين الأمل آلي نذر اضطهاد اليهود في أوروبا وأدركوا أن موجة الاضطهادات لبني دينهم لا بد قادمة وان مثل هذه الاضطهادات إذا جرت يجب أن تستغل لمصلحة الصهيونية ولمصلحة تحقيق الدولة اليهودية في فلسطين [9]، وقد اتفقت سلطات الانتداب البريطاني مع الوكالة اليهودية على أن اليهود الفارين من الاضطهاد النازي في ألمانيا الذي انتقلت عدواه إلى جاراتها يقبلون في فلسطين وعلى ضوء ذلك نشطت الحركة الصهيونية لأيقاظ حركة اللاسامية من رقادها في معظم بلدان أوروبا الشرقية، فعم الخوف بين اليهود وبدأت أعداد كبيرة منهم تقتنع بالدعاية الصهيونية التي نجحت في تحويل أنظارهم إلى فلسطين.

تهريب اليهود إلى فلسطين

نشطت في عام 1934 حركة تهريب اليهود إلى فلسطين برا عن طريق الحدود الفلسطينية السورية واللبنانية المشتركة وعن طريق البحر وخصوصا المراكب التي كانت تأتى من مصر تحمل أعدادا كبيرة من يهود مصر واليمن[10]. وقد أولت الصحف المصرية هذا الموضوع اهتماما ملحوظا وقامت بتغطية حوادث تهريب اليهود إلى فلسطين عن طريق السفن المصرية وبمعاونة البحارة المصريين. وقد نشرت صحيفة الاتحاد نبأ عن موافقة

وزارة الداخلية المصرية على الصريح لليهود الذين يتجاوزون الموانئ المصرية على البواخر البحرية في طريقهم إلى فلسطين بالنزول إلى الموانئ المصرية في الفترة التي تقيم خلالها البواخر في هذه الموانئ[11]. وهذا يوضح إلى أي مدى كانت السلطات المصرية تساهم في منح التيسيرات للهجرة اليهودية إلى فلسطين سواء تم ذلك عن عمد أو عن غفلة. وقد كان من الشائع أن تطالعنا صحف هذه الفترة بأخبار يومية عن ضبط مراكب مصرية تقوم بتهريب اليهود أحيانا في مياه يافا وأحيانا أخرى في مياه غزة.

ونظرا لعدم فاعلية الإجراءات التي كانت تتبعها السلطات الانتدابية لمراقبة الهجرة غير المشروعة وخصوصا عطيات التهريب التي تصاعدت بشكل ملحوظ خلال صيف 1934. لذلك قام شباب فلسطين بجهود ذاتية في محاولة لمقاومة هذه العملية. وأخذ مؤتمر الشباب على عاتقه تنظيم عملية حراسة سواحل وحدود فلسطين فقرر في 13 يوليو 1934 تشكيل لجنة لحراسة السواحل والحدود[12]، و قد أرسل مكتب الشباب وفدا إلى بيروت ودمشق لمنع بعض العملاء العرب من تشجيع الهجرة اليهودية وكانوا يقبضون 18 جنيها فلسطينيا مقابل إدخال النفر الواحد من اليهود إلى فلسطين[13].

وبينما كانت الصحافة المصرية تتابع مضار تصاعد حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتسهم بإيجابية في كشف بواطن الخلل والتواطؤ محاولة إبراز الجهود المتواضعة آلتي كان يبذلها الشعب الفلسطيني في مواجهة التواطؤ البريطاني الصهيوني المدعوم برؤوس الأموال اليهودية والقوى العسكرية المدربة ووسائل الدعاية العصرية فضلا عن تأييد الدول الغربية بأكملها-في هذا الوقت كان الصوت الصهيوني في مصر لا يخفت مطلقا، بل نراه يعلو احتجاجا أو تأييدا أو استنكارا طبقا للظروف ووفقا لمراحل بناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين والصعوبات التي كانت تعترض أقامته. فعندما أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض في أكتوبر سنة 1930 الذي تناول مسألة الهجرة وأشار إلى ضرورة التشديد لمراقبة المهاجرين وأبعاد من كان منهم يحاول التلاعب بالقوانين والحد من تدخل منظمة العمال في تنظيم الهجرة اليهودية، كما أشار إلى العلاقة بين البطالة عند العرب ومعدل الهجرة اليهودية[14]، ولذلك أوصى توفيقا فحكام صك

الانتداب أن تعمل الدولة المنتدبة على تخفيض الهجرة آو توقيفها إذا استدعت الضرورة ذلك ريثما يتسنى للعاطلين من الفئات الأخرى أيجاد عمل لهم[15]- حينئذ ارتفعت أصوات الصحف الصهيونية في مصر تندد بموقف حكومة ماكدونالد «التي لم تقدر بادئ الآمر النتائج الخطيرة التي من الطبيعي أن تترتب على وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين»[16]، وترى صحيفة إسرائيل أن أولى هذه النتائج هي حبس الأموال اليهودية عن فلسطين بسبب موجة السخط التي أثيرت بين الدوائر اليهودية في مختلف إنحاء العالم والتي تبلورت في شكل مظاهرات واحتجاجات شديدة ضد بريطانيا. وتستشهد الصحيفة بظاهرة نيويورك التي اشترك فيها25 آلف يهودي للاحتجاج على وقف الهجرة وانتقاد سياسة بريطانيا بسبب عدم احترامها لالتزاماتها الدولية إزاء الوطن القومي. وتبالغ الصحيفة في تصوير الأثر الذي ترتب على صدور الكتاب الأبيض وتوصياته الخاصة بالهجرة فتشير إلى صداه في لجنة الانتدابات التي وجهت اللوم إلى الحكومة البريطانية لعبثها بحقوق الشعب اليهودي ويصل إلى حد أنها لا (تستبعد على الدول التي وقعت على تصريح بلفور وعددها 52 دولة أن تطالب إنجلترا بتنفيذ هذا الوعد وإنشاء الوطن القومي[17]). وتشير الصحيفة إلى احتجاج أصحاب المصانع في تل أبيب على وقف الهجرة بسبب الأضرار البالغة التي ستصيب الصناعة اليهودية في فلسطين نتيجة احتياجها الشديد إلى أعداد وفيرة من العمال اليهود وأن قرار و قف الهجرة سيعوق بناء الوطن القومي اليهودي. ولكن رغم ذلك (فان الشعب الأزلي يأبى أن ينزل عن حقوقه في سبيل وعود كاذبة وأماني مسلوبة بل سوف يواصل كفاحه من اجل بعث الحضارة اليهودية مهما كانت ا لعوائق[18]).

وقد أثيرت القضية مرة أخرى عندما كتب سعيد يعقوب المالكي للرد على الاقتراحات آلتي طرحها المندوب السامي على رؤساء البلديات في نوفمبر 1933 والخاصة بتقييد الهجرة اليهودية. إلى فلسطين، فأجرى مقارنة بين ما كانت عليه فلسطين قبل الهجرة اليهودية وبين ما هي عليه اليوم قال.. (أن المرء إذا ما قارن ما كانت عليه فلسطين بالأمس من خمول وفقر وخراب القفار وما هي عليه اليوم من تقدم وعمار ورقي وازدهار لتولاه العجب فأخذته الدهشة من هذا التقدم الباهر الذي قطعته البلاد بفضل

سواعد المهاجرين وأموالهم، ويرى أن ذوي المآرب السياسية يجادلون في هنره الحقيقة ويحاولون التمويه على الشعب العربي في فلسطين. والمؤلم أن السياسة البريطانية تتأثر بصيحات هذه الفئة ولا تنظر إلى مستقبل البلاد ولم تكتف بذلك بل كثيرا ما عمدت إلى مشروعات اليهود فعرقلتها والى حقوقهم المشروعة فعبثت بها. وهذه الحملة المنكرة على المهاجرين ليس لها معنى سوى أن الحكومة البريطانية قد حنثت بعهودها وعبثت بالمهمة التي فاتتها بها عصبة الأمم)[19].

ويتساءل الكاتب عن تفسير منطقي لموقف الحكومة البريطانية الذي يتنافى على حد قوله مع صك الانتداب ومصلحة البلاد ويرى الكاتب اليهودي (أن المسالة الفلسطينية بسيطة جلية لا لبس فيها وان الحكومة البريطانية إذا كانت تريد أن تحل المسألة الفلسطينية كما تدعي فما عليها آلا أن نفتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية فهي أن فعلت ذلك فأنها تسدي إلى البلاد أجل الخدمات)[20].

وتقوم صحيفة الشمس باستكمال الدور الذي تلعبه صحيفة إسرائيل للتأثير على الرأي العام المصري بالعمل على تهدئة أثر الحملات التي تقوم بها الصحف العربية في مصر ضد الهجرة اليهودية. وتردد وجهة النظر ذاتها مع اختلاف اللهجة وأسلوب المعالجة عن صحيفة إسرائيل. إذ أنها تتسم بقدر كبير من الهدوء واصطناع الأسلوب الناعم في طرح وجهة نظرها. وغالبا ما تضع صحيفة الشمس المسئولية على بريطانيا فهي (التي تبذر الشقاق بين الشعبين الشقيقين وتمنعهما من المشاركة في بناء الوطن المشترك). وترى أن تردد الحكومة البريطانية وتلكؤها يعوق الدور الحضاري للشعب اليهودي في فلسطين (إذ لو كانت الأمور في فلسطين تسير في نهجها الطبيعي لأطلقت الحكومة الهجرة من عقالها وأزالت من سبيلها جميع العقبات حتى يتسنى لليهود أن يسروا بالبلاد في سبيل التقدم).

هوامش

(1) أ- سعد الياس: الهجرة اليهودية إلى فلسطين، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت ص 24, 28, 34.

ب- سميسون السير جون هوب: مرجع سابق.

جـ- اللجنة الملكية لفلسطين-مرجع سابق.

د- عادل غنيم-الحركة الوطنية الفلسطينية من 1917- 1936.

القاهرة 1974- ص 268.

(2) كوكب الشرق 19/3/1935 المهاجرون في عامين.

(3) المصدر السابق.

(4) المقطم 2/9/1933.

(5) كوكب الشرق 19/3/1935.

(6) كوكب الشرق 14/3/1933.

(7) البلاغ 24/10/1924 الحساب الجاري المتواصل في شهادات الهجرة اليهودية.

(8) د. كامل حله-مصدر سابق.

(9) السياسة 22/10/1933.

(10) الأهرام 29/5/1934 هجرة اليهود إلى فلسطين.

(11) الاتحاد 24/12/1922 اليهود إلى فلسطين.

(12) الأهرام 26/8/1934.

(13) كوكب الشرق 15/4/1935 الطرق التي يدخل منها اليهود إلى فلسطين.

(14) كامل خله-مصدر سابق.

(15) المقطم 26/7/1934.

(16) الاتحاد 21 /8/1934 الهجرة غير المشروعة الفلسطينية.

(17) المصدر السابق.

(18) د. طربين-مصدر سابق ص 55.

(19) إسرائيل 13/6/1930 حاجة فلسطين إلى مهاجرين جدد.

(20) المصدر السابق.

المبحث الثانى

الجامعة العبرية وزيارة بلفور لفلسطين

في 25 أبريل 1925 أعلن اللورد بلفور افتتاح الجامعة العبرية بصفة رسمية في احتفال مشهور مثل فيه الحكومة البريطانية وعدة حكومات أخرى مندوبون عن نحو ستين جامعة. وكانت جامعتنا المصرية إحداها[1]، ويعتبر ا فتفاح الجامعة العبرية في القدس من أبرز الأحداث التي شهدتها العشرينات في فلسطين. وقد كان لهذا الحدث أصداء واسعة شملت الشعب الفلسطيني وسائر الشعوب العربية خصوصا في سوريا والعراق ومصر.. وتجاوبت الصحف المصرية مع هذا الحدث إلى مدى بعيد وان اختلفت ردود الفعل طبقا لاتجاه كل صحيفة ونوعية القوى التي تعبر عنها. وقد انفردت صحيفة السياسة بنشر عدة مقالات هامة عن الجامعة العبرية وتاريخها والأقسام العلمية التي تشتمل عليها ومكتبتها والمشروعات العلمية آلتي تنوي القيام بتنفيذها، كما حرصت على إبراز الصلة يبن إنشاء الجامعة وفكرة البعث اليهودي.

كتبت السياسة عن نشأة الجامعة المصرية تقول: «لما جاءت اليهودية بفكرة الوطن القومي منذ نحو

نصف قرن برزت في نفس الوقت فكرة الأحياء اليهودي لتكون دعامة هذا الوطن، ورأى المفكرون من شعب إسرائيل أن بعث الآمة اليهودية لا يقوم آلا على بعث المدنية اليهودية من روحية وفكرية. وكانت هذه النظرية نواة الجامعة العبرية»[2].

وكان أول من فكر في إنشاء الجامعة هيرمان شابيرو أستاذ الرياضيات بجامعة هيدلبرج. وفي سنة 1901 اصدر المؤتمر الصهيوني الخامس قرارا بتأييد الفكرة، وفي سنة 1913 قرر المؤتمر الحادي عشر إنشاء الجامعة وبدأ بالفعل تفنيد القرار فاشتريت الأرض ووضعت التصميمات، ولكن اندلاع الحرب العالمية الأولى أدى إلى توقف كل شيء. ولما صدر وعد بلفور في 2 نوفمبر 1917 بعثت الفكرة من جديد وعهد إلى اللجنة الصهيونية آلتي جاءت إلى فلسطين في سنة 1918 بإنشاء الجامعة، وفي يوليو 1918 وضع الدكتور وايزمان الحجر الأساسي لبنائها فوق جبل الزيتون في القدس. ثم افتتحت رسميا في سنة1925. وترى السياسة (أن الجامعة العبرية تعد أول مرحلة في تنفيذ فكرة الأحياء اليهودي، ومن ثم تعد الدعامة الروحية والمعنوية لمشروع الوطن اليهودي، وهذا ما يتجلى في وظائفها وسياستها التعليمية الحاضرة. ذلك أن الجامعة العبرية معهد للبحث والاستقصاء قبل كل شيء، وهذا البحث يقتصر على كل ما يمكن أن يعود بالخير والرفاهية على مشروع الوطن القومي في الوقت الحاضر)[3].

وقد قادت كوكب الشرق حملة صحفية واسعة النطاق مستهدفة أيغاظ الرأي العام المصري وتنويره فيما يتعلق بحقيقة الهدف الذي أنشئت من أجله الجامعة العبرية بالقدس وان هذه الجامعة ليست وسيلة لنشر الحضارة والعلم في ربوع الشرق كما يدعي منشئوها ولكنها وسيلة لتحقيق الوطن القومي اليهودي في فلسطين. وتستشهد كوكب الشرق على ذلك بعدة شواهد منها ما يدعيه المندوب السامي السر هربرت صمويل من (أن هذا البيت الجامعة) لا يمكن أن يعجز عن نفع جميع الطوائف التي يتألف منها سكان فلسطين. وسكان فلسطين يعدون نحو ثلاثة أرباع مليون نسمة 10/9 منهم غير يهود يتكلمون العربية وال 10/1 الباقي يجهل أكثره العبرية. فهل من المعقول أن يكون التدريس بالعبرية؟ آذن لمن فتحت الجامعة.. ؟[4].

وتتساءل الصحيفة عن سر التناقض بين تصريح السر هربرت صموئيل

عن الجامعة العبرية وأنها ستكون مركزا جديدا للعلم ينشر العرفان في ربوع فلسطين، وكيف يتفق هذا مع قرار الحكومة وعلى رأسها السر هربرت صمويل نفسه بإغلاق المدارس الرسمية التي يتعلم فيها الوطنيون، وتواصل الصحيفة حملتها فتتساءل عن معنى دعوة اللورد بلفور ليفتتح الجامعة العبرية في فلسطين وهو صاحب الوعد الذي يشكو منه أهل فلسطين لأنه سيقضي على كيانهم. «أليس في ذلك امتهان كهؤلاء القوم وهم ضعفاء مغلوبون على آمرهم، وهل يتفق هذا مع هيبة العلم وجلاله وهل لمثل هذا نفتتح جامعات العلم في العالم»[5]. والواقع أن افتتاح الجامعة العبرية بالقدس قد ارتبط بإثارة حادثين على جانب كبير من الأهمية أولهما زيارة اللورد بلفور لفلسطين وقيامه بافتتاح الجامعة وما ترتب على تلك الزيارة من ردود فعل حادة لدى الشعب الفلسطيني والشعوب العربية وخاصة في سوريا ولبنان، ثانيهما اشتراك مصر في افتتاح الجامعة العبرية بإيفاد الأستاذ لطفي السيد مندوبا رسميا عنها وقد أثار ذلك الحدث ضجة كبيرة شاركت فيها الصحف المصرية والصحف الفلسطينية على اختلاف اتجاهاتها.

وفيما يتعلق بقيام اللورد بزيارة فلسطين لافتتاح الجامعة العبرية، فقد قابلها الفلسطينيون بالاحتجاج والإضراب الشامل، وظهرت في الصحف الوطنية عدة مقالات تندد بالزيارة وعقدت اللجنة التنفيذية اجتماعات عديدة لبحث ما ينبغي عمله أثناء زيارة بلفور. وعلى الأثر أعلنت اللجنة يوم وصول بلفور يوم حداد ودعت إلى إضراب شامل في البلاد كلها لهذه المناسبة، وبالإضافة إلى ذلك دعت إلى مقاطعة رجال الإدارة البريطانيين الذين يمثلون التحالف ألا نجلو صهيوني طيلة المدة التي سيقضيها بلفور في البلاد (فالعرب يرون في اللورد بلفور تجسيدا للمصلحة البريطانية في الصهيونية ويعتبرونه لا مبتدع هذه السياسة فحسب بل مؤازرها المخلص أيضا) (5م).

وفي اليوم الذي وطئت فيه قدما اللورد بلفور أرض فلسطين أعلن في البلاد إضراب عام شمل المتاجر والمدارس والسيارات وتقيد به المسلمون والمسيحيون في مختلف أنحاء البلاد. ورفعت الرايات السوداء وأصدرت صحيفة فلسطين عددا خاصا باللغة الإنجليزية. أتلقى خليل سكاكيني خطابا وطنيا من فوق منصة الحرم الشريف وعلى الفور اتخذ قرار يدعو

اللورد بلفور إلى مغادرة البلاد التي دخلها خلافا لرغبات سكانها أهلها. وبلغ القرار إلى المندوب السامي بواسطة حاكم اللواء[6]، وقد وصفت صحيفة البلاغ اليومية مظاهر الاحتجاج والرفض لدى الشعب الفلسطيني والتي قوبل بها بلفور أثناء الزيارة فقالت: (لقد شاهد المارون في شوارع القدس في أول يوم من شهر رمضان مناظر خطيرة مدهشة حيث أتوصد العرب في فلسطين جميع منازلهم وحوانيتهم ونوافذ منازلهم ورفعوا الأعلام منكسة ووضعوا إشارات الحداد في كثير من الأماكن احتجاجا على زيارة اللورد بلفور. ولئن خشي العرب شيئا فهم لا يخشون ذلك البناء المقام على جبل الزيتون ولا يفزعون من الجامعة نفسها بل هم يخشون كثرة النازحين إلى فلسطين من اليهود بعد أن ساعدهم تصريح بلفور على ذلك[7]).

وتهتم البلاغ بتحليل أسباب الموقف الذي اتخذه الفلسطينيون إزاء بلفور وانه لا يمكن أن يزول بأنه عداء ضد شخص اللورد بلفور (إذ لا مجال للريب انه لولا التصريح المذكور لقوبل اللورد بمثل ما قوبل به غيره من الزعماء الإنجليز من الحفاوة والإجلال مثل المستر سكويت ولورد نورتكليف والسير الفرد موند والآخر من أنصار الجامعة الصهيونية فالمقاطعة هي ضد التصريح الذي يمثله لورد بلفور وهو يشبه مقاطعة المصريين 1920 للجنة لورد ملنر التي جاءت للمفاوضة على أساس الحماية)[8]، وهناك ظاهرة انتبهت لها الصحف المصرية وتناولتها بالتعليق وهي روح التضامن التي شملت جميع فئات الشعب الفلسطيني ووحدتهم صفا واحدا كالبنيان المرصوص أمام زائرهم واجتمعت كلمتهم فلم يؤثر فيهم الأغراء ولا التهديد. وقد رأت بعض الصحف المصرية مثل المقطم والوطن أن هذه الظاهرة الإيجابية يرجع الفضل في ظهورها إلى زيارة اللورد بلفور لفلسطين. تقول المقطم: (في ذكرنا أن الفلسطينيين كانوا تائهين في مهامة الانقسام والتفرقة قبل زيارته وإن جميع المساعي التي بذلت للتوفيق بين أحزابهم وهيئاتهم وإعادة الاتحاد إلى صفوفهم ذهبت هباء منثورا حتى جاء اللورد بلفور فاتحدوا دون دعوة وتفاهموا دون وساطة أدركنا مقدار ما لحق بسياسة التفريق من هبوط وأن البناء الذي أقامته الصهيونية لم يقو على الثبات أمام الصدمة الأولى)[9]. وتبدي الوطن تعاطفا قويا مع موقف الفلسطينيين وتعبر عن ذلك في مقال افتتاحي خصصته لهذا الحدث تقول: (أننا في

الوقت الذي نأسف فيه أشد الآسف على ما يراق في تلك البلاد المقدسة من الدماء في سبيل الجشع الاستعماري لا يسعنا آلا أن نعلن إعجابنا الشديد بهذه الروح المباركة التي سرت في الشرق كله وتجلت في فلسطين بحالة تبشير بأطيب الآمال.. ولئن استطاع الغرب اليوم آن يتجاهل تلك القوة المعنوية فسيرغمه ثبات الشرق وتضامنه على احترام حقوقه وتقدير نهضته)[10].

وتنتهز الأهرام فرصة زيارة بلفور لفلسطين فيما توجه نقدها للعرب وتستخرج من هذه الزيارة عبرة جديرة بكل شعب مطالب بحق أن يحتذيها[11]. تقول الأهرام (ليس من الصواب أن يقال أن تصريح بلفور كان القوة العظمى التي استمدها الصهيونيون لتحقيق أمانيهم فالتصاريح الرسمية ليست هي العامل الجوهري في تحقيق أطماع الأمم بل القوى الكامنة في نفسها والوسائل التي تستخدمها لتحقيق هذه المصالح. وليس تصريح بلفور سوى إحدى هده الوسائل فلو عدم الصهيونيون وسائلهم الأخرى لانطفأت جذرة الصهيونية منذ ظهرت الشرارة الأولى فيها. ثم أن تصريح بلفور جاء بعد رسائل مكماهون. ومهما قيل فيه فهو تصريح مطاط قابل للتفسير والتأويل، أما رسائل مكماهون فأنها صريحة جلية لا تقبل تنشرا ولا جدلا في شان فلسطين. ومع ذلك فقد استخرج الصهيونيون من تصريح بلفور اكثر مما فيه كثيرا، ولم يستطع العرب أن يستفيدوا من رسائل مكماهون غير ما يشبه تمثيل الروايات لتسلية المتفرجين.. نعم أن للإنجليز سياستهم وان لهم الفضل كله في حماية جنود الصهاينة الدائبين على بناء الوطن القومي. ولكن الإنجليز قوم لا يخلقون الفرص بل ينتهزونها، ولو كان للعرب كفاية الصهيونية لرأينا منذ مدة بعيدة تفسيرا لتصريح بلفور يلقيه في سلة المهملات ولتحولت رسائل مكماهون إلى معاهدة دولية جليلة تفرر نظاما راسخا يشمل جزيرة العرب كلها. وها الذنب في ذلك ذنب الإنجليز الذين تهمهم مصلحتهم وحدهم أولا ذنب الصهيونيين الذين يطلبون وطنا لمن لا وطن له، بل ذنب الذين ناموا عن تصاريف الزمن وأضاعوا كل فرصة سانحة مع انهم عرفوا أحلام الصهيونيين منذ رسمها لهم زعمائهم)[12].

وهناك بعض الصحف المصرية مثل صحيفة الاتحاد لم يثر اهتمامها

ردود الفعل القوية التي أحدثتها زيارة بلفور لدى الفلسطينيين وسائر العرب بل تناولتها من الزاوية المضادة وأشارت، إلى أهميتها كدعامة معنوية لمؤسسي الوطن القومي اليهودي في فلسطين. بل عزت أليها الأهمية الدولية التي اكتسبتها المسالة الفلسطينية (إذ أصبحت ضمن المسائل الدولية التي تهم العالم بآسره)[13]، واتخذت منها منطلقا للإشادة بالتقدم والعمران الذي بلغته فلسطين حتى أصبحت (كعبة القصاد من المهاجرين ذوي المطامع الواسعة). وأبرزت الاتحاد في مقالها الذي نشرته نقلا عن صحيفة الطان الفرنسية الفوائد الجمة التي تعود على فلسطين من وراء الهجرة اليهودية خاصة (وانه قد اختير المهاجرون من خلاصة اليهود وأشدهم ذكاء وأقدرهم على العمل فإذا ما وطئت أقدام هؤلاء المهاجرين أرض فلسطين وزعوا على المدائن والقرى وروعي في توزيعهم كفاءتهم واستعدادهم لمختلف الأعمال. ولقد زار اللورد بلفور كثيرا من هذه الأراضي آلتي يستعمرها شبان اليهود فلم يسعه حين رآها آلا أن يجهر بهذه الحقيقة وهى أن اليهودي قد تحلى من الصفات بما يمكنه من تحويل الأرض المجدبة إلى أرض خصبة تدر الخير على زارعيها)[14].

والوا قع أن ردود الفعل التي أحدثتها زيارة بلفور لفلسطين لم تقتصر على آهل فلسطين فحسب بل قامت جميع بلاد الشام تقاسمها أحزانها وتشاطرها شعورها، وبزت دمشق الجميع فلم تحجم منذ اعلق زيارة بلفور عن إرسال الاحتجاج تلو الاحتجاج والنداء تلو النداء مطالبة بحق مهضوم وبرفع غبن الحق بشعب شقيق[15]، أن موقف دمشق الأخير يعيد إلى الذاكرة موقف فلسطين سنة 1919، يوم قدمت لجنة المستر كرين الأمريكية لاستفتاء السوريين والفلسطينيين في نوع الحكم الذي يختارونه، فقد طافت فلسطين من أقصاها إلى أقصاها واجتمعت بشيوخها وشبابها فسمعت فنهم جواب واحدا (اذهبوا إلى دمشق) أسالوا قادتهم الرأي فنحن لهم تابعون وبكل ما يقرونه راضون. هذا هو الموقف الذي وقفته فلسطين يوم نزلت بلادها لجنة كرين وضربت للبلاد العربية مثلا عاليا في الاتحاد والتضامن. وقد حلت زيارة بلفور لفلسطين على أن الروح التي سرت في بلاد العرب سنة 1919 لا تزال صحيحة سالمة سنة1925 ووقفت دمشق نفس الموقف الذي وقفته يومئذ تنادي أن بلاد الشام وحدة لا تتجزأ وان فلسطين تلك

للفلسطينيين دون سواهم[16].

وقد علقت صحيفة الحساب لسان حال الحزب الشيوعي المصري على زيارة بلفور لسوريا كتبت تقول: (كان لم يكفه ما فعلته زيارته لأهالي فلسطين وآي تذكار مؤلم تركه في أنفسهم أتراد أن يتسلى بنفسه بين أهل سوريا ويتلهى بان يتفرج على عذابهم والمهم عندما يزورهم بائع شقيقة بلادهم للمستعمرين من اليهود[17]، وقد استعرضت الصحيفة وقائع المطاردة العنيفة التي قامت بها الجماهير السورية واللبنانية في كل من دمشق وبيروت ضد اللورد بلفور مما اضطره إلى الفرار من المدينتين المذكورتين طلبا للنجاة).

أما الحدث الثاني الذي ارتبط بافتتاح الجامعة العبرية فهو اشتراك مصر في الاحتفال بافتتاح الجامعة بإيفاد الأستاذ لطفي السيد مدير الجامعة المصرية مندوبا رسميا عنها. و قد آثار اشتراك مصر في افتتاح الجامعة الصهيونية عاصفة من الاحتجاج من جانب الفلسطينيين عبرت عنها الصحف الوطنية في فلسطين وكثير من القيادات الوطنية[18]. و قد حاول الأستاذ لطفي السيد استدراك الآمر فقام بزيارة للمعاهد الإسلامية كما أصدر بيانا رسميا أتعلن فيه الظروف والملابسات الدقيقة التي أحاطت بمهمته في القدس خصوصا وأن الدعوة صادرة من معهد علمي من المفروض انعدام صلته بالسياسة كما هو شأن الجامعات العلمية. ولكنه أبدى ارتيابه من المبالغة التي أحيط بها الاحتفال بافتتاح الجامعة العبرية مما ينطوي على الترويج للدعوة الصهيونية. ومما أكد له ذلك ما نمى إلى علمه من أن لغة الجامعة هي اللغة العبرية.. ولذلك امتنع من إلقاء كلمته في الاحتفال حتى لا يفهم من ذلك تأييد مصر للعنصر الصهيوني وتفضيله على العنصر العربي في فلسطين[19].

والواقع أن الدعوة لحضور احتفالات الجامعة العبرية لم، تقتصر على الحكومة المصرية فحسب بل وجهت دعوة مماثلة إلى الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية سابقا وكذلك الدكتور احمد زكي باشا أهملاها ولم يردا عليها وقد ذهب فريق من يهود مصر إلى الشيخ بخيت ورجوه باسم العلم إن يحضر تلك الحفلة فاعتذر بكبر السن ومشقة السفر ألحوا عليه وعرضوا عليه تسهيلات كبيرة في السفر فلما ضاق بهم ذرعا أوضح لهم أبانه لا يستطيع أن يحضر احتفالا يسيء إلى أهل فلسطين الذين هم في

حالة حداد بسبب هذه الجامعة[20].

وقد استغلت الدوائر الصهيونية حضور لطفي السيد لحفل افتتاح الجامعة العبرية من الناحية الدعائية إلى مدى بعيد وشاركتها في ذلك وكالات الأنباء الأوروبية والصحف والإذاعات حتى أن رويتر لم تذكر من أسماء من حضروا تلك الحفل آلا اسم لطفي السيد، كذلك علقت صحيفة (باليستين ويكلي) الصهيونية على ذلك بقولها (أن حضور مندوب مصر هذه الحفلة كان دليلا على أن مصر العاقلة لا ترى في الصهيونية رأي أهل فلسطين)[21]. كما أشاد اليهود المصريون باشتراك مصر في افتتاح جامعتهم بالقدس وقد نوه يوسف بوتشو عضو مجلس الشيوخ المصري واحد اليهود المشتركين في احتفالات الجامعة العبرية بعطف الحكومة المصرية على القضية الصهيونية واستشهد على ذلك بإرسالها صاحب العزة احمد لطفي السيد مندوبا من الجامعة المصرية[22].

هوامش

(1) السياسة 4/4/1925.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) كوكب الشرق 4/4/1925 افتتاح الجامعة العبرية بالقدس.

(5) كوكب الشرق 4/4/1935.

(6) المصدر السابق ص 224.

(7) البلاغ 12/4/1925.

(8) البلاغ 25/3/1925 اللورد بلفور وفلسطين.

(9) المقطم 11/4/1925 بلفور في القدس ودمشق 1, 6 م كامل خله مصدر سابق.

(10) الوطن 29/5/1925 الحركة الفلطسنية مقال افتتاحي.

(11) الأهرام 30/3/1925 تعليق على زيارة بلفور لفلسطين.

(12) المصدر السابق.

(13) الاتحاد 17/5/1925 الحركة الصهيونية في فلسطين.

(14) الاتحاد المصدر السابق .

(15) المقطم 11/4/1925.

(16) المصدر السابق بلفور في القدس ودمشق.

(17) الحساب 17/4/1925.

(18) المقطم 31/3/1925 برقيات احتجاج (انظر الملحق) رقم 11.

(19) كوكب الشرق 5/5/1925 لطفي السيد يدافع ويعتذر (انظر الملحق).

(20) الشورى 1/5/1925.

(21) كوكب الشرق 5/5/1925 مصدر سابق.

(22) المقطم 15 أبريل 1925.

قضية الأراضي

قضية الأراضي:

كان أحد الأهداف الأساسية للبعثة الصهيونية التي قدمت إلى فلسطين في أبريل 1918 «أن تسهل عملية شراء اليهود للأراضي في فلسطين. ولم تعترض الإدارة العسكرية البريطانية في ذلك الوقت على عمل البعثة وتمت بالفعل عمليات بيع لكنها لم تسجل آلا في عام 1920. وفي أكتوبر من نفس العام اصدر هربرت صموئيل قانون انتقال الأراضي لسنة 1920 الذي قضى بضرورة أخذ موافقة الحكومة على كل انتقال يجري في الأموال غير المنقولة ومنع انتقال الأراضي لغير سكان فلسطين وكان هدف هربرت صموئيل من ذلك أن يسهل عملية شراء اليهود للأراضي وان يمنع فئة الملاك الغائبين الذين كانت لهم أراض واسعة في فلسطين من شراء مساحات أخرى من الأرض[1]. وفي أول فبراير 1921 صدر قانون انتقال الأراضي لسنة 1921 وقد نص أيضا على ضرورة ما فق الحكومة على كل انتقال يجري في الأموال غير المنقولة واشترط عدم منح تلك الموافقة آلا إذا كان مدير الأراضي مقتنعا بان المستأجر الذي يشغل الأرض قد احتفظ لنفسه في تلك المنطقة آو غيرها بمساحة من الأرض تكفي

لمعيشته ومعيشة عائلته. وقد اعتبر العرب هذا القانون محاولة لخفض أسعار الأرض ولتسهيل انتقال الأراضي المعروضة للبيع إلى أيدي اليهود»[2].

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى استخدم المندوبون الساميون مطلق صلاحياتهم في إصدار التشريعات الخاصة بإجراءات نزع ملكيه الأرض العربية بالذات دون اليهودية. واستنادا إلى قانون تمليك الأراضي للجيش سنة 1920 قامت حكومة الانتداب بنزع ملكية الكثير من الأراضي العربية بحجة المشاريع العمومية[3]. كما أنها لم تصدر أي قانون لحماية المزارعين الذين تعرضوا للطرد من الأراضي التي باعها الملاك الغائبون من الآسر الإقطاعية في سوريا ولبنان، وذلك رغم أن حكومة الانتداب أصدرت في مارس 1929 قانون حماية المزارعين الذي نص على وجوب دفع تعويض للمزارعين الذين سيتعرضون لإخلاء أراضيهم مقابل الإزعاج الذي يلحق بهم والتحسينات التي أجروها في تلك الأراضي، ولكن هذا القانون اغفل كل الاعتبارات الأخرى الهامة مثل تقدير التعويض واشتراط احتفاظ المزارع بقطعة أرض يعيش منها. فهو لم يزد عن كونه قانونا لمنع الإزعاج وليس التعويض عن الإزعاج على حد قول السير جون هوب سمبسمون في تقريره المعروف[4] 1930. ومهما يكن فان لجنة التحقيق الملكية قد اعترفت في تقريرها بان جميع القوانين التي صدرت بخصوص حماية المزارعين العرب قد عجزت عن تحقيق الأغراض التي سنت من اجلها، وهى حماية المزارعين العرب وصغار الملاك، وظهر أنها غير قابلة للتطبيق بالفعل.

وفي الوقت الذي لم تطبق الحكومة البريطانية فيه أي قانون لصالح المزارعين العرب ألم وحمايتهم فأنها لم تتوان عن فرض ضرائب أثقلت كاهل الفلاحين إلى حد كبير. وقد استبدلت بضريبة الويركو على الأراضي والبيوت وضريبة الأعشار على الأملاك الواقعة في المدن ضريبة واحدة أسمتها ضريبة الأملاك في المدن لعام 1928، وكانت في البداية تبلغ 12 ٪ من قيمة الإيجار ثم خفضت إلى 9٪ نتيجة لاحتجاجات الأهالي واعتراضاتهم، ثم رفعت الى15 ٪ في أبريل 1932[6]. وقد زاد الآمر سوءا بالنسبة للقاحين العرب إقبال الملاك الغائبين على بيع أراضيهم في فلسطين لليهود منذ بداية العشرينات. وقد أوضح تقرير سمبسون أن المستعمرات الصهيونية الجديدة كانت تخلق في إصرار طبقة عربية لا أرض لها.-

وقد شغلت الصحافة العربية في فلسطين والمحافل السياسية الوطنية بهذه المسالة آلتي كانت بدايتها بيع خمس قرى تابعة لقضاء صفد يملكها أل سرسق وتبلغ مساحتها 230 آلف دونم إلى اليهود. وقد تابعت المقطم هذا الموضوع ونقلت إلى القراء مدى الجزع الذي أصاب أهل القرى الخمس عندما بلغهم خبر البيع والاحتجاجات التي قدموها إلى المندوب السامي والى الصحف علاوة على الاحتجاج الذي رفعته اللجنة التنفيذية العربية إلى الحكومة. وقد انفردت المقطم بسرد الحجج التي يستند أتليها أهالي القرى العربية في ملكيتهم لهذه الأراضي: فهم يقولون: (أن أراضي قراهم تحت تصرفهم منذ الفتح الإسلامي. ولم تزل كذلك إلى يومنا هذا أما تسجيلها لبيت سرسق فالسبب يرجع إلى أن أصحاب الأرض كانوا يتعرضون للظلم من جانب الحكام وضامني الأعشار. فكان بعضهم يقصد إلى ذي جاه وحرمه ويتفق معه على أن يسجلها باسمه وله من غلتها جزء معين على أن يدفع ظلم العشارين[7] كذلك يحتج هؤلاء الأهالي بان مساحة الأراضي المسجلة لبيت سرسق هي دون ما بأيديهم من الأرض فكيف يسمح لرسف أن يبيع الأرض كلها ؟[8]. ورغم احتجاجات الأهالي وجهود اللجنة التنفيذية المصرية فان التسجيل قد تم في نوفمبر 1924.

ولقد شغلت مأساة عرب الحارث والوسائل اللاإنسانية التي استخدمت في إجلائهم عن أراضيهم اهتمام الصحف المصرية على اختلاف اتجاهاتها. فقد أشارت المقطم إلى أن الحكومة البريطانية قدرت مساحة تلك الأراضي بـ 826 و 30 دونما[9]. بينما هناك مصادر أخرى قدرتها بأربعين ألف دونما[10]. وكانت تلك الأراضي مسجلة باسم أسرة الشبان البيروتية وطرحت للمزاد العلني في أبريل 1929 بآمر من محكمة مركزية نابلس وفاء لبعض الديون على أسرة الشبان اشتراها الكبرن الكايمست وسجلت باسمه قي 27 مايو 1929[11]، وقد طلبت السلطة الانتدابية من عرب وادي الحوارث أن ينتقلوا من أراضيهم إلى ما بين المستعمرات اليهودية لتشغيلهم في تعبيد الطرق. واشترطوا لذلك عدم تقويض خيامهم وان تبقى عائلاتهم في تلك الخيام في أراضى الوادي. ولكن السلطة أبت آلا أن ينقلوا خيامهم وعائلاتهم إلى حيث يشتغلون. ورأى العرب في ذلك حيلة لإجلائهم عن الأرض فرفضوا، ولذلك أعلمتهم السلطة بأنها قطعت عنهم إعانة الحبوب التي كانت تقدمها

إليهم فلم يكترثوا وفضلوا الجوع على مغادرة أراضيهم[12]. وقد هب آهل البلاد لإغاثة هؤلاء البائسين وقدموا لهم التبرعات أحاطوهم بعطف صادق، ولكن لم يكن هذا كافيا لحل مشكلتهم. وهنا طرحت عدة حلول لمشكلة عرب الحوارث، أولها يقترح رجوعهم إلى أراضيهم السابقة وعدم الاعتراف بالآمر الواقع، وثانيها خاص بقبولهم الأراضي التي أعطتهم إياها الحكومة في تل الشوك، وثالثها يقترح شراء أراض كافية في قضاء بنى صعب لإسكانهم فيها حتى يظل العرب على مقربة من الساحل الذي اكتسحه اليهود[13]، وتقترح صحيفة البلاغ اختيار أحد الحلين الآخرين لاستحالة الحل الأول. وقد أصدرت اللجنة التنفيذية العربية بيانا جاء فيه: (أن كارثة وادي الحوارث إنما هي كارثة فلسطين في أتولى حلقاتها فان لم تقف البلاد أمام هذه الخطوة الأولى من سياسة الإجلاء والإبادة فستكون الخطوات آلاتية اشد أثرا وابعد مفعولا)[14].

وقد أصدرت حكومة الانتداب بيانا تبرر فيه موقفها تجاه عرب الحوارث.

وتستند تشردهم إلى القانون على أساس أن رئيس محكمة مركزية نابلس قد أصدر في نوفمبر 1929 أمرا بإخراج العرب الذين حصلوا على تعويضات نقدية من صندوق راس المال القومي اليهودي. آما سكان الجزء الجنوبي فقد خولتهم الحكومة الرجوع إلى مساحة قدرها 6000 دونما لم يبت في ملكيتها بعد. ويشير بيان الحكومة إلى أنها وفقت في الحصول على مزارع لائقة لإسكان القسم الشمالي من قبيلة الحوارث في قضاء بسان وهؤلاء تنتهي مدة تواجدهم في وادي الحوارث في 31 أغسطس 1933. وأيضا لسكان القسم الجنوبي الذين رفضت المحكمة العليا دعوى ملكيتهم لل 6000 دونما. وقد منحت القبيلة مدة أسبوعين للإجابة على هذا العرض الذي تقدمت به الحكومة. وقد أوضحت عدم رغبتها في قبوله[15].

وتعلق البلاغ على بيان الحكومة قائلة: (أننا نرى من هذا البيان أن الحكومة أغفلت وصف إخراج هؤلاء العرب بالقوة المسلحة الإنجليزية تعاونها القوة اليهودية. الآمر الذي لم يغفل عنه عرب الحوارث فأعدوا ردا وطويلا على بيان الحكومة سينشرونه في مشارق الأرض ومغاربها لكي يطلعوا العالم على حقيقة المأساة التي تمت وعلى حقيقة المناورة التي تقوم بها الحكومة مع اليهود)[16].

وقد جعلت الحركة الوطنية الفلسطينية في رأس مطالبها وقف بيع الأراضي وانتقالها إلى الصهيونيين[17]، كما جعلت الحركة الصهيونية في مطا لبها السماح بانتقال الأراضي وتسهيل عملية انتقالها[18]».

ورغم أن مشكلة الأراضي كانت من الأسباب الأساسية لانتفاضات 1933، 1935 وثورة 1936 إذ أن العرب كانوا ينظرون بعين القلق والارتياب إلى الأراضي الواسعة التي انتقلت إلى أيدي اليهود كما كانوا يخشون أن تتسرب أتراض أخرى إلى أيدي هؤلاء بسبب ارتفاع الأسعار وضعف بعض مواطنيهم[19]، رغم كل ذلك فان أساليب الحركة الوطنية الفلسطينية لمقاومة بيع الأراضي لم تخرج عن الاحتجاجات والنداءات والعرائض ذلك في غير فترات الانتفاضات. لذلك تزخر الصحف المصرة بكثير من النداءات التي كانت توجهها الهيئات والأفراد لحث الشعوب العربية على درء الخطر الذي تتعرض له أتراضي فلسطين وشعبها العربي[20].

وقد كانت الفتاوى إحدى الأساليب التي لجأت إليها الحركة الوطنية الفلسطينية لمحاربة بيع الأراضي فضلا عن الوعاظ والمرشدين الذين كان مفتي فلسطين يقوم بإيفادهم إلى القدس كي يعظوا الفلاحين للاحتفاظ بأراضيهم وعدم الاستجابة لاغراءات السماسرة [21]. وكثيرا ما كان يعمد مفتي فلسطين إلى عقد اجتماعات تضم علماء ووجهاء ومخاتير القرى، حيث يلقي بعض الخطب التي ينوه فيها بالأخطار التي تتهدد البلاد من جراء بيوع الأراضي، وكان في معظم خطبه يستشهد بأحاديث دينية كانت تسفر في بعض أتلاحيان عن أبطال بعض الاتفاقات لبيع الأراضي وتحد من الدور الذي كان يلعبه المخاتير كسماسرة ووسطاء[22]، ولكن مما يؤسف له أن هذا الأثر كان محدودا بسبب كونه نتج عن مجهودات فردية جاءت متأخرة بعد أن كان اليهود قد اشتروا واستولوا على اخصب المناطق في فلسطين.

هوامش

(1) كامل خله مصدر سابق ص487.

(2) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين-مصدر سابق ص 290.

(3) السياسة الأسبوعية 25/2/1928 .

(4) اللجنة الملكية ص 296.

(5) المصدر السابق ص 259.

(6) عبد الوهاب الكيالي: وآني المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال لبريطاني-والصهيونية 1918-1939 مؤسسة الدراسات الفلسطينية-بيروت 1968 مي 457.

(7) المقطم 16/9/1924.

(8) المصدر السابق

(9) المقطم 8/9/1933.

(10) أميل لالغوري: 15 أيار 1948- دار النشر العربية-بيروت 1959 . 58- 66.

(11) الأهـرام 12/1/1930.

(12) الأهـرام 10/6/1932.

(13) البـلاغ 4/7/1933.

(14) البـلاغ 9/9/1933.

(15) المصدر السابق.

(16) البـلاغ 9/9/1933.

(17) البـلاغ 26/7/1933.

(18) الأهـرام 1/5/1933 20 مليون جنيه لشراء فلسطين.

(19) الأهـرام 1/5/1933.

(20) المصدر السابق.

(21) عبد الوهاب الكيالي: وثائق-مصدر سابق (يندر أن تخلو من هذا المطلب مذكرة أو احتجاج).

(22) اللجنة الملكية لفلسطين: مصدر سابق، مطالب العرب واليهود وظلاماتهم ، 476S.

5 الحركة الوطنية الفلسطينية

الصحافة المصرية والحركة الوطنية الفلسطينية:

بدأت الصحف المصرية تتابع صدى الانتداب البريطاني ووعد بلفور لدى الشعب الفلسطيني منذ مظاهرة القدس 1920. وقد تباينت مواقف الصحف وحجم اهتمامها ومتابعتها لنشاط الحركة الوطنية الفلسطينية. فالأهرام بدأت تتابع ملحمة الثورة الفلسطينية من إضرابات ومظاهرات ومحاكمات أشارت إليها الأهرام بالتفصيل وفي حينها. ومنذ اضطرابات يافا سنة 1921 اهتمت البلاغ بالتعليق على أحداث الثورات والانتفاضات الوطنية في فلسطين. وقد تصاعد هذا الاهتمام منذ أحداث البراق سنة 1929. وكانت البلاغ تهتم بإبراز النشاط الوطني في الريف الفلسطيني بقدر اهتمامها بمتابعة نشاط اللجنة التنفيذية العربية واجتماعاتها ونشاط الوفود الفلسطينية التي كانت تذهب إلى لندن لتقديم الاحتجاجات والعرائض[1]. وكانت البلاغ تبدي تعاطفا واضحا مع اللجنة التنفيذية العربية وتضع ثقتها في الزعامات التقليدية للحركة الوطنية. كما نقلت ولاءها إلى الحزب العربي الفلسطيني الذي يعد التطور التنظيمي لمجموعة

المجلسين بزعامة جمال الحسيني. وكانت كوكب الشرق تركز على الانتفاضات والهبات الوطنية اكثر من المتابعة اليومية لنشاط الحركة الوطنية الفلسطينية، وقد كان اهتمامها باضطرابات سنة 1933 وانتفاضة الأقسام سنة1935 يفوق الصحف المصرية الأخرى. وكانت كوكب الشرق تحرص س إبراز مساءي السياسة البريطانية في فلسطين والجانب العدواني الاستفزازي للحركة الصهيونية وتأثير ذلك على الحركة الوطنية الفلسطينية[2].

أما «السياسة»، فقد اتخذ اهتمامها طابع المقالات التحليلية، وقد اتخذت موقفا معاديا للجنة التنفيذية العربية وخاصة بمجموعة المجلستين وكانت تبدي تأييدا واضحا لجماعة المعارضة والنشاشيبية. وكانت مقالاتها تحمل هجوما ونقدا لسياسة اللجنة التنفيذية العربية وتبدي تعاطفا مقنعا وغير مباشر لسياسة التعاون مع الانتداب البريطاني، وقد كان هذا خط المعارضة الذي كان يتزعمه آل الشاشيبي[3]. وصحيفة الاتحاد كانت تتبنى موقفا معاديا للحركة الوطنية وتشن هجوما متواصيا عليها بسبب تشددها إزاء حكومة الانتداب وكانت تروج لسياسة التفاهم بين العرب واليهود، وبناء على ذلك لم تؤيد الانتفاضات الوطنية في فلسطين[4]..

أما صحيفة «الشورى» فقد حطت لواء الدفاع عن مبادرات الحركة الوطنية الفلسطينية وتصدت للهجوم الذي كانت تشنه الصحف الصهيونية والصحف المعادية للحركة الوطنية الفلسطينية في مصر، وكان الأمير شكيب ارسلان ونسيم صبيعة ومحمد علي الطاهر من ابرز كتاب الشورى في هذا الصدد[5].

تناولت صحيفة السياسة بالنقد العهد القومي الفلسطيني الذي أرساه المؤتمر الفلسطيني الخامس الذي عقد سنة 1922 ويتكون هذا العهد من ثلاثة أهداف أساسية هي نيل الاستقلال التام ومقاومة مشروع الوطن القومي اليهودي والسعي إلى تحقيق فكرة الجامعة العربية، فاضت «السياسة» عن الهدفين الأولين باعتبارهما موجهين لمقاومة بريطانيا والصهيونية في فلسطين، أما الهدف الثالث فقد علقت عليه بإفاضة وتفنيد يفصح عن اتجاهها الفكري المعروف من فكرة العروبة أتوحده العربية. فهي انطلاقا من مدرسة القومية المصرية تؤيد أو تتعاطف مع الحركة الوطنية

الفلسطينية في إطارها القومي الإقليمي وليس ضمن الإطار العربي، ولذلك نراها تكتب: (نحن وان كنا نقدر الفكرة قدرها من الوجهة المعنوية آلا أنه يلوح لنا مع ذلك أن الجامعة العربية فكرة أكثر ما تستند اليوم إلى الخيال وان فلسطين تآخ بالتفكر فيها على نفسها عبئا ليس عليها أن تأخذه وأنها قد تصدع من متانة الحركة الوطنية الفلسطينية. وان لفلسطين من الإنجليز واليهود في فلسطين ذاتها خصوما قادرين)[6].

فالسياسة ترى أن حلم الجامعة العربية الذي لوح به الإنجليز والفرنسيون للعرب أثناء الحرب العالمية الأولى يعني ألا تتفرغ فلسطين إلى شئونها الخاصة، بل سوف يدفعها ذلك إلى التحالف مع سوريا ضد فرنسا ومع العراق ضد بريطانيا بريطاني وقد تتحالف مع سواها أيضا. وتتحد السياسة من هجومها على فكرة الجامعة العربية منفذا للهجوم على الحركة الوطنية الفلسطينية موجهة اللوم إلى اللجنة التنفيذية العربية وأسلوب عملها وأنها لا زالت تتمسك بالأسلوب التقليدي في مقاومة الإنجليز والصهيونية، في حين أن (عقلية الآمة قد صقلتها الأحداث واستقر مركز بريطانيا في فلسطين خلال الخمسة أعوام آلتي مضت على العهد القومي السالف الذكر، وان فكرة التعاون مع الإنجليز واليهود أصبحت ماثلة في كل الدوائر العربية ما عدا اللجنة التنفيذية التي لا زالت متمسكة بفكرة الاستقلال التام)[7]. وتتحدث السياسة عن الأزمة التي تجتازها اللجنة التنفيذية العربية في نهاية العشرينات. وتبدي عدم اقتناعها بان يكون سبب هذه الأزمة هو قلة الموارد المالية مما يعوق اللجنة عن القيام بمسئولياتها إزاء القضية الوطنية، ولكن ترى أن هذا الضعف الذي تعاني منه اللجنة التنفيذية إنما يرجع إلى (أن مبادئ اللجنة لم تكن عملية من بادئ الآمر وان تقهقر اللجنة عن مبادئها الأولى أشيع على رأي خصومها في رجاحة قوية)[8].

ونقصد بالخصوم آي فريق المعارضة الذي يحبذ التعاون مع الإنجليز واليهود على أتساس الحقائق السياسية الراهنة وانتهاج سياسة (خذ وطالب). والسياسة بموقفها هذا من الحركة الفلسطينية إنما تعبر بأمانة عن مبادئ الأحرار الدستوريين وموقفهم في الحركة الوطنية المصرية. وفي ضوء ذلك يتضح لنا الأساس الأيديولوجي لموقف صحيفة السياسة لسان حال الأحرار الدستوريين من الحركة الوطنية الفلسطينية ممثلة في اللجنة

التنفيذية العربية. ويمكننا تجاوزا أن نعتبر أن اللجنة التنفيذية العربية آو جماعة المجلسين على وجه التحديد الوجه الآخر للوفد في فلسطين وجماعة المعارضة (النشاشيبية) هي الوجه الآخر للأحرار الدستوريين هناك، وذلك مع مراعاة تماثل الأطراف الفكرية والمواقف السياسية التي تحكم كل فريق من هؤلاء والفريق المماثل له رغم اختلاف الانتماءات الطبقية. وعلى هذا الأساس يتحدد موقف صحيفة السياسة. فهي تعترض بشدة على مقاطعة اللجنة التنفيذية لانتخابات المجلس التشريعي 1923 متبنية وجهة نظر المعارضة التي ترى أن التنفيذي قد ضيعوا فرصة نادرة لاطلاع الحكومة المنتدبة على مطالب الآمة وميولها من خلال هذا المجلس[9].

وتواصل السياسة هجومها على اللجنة التنفيذية العربية في فلسطين استمرارا لموقفها من الوفد والصحف الوفدية في مصر. فهي توجه نقدا لاذعا لشعار الاتحاد الوطني الذي رفعته اللجنة سنة 1931 قائلة: (أن في ظل هذا الاتحاد تحاك الدسائس الحزبية وفي ظله يعمل مشرط الفناء في جسم الآمة وفي ظله تنهار صرح المسئوليات ويتداعى من ذلك أن الزعماء الذين يتولون قيادة الحركة الوطنية مثقلون بقيود لا تتوافر معها شروط الزعامة وان اللجنة التنفيذية يقعدها عن العمل الجدي ما هنالك من تأليف مفكك غير طبيعي ويقعدها أكثر ما يطمع إليه المتنافسون في إظهارها بمظهر المتأثر بنزعة حزبية خاصة دون نزعة حزبية أخرى)[10].

وتحرص «البلاغ» من موقف التعاطف والتأييد الكامل للحركة الوطنية الفلسطينية على إبراز نشاطاتها في مختلف الميادين وخصوصا في الريف وتركز على القرارات التي اتخذها المؤتمر القروي الذي عقد في يافا، وأنها لم تقف عند (حد مضادة وعد بلفور بل تعدته بمراحل)[11]. وحرصا على تأكيد أهمية هذا المؤتمر أشارت البلاغ إلى أن الريف الفلسطيني يشكل 60٪ من سكان فلسطين وان المستعمرات اليهودية الزراعية خارج المدن لا يزيد عدد من. بها من اليهود عن 25 ألفا وان أقل هذه المستعمرات توجد حول القدس أوسطها شمالي يافا. وتهدف البلاغ من ذكر هذه المقارنة العددية إلى توضيح أن مصالح المستعمرات وعددها ليست بالشيء الذي يخشى منه إزاء ما يمثله أهل البلاد الأصوليون وخصوصا سكان الريف. وقد برهن المؤتمرون على أدراك رفيع للمسائل السياسية ومدى ارتباطها

بحياتهم الاقتصادية وشئونهم العامة، ولهذا فقد أيدوا جميع قرارات اللجنة التنفيذية العربية والمجلس الإسلامي الأعلى وسائر الهيئات الوطنية في قراراتها الخاصة بإلغاء وعد بلفور وضرورة إنشاء حكومة نيابية وتحديد الهجرة، وأضافوا إلى ما سبق مطالبة الحكومة بالمصاريف الزراعية واجتناب الربا الفاحش وإعفاء حاصلات الفلاح من الضرائب[12].

وتتعمد كوكب الشرق إبراز استهتار السياسة البريطانية بحقوق العرب واحتقارها لهم بإصرارها على إقامة الوطن القومي اليهودي على أنقاضهم وتبجح اليهود بالأقوال المثيرة والسلوك الاستفزازي ضد العرب في فلسطين ومدى تأثير كل ذلك على الحركة الوطنية الفلسطينية. ويستشهد محمد علي الطاهر في إحدى مقالاته بتصريحات الزعماء اليهود التي يدور معظمها حول ضرورة تحويل فلسطين إلى دولة يهودية كما أن بريطانيا بريطانية وكندا كندية وان وجود اليهود في فلسطين هو حق ليس منحة وان واجب الحكومة البريطانية من اجل الإسراع في إنشاء الدولة اليهودية أن تنزع سلاح الأهالي العرب وتحول دون تأليف البرلمان وإنشاء الحكومة الوطنية إلى أن يصبح اليهود أكثرية.. إلى آخر هذه التصريحات الاستفزازية، ويشير الكاتب إلى تصريح أدلى به جابوتنساكي أمام لجنة التحقيق آلتي شكلتها الحكومة البريطانية برئاسة القاضي البريطاني هيكرالت للتحقيق في اضطرابات يافا سنة 1921 عندما أبدى اندهاشه من مكافحة حكومة فلسطين للملاريا قائلا (هل جئنا فلسطين لنطيل أعمار العرب)[13].

وقد أورد الكاتب هذا المثل كي يدلل على مدى الضغينة والحقد الذي ينضح به سلوك اليهود إزاء العرب. ولا يفوت الكاتب أن يشير إلى أن أهل فلسطين قد أدركوا في النهاية قواعد المأساة، وهي أن القتال بينهم وبين اليهود لا ينتج منه آلا قيام الإنجليز بالتنكيل بالشعب العربي بحجة (حفظ النظام والقيام بالالتزامات الدولية)، ولذلك تأكدوا من أن اصل البلاء هو الاستعمار البريطاني الذي أتى بالصهيونية وضمن لها الرعاية والحماية[14].

وتفسر كوكب الشرق موقف الحركة الوطنية الفلسطينية وسبب اتجاهها في البداية لمقاومة الصهيونية وليس لمقاومة الإنجليز رغم انهم هم الذين اصدروا وعد بلفور فتقول (أن أثارا من حسن الظن بأولئك الأحلاف القدماء كانت لا تزال تتردد في صدور العرب) لذلك اتجهت مقاومتهم إلى الصهيونية

متجاوزة الأعداء الحقيقيين أي الإنجليز[15].

وتتضح الرؤية الدينية لدى صحيفة كوكب الشرق عند معالجتها لهذا الجانب من القضية الفلسطينية عندما تستصرخ العالمين العربي والإسلامي لإنقاذ مقدساتهم في فلسطين.. تكتب تعليقا على مظاهرات 1933 تقول (أن مظاهرة القدس كانت الطلقة الأولى التي دوت في آذان المستعمرين فنبهتهم إلى سوء عاقبة سياستهم وصاحت في الشعب الفلسطيني العربي تنبهه إلى الخطر الداهم الذي هو سائر إليه، ثم تجاوبت أصداؤها في العالمين الإسلامي والعربي تعلن للمسلمين أن مقدساتهم في خطر شديد وان المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين يطمع في هدمه اليهود ليقيموا على أنقاضه هيكل سليمان).

أحداث البراق ١٩٢٩

تتفاوت ردود الفعل لدى الصحف المصرية إزاء أحداث البراق، فنرى الأهرام تتابع التطورات متابعة خبرية منظمة وان كان لا يخلو الآمر من بعض التعليقات والأحاديث والمقالات المنقولة عن الصحف البريطانية مثل أديلي اكسبريس والتايمز والديلي ميل ومورينخ بوست[16]. وتنفرد الأهرام بنشر تحقيقات خبرية شبه يومية لتغطية أحداث البراق وصداها في معظم مدن فلسطين عن طريق مراسلتا الخاص هناك وعن طريق مراسلتا في لندن أيضا[17] وكذلك تنفرد الأهرام بنشر عدة تحقيقات في الصفحة الأولى عن المسجونين الوطنين[18].

آما البلاغ فقدا نصب كل اهتمامها بأحداث البراق على شكل مقالات تحليلية وتعليقات وبيانات اللجنة التنفيذية العربية والمجلس الإسلامي[19]، أما اهتمامها بالجانب الخبري فقد كان محدودا. وكانت البلاغ تهتم بنشر كثير من المقالات نقلا عن الصحف العربية والفلسطينية بوجه خاص مثل صحيفتي الجامعة العربية والكرمل وصوت الشعب[20]. وقد خصصت مراسلا لها في القدس لمتابعة أحداث القضية الفلسطينية. كما أفردت صفحاتها للكتاب الفلسطينيين المقيمين بمصر مثل محمد علي الطاهر صاحب الشورى ونسيم صبيعة[21].

آما الاتحاد فقد اتخذ اهتمامها بحوادث البراق أشكالا متنوعة من الفن الصحفي فهي تستخدم المقالات والتعليقات السياسية والأحاديث والبيانات والتقارير الأخبارية وان كانت تركز على نشر التعليقات المنقولة عن الصحف الموالية للصهيونية والصحف البريطانية[22].

وفيما يتعلق بصحيفة السياسة لسان حال الأحرار الدستوريين فهي تعتمد المقالات السياسية والتحقيقات الصحفية أساسا لمتابعتها لأحداث البراق. وكثيرا ما دخلت في مساجلات سياسية مع الكتاب الفلسطينيين واليهود في مصر، فهي تعد معقل الفكر الليبرالي في مصر فضلا عن أنها حملت لواء الدفاع عن التيار المصري بعد «الجريدة». وقد ترتب على ذلك

دخولها في مناقشات سياسية وفكرية مع أنصار التيار العربي والإسلامي وخصوصا الكتاب الفلسطينيين والسوريين الذين تصدوا للدفاع عن قضايا العروبة والإسلام في مصر[23].

ويكاد المقطم يعتمد اعتمادا مطلقا على المقالات السياسية والأخبار في متابعة أحداث البراق. وينفرد المقطم عن بقية الصحف المصرية بأنه كان يفرد صفحاته لنشر مقالات الكتاب الفلسطيني والسوريين في مصر واليهود المصريين على السواء، وكان للمقطم مراسل خاص في القدس لمتابعة تطورات القضية الفلسطينية[24].

وقد اختلف تفسير الصحف المصرية لأحداث البراق: فالبلاغ ترى أن أحداث البراق هي مجرد سبب مباشر ولكن السبب الأساس هو وعد بلفور وإصرار كل من بريطانيا والصهيونية على بناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين[25]. كتبت تقول (لا نريد في هذه العجالة أن نعرض تفاصيل المعارك الدموية التي حصلت ولا أن نبحث في ضوء أنبائها عن السر في استفحال الحالة وتحرجها الشديد فقد يكون الكلام في هذا بلا طائل، ويكفي القول بأن العرب في فلسطين هم أصحاب البلاد الذين لا تجوز منازعتهم فيها ولا في أي ركن من أركانها حتى ولو كان هذا الركن لا علاقة له بعقيدة دينية آو كان غير محل تقديس واحترام من الوجهة الدينية. وإذا كان العرب كذلك والصهيونيون ينازعونهم في هذه الحقوق ويريدون أن يقيموا قومية صهيونية على أنقاض القومية العربية وحكومة صهيونية بدلا من حكومة عربية وطنية.. تقول إذا كان الآمر كذلك فهو يكفي وحده أن يلقي ضوءا باهرا يكشف أسباب تلك المعارك الدموية التي تحرجت الحالة من أجلها في فلسطين وقامت لها الحكومة البريطانية وقعدت)[26].

وتتبنى البلاغ كما نلاحظ وجهة النظر القومية في تفسرها لأحداث البراق وان كانت في ذات الوقت تنشر بعض المقالات التي تجمع بين الرؤية القومية والرؤية الدينية للأحداث.. فهي تؤكد أن الخلاف قائم أساسا على الكيان القومي (إذ بينما الفلسطينيون يجب أن يكونوا آمنين في بلادهم إذا بهم يرون وضعا خاصا لا مثيل له في بلدان العالم وهو أن قوما آخرين يعملون على أن يكون لهم في هذه البلاد المقام الأول. على أن ذلك الخلاف الجديد في مسالة البراق يزيد على ذلك بأنه يمس ناحية حساسة مثيرة

للعواطف بالنسبة للمسلمين الذين يعتقدون في البراق النبوي اعتقادا قائما على الشعور الديني ويرون فيه حقا دينيا لهم يستحيل عليهم التفريط فيه)[27]. وترى البلاغ أن حل هذه الأزمة لن يتم آلا بتراجع بريطانيا عن وعد بلفور وخصوصا بعد ما ثبت صعوبة تحقيقه، فكتبت تقول: (أن الاضطرابات الفلسطينية ستزول ولكن ليس معنى زوالها أن يزول النزاع بين العرب واليهود لان هذا النزاع باق ما بقيت هذه السياسة قائمة، فليس عرب فلسطين بالذين يرضون عن جعل بلادهم وطنا قوميا لغيرهم ولا يوافقون على أن تكون السياسة قائمة في فلسطين على مبدأ الوطن القومي المعروف، وآذن من الصعب جدا أن لم يكن من المستحيل أن يحسم النزاع ما لم تعدل السياسة التي ظلت قائمة نحو عشر سنوات دون الوصول إلى نتيجة)[28]. وتتساءل البلاغ عن سبب تشبث بريطانيا بهذا الوضع بعد أن قامت الأدلة على فشله فضلا عن نتائجه الخطيرة[29]. هذا بينما لا تتبنى «الاتحاد» تفسيرا واضحا لأحداث البراق. فهي تنشر بيان جمعية حراسة المسجد الأقصى فلاماكن الإسلامية المقدسة إلى العالم الإسلامي، وهو يتضمن سردا تفصيليا لأحداث البراق والملابسات والظروف التي صاحبت الانفجار من وجهة النظر العربية الإسلامية. ولكن لا تنشر الاتحاد أي مقال أو تعليق يشير إلى السبب الرئيسي للصراع وان كانت تدور حوله في محاولة يائسة لتجنب ذكره فهي تكتب: (قد يكون في استطاعتك أن تكتشف أصل ذلك الموقف وأسبابه ولكن مع ذلك إذا دخلت في تفاصيل آمر تلك الأسباب ولا بد أن تكون له علاقة بالدين وجدت نفسك أمام صعوبات قد تستعصي على كل تسوية)[30]. وهنا يبدو تعمد الاتحاد في تجاهل السبب الرئيسي لأحداث البراق بتركيزها على السبب الديني رغم انه يمثل الفرع وليس الأصل. ويمكن القول أن موقف الاتحاد هنا يميل إلى مجاملة الجانب البريطاني بتجنب الاصطدام به بعدم ذكره كسبب رئيسي وان كان غير ظاهر لأحداث البراق.

ومما يؤكد ذلك ما كتبته الاتحاد عن لجنة التحقيق التي أعلنت بريطانيا عن اعتزام إرسالها إلى فلسطين. فتراها تركز على أن الصراع بين الفريقين العربي واليهودي صراع عنصري يتحد طابعا دينيا، ولكن إنجلترا تمثل في نظر الاتحاد الطرف المحايد فهي تقول (أننا نود أن نرى أن تلك اللجنة

التحقيقية ستقوم بمهمتها بغير تحيز إلى فريق دون آخر حتى تظهر الحقيقة المطلوبة وينال الجاني العقاب، ويجب كذلك أن تكون تلك اللجنة من رجال ذوي خبرة واسعة بالأديان والتاريخ وبطبيعة البلاد وتقاليدها.. فإذا خلت صفات أعضاء اللجنة التي نحن بصددها من الشروط الضرورية استحال الوصول إلى تسوية عادلة معقولة تدع العرب واليهود يعيشون معا في سلام ورخاء)[31].

وترى الاتحاد أن التسوية لن تكون بإلغاء وعد بلفور ألانه على حد قولها نقلا عن صحيفة النيرايست الموالية للصهيونية (لن يحدث سحب لتصريح بلفور وستظل التمهيدات التي أجريت لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين باقية ما دام في الوجود يهود يرغبون في الاستفادة منها. هذه حقيقة يجب أن يدركها بسرعة عرب فلسطين أن لم يكونوا قد أدركوها بعد)[32].

وبناء على ذلك ترى صحيفة الاتحاد أن الحل يكمن في تدخل العناصر العاملة من العرب واليهود، ومعاونة حكومة الانتداب على التوصل إلى تصفية الخلاف وبناء الوطن المشترك (فالمشكلة كما تتراءى لنا تكاد تستعصي على الحل الذي يرضي الجانبين وينشئ بينهما عهدا من الاستقرار والسلام يساعدهما على التعاون على ترقية تلك البلاد المقدسة الصلاح شئونها، ولكن قد يستطيع عقلاء الفريقين وذوو النفوذ فيهما أن يعاونوا حكومة الانتداب على تصفية الخلافات القائمة وإنشاء العهد الجديد المرغوب فيه والعمل على تقدم الوطن المشترك)[33].

ويلاحظ أن «الاتحاد» تهتم بإبراز وجهة نظر الجانب البريطاني الصهيوني في الصراع، بل تكاد تتبنى ذات الرؤية، وهي تصل في ذلك إلى حد إلقاء مسئولية أحداث البراق على موسكو والبلشفية.. فهي تشير إلى أن بريطانيا تكتنفها شبكة من الدسائس الشرقية وأنها مستهدفة لفتنة يقوم بها جميع رعاياها المسلمين بمعاونة البلاشفة وتحريضهم. فالهند ومصر وسوريا وشرق الأردن وبلاد العرب كلها تناصر مسلمي فلسطين في مقاومة آي اعتداء كان على الأماكن المقدسة.. ولا جدوى الآن من إثبات أن اليهود لا يضمرون الشر للعرب فان رسل موسكو قد أثاروا الشعور الديني في البلاد[34].

ورغم موقف «الاتحاد» المتسم بالمهادنة والتأييد للانتداب البريطاني

في فلسطين وسياسته القائمة على إنشاء الوطن القومي اليهودي فأنها تهتم في ذات الوقت بنشر عدة تقارير وبيانات فلسطينية لها وزنها في الدوائر العربية والعالمية مثل (بيان جمعية حراسة المسجد الأقصى فلاماكن الإسلامية المقدسة)[35] عن حوادث البراق، وهو يتضمن كما وأسلفنا تفصيلات هامة عن الملابسات آلتي صاحبت هذه الحوادث. كذلك نشرت الاتحاد خلاصة التقرير الذي قدمه الوفد السوري الفلسطيني إلى مندوبي الدول الممثلة في جمعية الأمم بان فلسطين. ويتميز هذا التقرير بالموضوعية والاستنارة، كما انه يحوى تفاصيل هامة عن وعد بلفور والوطن القومي اليهودي[36].

أما صحيفة «السياسة» مما فهي تتبنى رؤية قومية مستنيرة في تفسير أحداث البراق فهي تقول.. (أن الأسباب والعوامل التي أدت إلى اتساع الحوادث الفلسطينية واستطالتها إلى هذا المدى الخطر ترجع إلى المسألة القومية العامة والى ما يضطرم به العرب من سخط على قيام الوطن القومي اليهودي، وما يترتب على قيامه من أيثار الأقلية اليهودية على الأكثرية العربية في توجيه الشئون العامة، وهو أيثار يوحي به ميثاق الانتداب ذاته وان الخصومة على البراق آو المبكى لم تكن آلا حجة ظاهرة هي التي أذكت أول شرارة في الفتنة)[37]. ولكن رغم الإدراك المستنير الذي تتميز به السياسة في تفسيرها لأسباب ودوافع الهبة نراها تدين أسلوب العنف الذي دفع إليه الفلسطينيون متجاهلة تماما الأسباب الموضوعية التي ألجأتهم إلى ذلك، إذ تقول (أن العنف سلاح خطير لا يصلح لاسترداد الحقوق أو تأييدها، وان إهدار الدماء اشد ما يناقض روح العصر ومبادئه، وان فلسطين تنعم بالسكينة والإقناع، مالا يحققه العنف)[38].

وقد دفعها هذا أتناقض ألي الاصطدام مع (نسيم صبيعة) الكاتب السوري الذي نشر في المقطم مقالا يا خد فيه على «السياسة» موقفها من الأحداث الفلسطينية ويقول: (أنها بعدما نوهت إلى أسباب الفتنة وقالت أنها ترجع إلى قيام الوطن القومي، عادت أكدت أن مصر لا تفرق بين الطوائف وأنكرت على اللجان العربية نشاطها ني الاجتماع وشرح الموقف في فلسطين لإخوانهم الممرين.. فكيف يمكن تفسير هذا التناقض)[39].
وتدفع السياسة عن نفسها تهمة التناقض فتشير إلى (أن الظروف والنزعات

الخاصة التي يتأثر بها أصدقاؤنا العرب في فهم الحوادث وتقدير الموقف لا شان لها في صوغ وجهة النظر المصرية، وان مصر لا تريد بالأخص أن تعرف يوما أثر هذه النزعة الطائفية التي تذهب إلى أعماق الحركات القومية العربية) وتعود إلى تذكرهم بان («السياسة» مصرية قبل أن تكون شرقية وأنها تضع سكينة مصر ومصالحها فوق كل اعتبار وأنها تعبر فيما تكتب في هذا الشأن لا عن رأي ذوي الحل والعقد وإنما عن رأي الآمة المصرية التي تندمج فيها عناصر مصر المختلفة مسلمين ونصارى ويهود)[40].

وكانت المقطم تنهج نهجا ليبراليا ينطوي على قدر كبير من الدهاء: فهي كانت تمنح الفرصة كاملة لكلا الفريقين من الكتاب العرب واليهود للإفصاح عن وجهة نظرهم والدفاع عنها، وقد كان نسيم صبيعة يتزعم الجانب العربي، فقد كتب اكثر من مرة يوضح حقائق المأساة الفلسطينية تارة ويرد على صحيفة السياسة تارة أخرى، وكانت قد هاجمت كما أسلفنا نشاط العرب الفلسطينيين في مصر لتأييد إخوانهم في فلسطين بمناسبة حوادث البراق[41].

ففي الوقت الذي يحاول فيه نسيم صبيعه أن يثبت أن (الصهيونيين هم البادئون بالشر كما أثبته أول بلاغ رسمي أصدرته حكومة فلسطين وكانوا هم المعتدين على الحالة الحاضرة التي قررها الكتاب الأبيض الذي صدر في نوفمبر 1928، وكانوا هم الغادرين بالعرب الذين ساقتهم المقادير إلى أحيائهم وكانوا هم المختبئين وراء نوافذ بيوتهم يردون المارة من العرب بالرصاص ويلقون عليهم ماء النار، ولكي يكونوا سباقين في كل نقيصة فعلوا فعلتهم وقاموا يولولون ويملئون الدنيا صراخا. وقبل أن يدفنوا أمواتهم ابتدءوا يعملون حساب التعويضات التي سيقبضونها)[42]. تنشر المقطم في مقابل هذا المقال بيانا تلقته من المجلس العمومي للطائفة الإسرائيلية في فلسطين يدفع فيه جميع التهم التي وجهت لليهود أثناء حوادث البراق جاء فيه: (لا صحة لما قيل من أن اليهود ينوون الاستيلاء على الحرم الشريف والمسجد الأقصى.. وغير صحيح أن وراء رغبة اليهود في الاستمرار على عادتهم القديمة بإقامة الصلوات أمام حائط المبكى بدون تشويش ما، آي خطر يهدد الأماكن المقدسة الإسلامية.. ولا صحة لما يقال وهو أن بعضا من اليهود القوا فواكه آو حلوى مسمومة في الطرق لكي يلتقطها المارة، وقد

عطلت الحكومة بعض الجرائد العربية مؤقتا[43] لنشر مثل هذه الأخبار الكاذبة كما ورد في بلاغها الرسمي المنشور في 27 سبتمبر الماضي، ورغم ما كانت تحاول أن تبدو به المقطم من موضوعية إزاء تطورات الصراع الصهيوني الفلسطيني، فقد كانت ملتزمة بالولاء الكامل للخط البريطاني والمصالح البريطانية، فهي كانت تعارض الجانب الصهيوني أحيانا، لكنها كانت تضع ثقتها الكاملة في بريطانيا وحكمتها، ولم يمنعها ذلك من نشر بعض المقالات التي تلقي المسئولية بكاملها على بريطانيا، فقد جاء مقال بعنوان: (الآجل البراق أم فلأجل الوطن القومي اليهودي)[44] ما يلي: (هل يتصور العقل أن يكون كل هذا فلأجل المبكى) فلأجل أن يبكي اليهود.. والله لو كان الخطب خطب المبكى (البراق) لهان الآمر وتركناهم يذرفون ما شاءوا من الدموع الحارة.. ولكنها ثورة قومية يزكي أوارها وعد بلفور.. نعم هو وعد بلفور وحده الذي يصور لليهود هذه المطامع الاستعمارية أملا في استعمار فلسطين ولبسط السيادة عليها.. وعلى كل حال ليست الغلطة غلطة اليهود وحدهم بل هي غلطة بريطانيا أيضا التي خلقت من وعد بلفور مشكلة خطيرة لا تحل آلا بنزوح الفريقين[45].

كذلك تتوجه المقطم بكلمة منها (إلى عقلاء الفريقين والحكومة المحليين) تبلور فيها رأيها في التسوية تقول: (الذي نرجوه هو أن يعمل إلقاء من الجانبين على تهدئة الخواطر فالإيغال في الخصومة ليس من مصلحتهم فلأمن مصلحة فلسطين نفسها.. كما أننا ندعو حكومة فلسطين إلى التشدد في معاقبة الذين أثاروا هذا الهياج من آي فريق كانوا ومن غير التفات إلى مراكزهم وطوائفهم.. . ونغتنم هذه الفرصة نخاطب حكومة لندن العليا راجين أن تعيد النظر في سياستها بفلسطين وان تدرسها على ضوء الاختبارات والحوادث الأخيرة، فوعد بلفور الذي سمح بالأصل لليهود بلم شتاتهم وإيوائهم في فلسطين يكاد ينقلب إلى مشكلة خطرة إذا لم تعالج من الآن بالحكمة والروية)[46].

ونادرا ما كانت تنشر الأهرام تمليكا آو مقالا يحمل وجهة نظرها في أحداث البراق، وهى تحاول أن تبدو محايدة ولكن من خلال عرضها للأخبار والأحاديث الصحفية نلاحظ أنها تميل نحو الجانب الوطني وتميل لإبداء وجهة نظر الجانب العربي في الصراع، وهي تلتقي في هذا مع البلاغ.

لجنة التحقيق في أحداث البراق:

تابعت الصحف المصرية أعمال اللجنة البريطانية التي انتدبت للتحقيق في أسباب حوادث البراق. وكانت قد وصلت إلى فلسطين في نهاية شهر أكتوبر 1929، ولبثت شهرين تستمع إلى أقوال الشهود من عرب ويهود من مختلف الطبقات والهيئات. وقد عقدت 47 جلسة علنية و11 جلسة سرية واستمعت آلي 110 شهود من العرب واليهود والموظفين البريطانيين. ببعد أن قامت بجمع مادة غزيرة من الوثائق غادرت القدس عائدة آلي لندن في نهاية شهر ديسمبر من نفس العام ومما يجدر ذكره أن الحكومة البريطانية قد انتدبت هذه اللجنة على اثر وقوع الاضطرابات في فلسطين كي تقوم بمهمتها المزدوجة، وهي أجراء تحقيقات شاملة حول الحوادث ثم وضع تقرير يتضمن اقتراحاتها التي يجب أن تلتزم بها الحكومة البريطانية لمنع تكرار الاضطرابات مرة أخرى. وقد شكلت هذه اللجنة برئاسة السير تم شو ممثلة لجميع الأحزاب البريطانية على غرار لجنة الإصلاح الدستوري الهندية التي انتدبت من قبل برئاسة السير جن سيمون لتحقيق أسباب الحركة القومية الهندية ومداها وما يجب إدخاله من التعديلات على نظام الحكم في الهند[47]. وقد نشرت الاتحاد البيان الذي افتتح به مسطر شو أعمال اللجنة والذي جاء به آن اللجنة لا شان لها بالمسائل السياسية السياسة وعلى ذلك سارت اللجنة في مهمة التحقيق القضائي ثم عادت آلي فلسطين حاملة كل ما استطاعت من الوثائق والأدلة لتهتدي بها في القيام بالشطر الثاني من مهمتها[48].

وقد علقت «السياسة» على مهمة لجنة شو في محاولة لرصد احتمالات التغيير الذي سيطرا على السياسة البريطانية في فلسطين بناء على التقرير الذي ستتولى اللجنة أعداده عن الأوضاع في فلسطين فأشارت آلي (أن الدوائر الرسمية البريطانية لم يبد منها ما يدل على أن الحكومة البريطانية قد عدلت عن موقفها نحو فلسطين سواء من حيث التمسك بالانتداب أو بالسياسة آلتي أدمجت في عهد بغفور وهو الذي تتعهد فيه بريطانيا العظمى بان تتعاون في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.. ومهما كانت الأخطار التي ارتكبت في تطبيق عهده بغفور أو المصاعب التي ما زالت تقترن بتنفيذه فليس يلوح في الوقت الحاضر أن أي حكومة بريطانية تستطيع أن تسحبه

أو تلغيه جهارا وأن تحدث بذلك ثغرة في عهود السياسة البريطانية)[49].

وتبدي السياسة تفاؤلا فيما يتعلق بالأثر الذي سوف يحدثه تقرير لجنة شو في تغيير السياسة التي نفذ بها وعد بلفور إذ تقول: (ستكون مباحثات لجنة التحقيق الأخيرة واقتراحاتها مرشدا في وضع الخطة الجديدة التي ترى الحكومة البريطانية اتباعها في إدارة فلسطين. ومن المحقق أن هده الخطة ستكون ذات اثر يذكر في تحوير التصريح ذاته واضعا في شانه وتحسين هذه الحالة الشاذة التي قامت في فلسطين من تقليب الأقلية اليهودية في شئون البلاد ومرافقها وفتح باب الهجرة اليهودية على مصراعيه)[50].

وقد نشرت الأهرام عدة تعليقات على لجنة شو نقلا عن الصحف البريطانية أبرزها التعليق الذي نشرته جريدة (افيننج نيوز) وقد أشار إلى أن تقرير لجنة تحقيق حوادث فلسطين هو في مصلحة العرب.. وان مسئولية الاضطرابات الأخيرة في فلسطين لم تلق كلها على العرب. ويبرئ التقرير العرب من تهمة المؤامرة ضد اليهود، ولكن يتضمن التقرير تنديدا شديدا بالمذابح والفظائع التي ارتكبت أخيرا، كما يحوى انتقادا لتنفيد شروط الانتداب وكذلك تصريح بلفور[51]. كما تقترح اللجنة بعض تعديلات وتفسيرات جديدة لهذا التصريح وتندد اللجنة بالسيطرة الصهيونية في فلسطين، وتقترح وسائل عديدة لصيانة مصالح العرب.. منها سن قوانين لمهاجرة اليهود إلى فلسطين ومسالة تملك اليهود للأراضي، والمسالة الأخيرة تعدها اللجنة عظيمة الأهمية فاوصت بوجوب تقييد ملكية الأراضي التي تضر بمصلحة العرب[52]. وترى الصحيفة الإنجليزية أن التقرير الذي أعدته اللجنة يرمي في الواقع إلى تخفيف متاعب العرب، فإذا عمل بموجبه كان ذلك خير وسيلة لإزالة التبرم والفلق من البلاد بغير أن يجحف بحقوق اليهود.

ومما يثير الغرابة أن الحقائق التي كشفت عنها لجنة التحقيق فيما يتعلق بمسئولية حكومة الانتداب عن الأحداث قد التقطتها بعض الأقلام اليهودية في مصر واتخذت منها وسيلة للتضليل بإلقاء تبعية الأحداث على حكومة الانتداب فقط القط وبمحاولة تبرئة الصهيونية واليهود من المسئولية تماما. فنجد في مقال نشرته المقطم بقلم أتحد اليهود المصريين (عزر

الليفي) أنه لا يكتفي بان يثبت مسئولية حكومة الانتداب وسوء أدارتها كسبب مباشر لأحداث البراق، ولكن يحاول أن يؤكد أبانها (هي الموعزة بهذه الأحداث سرا تسرا فقد كان بإمكانها تلافي الخطر قبل وقوعه، ولكن سياسة التفريق أبت ذلك حتى أصبح الخلاف لا بد له من نتيجة كالتي شاهدناها)[53].

ويواصل الكاتب كلامه متسائلا عن (الحكمة في أن إنجلترا لجأت إلى جمعية الأمم لتحل هذا الخلاف البسيط على مسالة البراق وهي الدولة التي تحكم نصف العالم بمستعمراتها وتتحكم في النصف الثاني بدهائها السياسي، فهل هي عاجزة حقيقة عن التوفيق.. .) ثم يجيب على تسائله بان (الحقيقة أن إنجلترا وهي التي تعلم نتيجة الحكم قبل صدوره تريد أن تبقى على الحياد حتى تتخلص من لوم أحد الفريقين إذ انه من البديهي أن اللجنة التي الفت للتوفيق سوف تصدر حكمها لمصلحة أتحدهما وهو طبعا لا يرضي الفريق الآخر وبذلك تتسع شقة الخلاف بينهما ويستمر الخلاف إلى الأبد. وهذا الخلاف يعد فوزا كبيرا للاستعماريين[54] وتعلق كوكب الشرق على الموقف البريطاني الذي يتسم بالحيرة إزاء أحداث البراق وتدلل على هذه الحيرة بأقدام الحكومة البريطانية على إرسال لجنة قضائية للتحقيق. علاوة على أن النتاج التي أتسفر عنها التحقيق والتي ضمنتها اللجنة تقريرها أوقعت بريطانيا في مزيد من الحيرة. إذ أنها قلبت الحسابات البريطانية رأسا على عقب، أضاعت على الحكومة البريطانية فرصة التتكيل بالعرب فيما لو كانت اللجنة قد أثبتت مسئوليتهم عن الحوادث)[55]. (ونظرا لما كان اليهود ملأأ به الآفاق من إشاعات تعدى العرب عليهم وارتكابهم الأعمال الوحشية في قتالهم. ظنت الحكومة الإنجليزية أن هذه الفرصة ستكون أحسن فرصة للتنكيل بالعرب فيما لو ثبت من اعتداءاتهم وتوحشهم وتمثيلهم بالقتلى وما أشبه ذلك فيأتي تمكينها لليهود في ارض فلسطين جزاء وفاقا لفعل العرب. ولكن أمل الحكومة الإنجليزية في إلقاء المسئولية على العرب وحدهم بدأ يخيب بما ظهر لدى لجنة التحقيق من شهادات كثير من الإنجليز ممن لا يخلون من وجدان صحيح بان اليهود كانوا هم المعتدين والبادئين بالهياج وبأنهم هم الذين بتحركاتهم العدائية استأنفوا العرب)[56].

وقد تعرضت لجنة التحقيق في أحداث البراق آلي حملة نقد عنيف من جانب الصحف الصهيونية في مصر بمصر تزعمتها صحيفة إسرائيل التي ألقت مسئولية الأحداث على اللجنة التنفيذية العربية وحكومة الانتداب. وهى تهاجم اللجنة التي أعلنت في تقريرها (أن الحكومة غير مسئولة واللجنة التنفيذية العربية مثلها غير مسئولة عن الفتنة. من المسئول آذن عن هذه الثورة التي تشكلت اللجنة لبحث أسبابها وتعيين المسئولين عنها.. أعنها نأسف لان اللجنة لا تملك من الجرأة الأدبية ما يمكنها من أتعلان الحقيقة على الملأ خالصة من الشوائب والأهواء)[57]. وتواصل صحيفة إسرائيل هجومها على اللجنة من خلال استعراضها لتقرير اللجنة والتوصيات التي تضمنها وخصوصا التوصية المتعلقة بالحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، تتساءل الصحيفة في استنكار: (كيف يجوز للجنة أن تطالب بتحديد الهجرة وإلغائها والقضاء عليها العداء الأخير باقتراحها أخذ رأي الهيئات غير اليهودية في مسائل الهجرة. نعم أننا لا ندري كيف سمحت اللجنة لنفسها أن تقترح هذا الاقتراح المخالف للحق وصك الانتداب والعهود التي قطعتها بريطانيا وهي تعلم أن الوطن القومي روحه الهجرة وفي القضاء على الهجرة قضاء عليه والانتداب مبني في جوهره على إنشاء الوطن القومي. فكيف غابت عنها هذه الحقائق الجوهرية فراحت تقرر أشياء تخالف الواقع والعدالة وصك الانتداب وهي لم يطلب منها الخوض في المسائل الرئيسية لسياسة الانتداب)[58].

ويبلغ كاتب المقال[*] قمة انفعاله واستفزازه عندما يتعرض لمناقشة اقتراح اللجنة الخاص بأخذ رأي الهيئات غير اليهودية في مسالة الهجرة إذ يقول (لعل اللجنة ترمي من هذا القول إلى وجوب استشارة اللجنة التنفيذية العربية في الهجرة ما دامت تعتقد فيها أنها بريئة من المسئولية وهي المجرمة التي نكبت البلاد والعباد بالثورة ونتائجها السيئة. ولا حاجة للقول أن رأي اللجنة العربية في الهجرة واضح لا يحتاج إلى دليل فهي تعارض الهجرة ألانها تبغي أن يظل اليهود أقلية حتى تستطيع الفتك بهم وتأليب الأهالي عليهم بواسطة الدعاية التي تقوم بها والتي اعترفت بها لجنة التحقيق على حين يوجب صك الانتداب على الحكومة البريطانية أن تشجع الهجرة آلي فلسطين لإنشاء الوطن القومي)[59].

ولا يجد الكاتب تبريرا لموقف اللجنة سوى اتهامها أبانها لجنة استعمارية أكثر منها لجنة تحقيق، ولذلك فهي تحرص على بقاء عناصر الشر لتنفيذ سياسة فرق تسد التي تجرى عليها بريطانيا في مستعمراتها.

وقد التقت كوكب الشرق مع البلاغ في الاهتمام بإبراز الدور الذي قامت به هيئات التحقيق الأخرى في أحداث البراق. هذا الدور الفري ساهم في كشف ودحض افتراءات اليهود ومزاعمهم المعادية للعرب.. فقد ادعى الصهيونيون آن العرب مثلوا بالقتلى اليهود في مدينة الخليل وأصروا على دعواهم هذه، وطلبوا إخراج جثث هؤلاء القتلى وفحصها، فلما لم تجبهم الحكومة الفلسطينية إلى رغبتهم أبرقوا إلى وزارة المستعمرات البريطانية مصرين على طلبهم فأجيبوا إليه وعينت لجنة اشتراك فيها أطباء من العرب والإنجليز واليهود. ونبشت قبور القتلى وفحصت 28 جثة فلم تجد بها أي تمثيل آو تشويه[60]. وقد أصر العرب على فحص مزيد من الجثث، ولكن الأطباء اليهود اكتفوا بما فحصوه ووقعوا على التقرير الطبي الذي ينفي حدوث ما زعمته الجماعات الصهيونية، وكان العرب موفقين في إصرارهم على وجوب أجراء الكشف الطبي العام فلأنهم كانوا يستندون إلى الحقيقة التي تشرف موقفهم وتفضح نوايا خصومهم. ولا شك إن الصهيونيين كانوا يرمون من وراء هذه الادعاءات إلى جمع الأموال من ممولي الصهيونية في العالم هذا تشويه سمعة العرب[61].

وتهتم كوكب الشرق برد بعض الافتراءات التي استندت إليها الصهيونية وخصوصا طائفة الأخبار والتصريحات التي تنسبها بعض الصحف الموالية للصهيونية إلى ملك مصر وشيخ الجامع الأزهر وملك العراق مستهدفة من ذلك الإساءة إلى العرب وبلبلة الرأي العام في فلسطين وخارجها. ولكن سرعان ما انجلت الحقيقة بعد نشر الردود الرسمية لهذه الدوائر لتكذيب الصهيونيين ومصادر النشر التي تساندهم[62].

وتقترح البلاغ حلا ترى أن الحوادث الأخيرة في فلسطين قد أظهرت مدى حاجة الشرق إليه، وهو الدعاية التي تعرض حقيقته للعالم وتبرز مدى الرقي الذي وصلت إليه شعوبه، وترد منه أخطار الدعاية النكراء الواسعة النطاق التي ينشرها خصومه في أقطار العالم. وتقول: (لقد اتضح لنا أن حاجة الشرقيين إلى الدعاية مزدوجة الفائدة إذ فضلا عن أنهم

يدفعون أخطار الدعاية السيئة عنهم يستطيعون أن ينالوا عطفا كثيرا ممن يهتمون بالمسائل الشرقية وفي هذا العطف ما فيه من الفوائد التي لا تظن أن أحدا يجهلها. وآذن هل أن الأوان لكي تقوم الشعوب الشرقية بهذا الواجب على أكمل وجه)[63].

شهداء البراق:

في 17 يمنيو 1930 تم تتقيد حكم الإعدام في الشبان الفلسطينيين الثلاث الذين أدينوا في أحداث البراق. وقد أثار هذا الحدث موجة من السخط والاستنكار لم تقتصر على العرب داخل فلسطين فحسب بل شملت العالم العربي الإسلامي الإسلام وقد سبق صدور الحكم موجة أخرى من الاستعطاف للمندوب السامي البريطاني من أجل تخفيف الحكم احتراما للشعور الإسلامي وتوطيدا للسلام العام في فلسطين[64].. وقد تجلى هذا في برقيات الاستعطاف المنهالة على المندوب السامي (من أرقى جماعات الهند والحجاز ومصر واليمن والعراق ومن الجاليات العربية والإسلامية في أمريكا وأوروبا ووراء البحار منادية بصوت واحد ولهجة واحدة آن المسلمين والعرب لم يعد في ذرعتم متسع لاحتمال تفجر دماء جديدة يؤديها شعب مظلوم إضافة لمظلمته الكبرى وعلاوة على أتهاب أعظم حقوقه خطرا أتكثرها لسوفا بحياته السياسية وحرياته العامة).

وقد انفردت كوكب الشرق عن بتيه الصحف المصرية بمتابعة هذا الحدث والتعليق عليه. وقد نشرت تحقيقا صحفيا عن حادث الإعدام ذاته تضمن وصفا تفصيليا مؤثرا للحادث وتعليقات الشهداء وذويهم والأثر العميق الدوي تركه في نفوس الفلسطيني وحرصت على آن توضح آن هذا الحادث يعد مقبرة للصداقة العربية البريطانية إذ كتبت تقول: (فأنت ترى أن دفن الشهداء الثلاثة قد دفن معه جسد الصداقة العربية البريطانية ذلك الجسد المتهدم الذي أدركه البلى لكثرة ما توالى على بلاد العرب من خطوب ووفرة ما افتضح من مواعيد عرقوب)[65]. واستطردت تقول: (وما نحن بمغالين إذ نقول عقب حادث دنشواي الجديد أن نفوذ هذه الدولة في بلاد العرب قد تردى في الحفرة السحيقة التي احتقرها معول بلفور وان فجيعة العرب بفتيان فلسطين هي الفاصل بين عهدين والفارق بين سياستين) وتشير

الصحيفة إلى الإحساس المضاعف بالظلم الذي أتحس به العرب في فلسطين نتيجة هذا الحادث خاصة إذا قورنوا باليهود الذين أدينوا رسميا في أحداث البراق طبقا لتقرير لجنة التحقيق البريطانية تقول: (ولشد ما أشجى العرب أن اليهود لم يصابوا في محكميهم بمثل ما أصيب به شباب العرب المحكومان رغم أن أولئك من اقترفوا جرائم مشددة مما دل على أن للعدل عدة وجوه وان وجها منها يطل على السياسة ويتلقى وحيها. وما رغبة العرب أن يشمل الإعدام كل محكوم ولكن كبر عليهم أن تشمل الرحمة فريقا دون فريق وان يختص بالرحمة المغيرون المهاجمون والصائلون المعتدون)[66].

في مقابل هذه اللهجة المملوءة أسى والتي لا زالت متعلقة ببقايا أمل في عدالة الاستعمار البريطاني والتي لم تخرج عن أصول المهنة وآدابها أدينوا رسميا وشعبيا. في مقابل هذا نجد الصحف الصهيونية في مصر تقطر حقدا على الشهداء العرب وتشن هجوما يتنافى مع أصول المهنة وآدابها على اللجنة العربية بسبب احتفالها بذكرى الشهداء. ويصل الهجوم آلي حد أن صحيفة إسرائيل تنعت هؤلاء الشهداء بالمجرمين والسفاحين إذ تقول: (كيف تجرؤ اللجنة على دعوة الشعب إلى الحداد على جماعة مجرمين دمغتهم محاكم الجنايات بأفظع الجرائم وأبشعتا.. أن اللجنة تريد بمحاولتها هذه العبث والسخرية بعقول الناس فتحطهم على تسمية الجرائم والسرقة وهتك الأعراض بطولة واعتبار من تحكم عليه المحاكم بالإعدام شهيدا جديرا بالإكرام حتى تنسب بالتالي البطولة إلى أعمالها أيضا)[67].

وتتخبط الصحيفة. فهي تتهم اللجنة العربية بالعمالة للإنجليز وتطلب من الشعب الفلسطيني (أن يلبس الحداد ويقيم المنضب ألانه نكب باللجنة العربية خادمة الدولة الإنجليزية ومطيتها الذلول في تحقيق رغائها ومطامعها الاستعمارية في هذا القطر اليائس)[68].

وفي ذات الوقت نراها تستعدي السلطات البريطانية ضد اللجنة العربية (أننا نلفت نظر الحكومة آلي آن إقامة مثل هذه الحفلات فيها خطر كبير على الأخلاق لو سمحت بها، ألم يفهم الناس آن اللجنة تدعوهم آلي تضليل ونصب).

اتبعت الشورى أسلوبا مغايرا لجميع الصحف المصرية في معالجتها لأحداث البراق. إذ اهتمت بعرض البرقيات التي نشرتها وكالة رويت

والصحف البريطانية عن الأحداث وقارنتها بما جاء في البلاغ الرسمي الذي أصدرته حكومة الانتداب واتخذت منه وسيلة لإبراز الافتراءات والظلم والتآمر الذي تعرض له الشعب الفلسطيني ليس من جانب الانتداب البريطاني والصهيونية فحسب بل من جانب وكالات الأنباء والصحف الاستعمارية أيضا. ولم تنس الشورى أن تشير إلى انفراد رويتر بإذاعة أنباء فلسطين لان وكالة هافاس الفرنسية قد سكتت الآن مقابل سكوت رويتر أمام الثورة السورية[69].

حملت صحيفة إسرائيل لواء الدفاع عن وجهة النظر الصهيونية، وقد بدا ذلك واضحا في معالجتها لأحداث البراق، فهي تستثار بسبب تعاطف الأهرام مع الجانب العربي الفلسطيني في الصراع على البراق، وترد على الأهرام في مقال ملئ بالغمز واللمز[70]، كما أنها توجه هجوما سافرا ضد أحمد زكي باشا لأنه أبدى غيرة واهتماما على المبكى، فكتبت تقول: (وأخيرا وقف زكي باشا يخطب في نادي الشبان في بيت لحم فدعا الشباب إلى الدفاع عن المبكى بأرواحهم ومهجهم وأقسم وإياهم على الدفاع عن المبكى. زكى باشا يستعد للموت من اجل حائط لم يطالب به اليهود وإنما أرادوا الصلاة أمامه فما أرخص حياة زكي باشا في الصغائر التافهة التي يتوهم أنها تذكر اسمه وما أغلاها على الوطن الذي رباه وأنشأه....)[71].

وتلخص صحيفة إسرائيل وجهة نظرها في أحداث البراق في كلمة هادئة حول مشكلة المبكى[72]، كتبها سعد المالكي ابرز كتابها ورئيس تحرير صحيفة الشمس، يقول فيها (نعتقد أنه لولا المساعي التي يبذلها دعاة الاستعمار من الموظفين الإنجليز وتحريضهم بعض العرب على الفتنة من أجل تلك الأحجار لما وقع شيء من الحوادث المخزية، ومن دواعي الآسف أن ينصاع لهم جماعة من عرب فلسطين طمعا في مآرب زائل فيعبثون بآمن البلاد أهلها من أجل الأوهام.

وتتوجه صحيفة إسرائيل إلى العالم الإسلامي عامة الذي احتمى به اليهود يوم نزل بهم الضيم والعشق ولا زالوا يحتمون به، وعرب فلسطين خاصة إلى ترك الصغائر وعدم التنازع لا على المبكى ولا على سواه وان يزيلوا مخاوفهم من هجرة اليهود إلى فلسطين). هكذا تعتقد الصحيفة أن مثل هذا النداء كفيل ببث الطمأنينة في نفوس عرب فلسطين وهو في

الواقع ليس أكثر من نداء خبيث يهدف إلى تخدير الفلسطينيين وامتصاص سخطهم وتحويل اهتمامهم عن الوطن القومي اليهودي الذي كانت الصحيفة من اكبر الدعاة له في مصر.

هوامش

(1) البلاغ اليومي 16/11/1929

(2) كوكب الشرق 17/12/1933.

(3) السياسة 18/5/1927

(4) الاتحاد 22/1/1932, 15/10/1933, 18/3/1929.

(5) الشورى 29/3/1926, 8/10/1929, 12/3/1930.

(6) السياسة 18/5/1927.

(7) المصدر السابق الحركة الوطنية الفلسطينية بقلم محمد عبد الله عنان.

(8) السياسة 11/8/1931, 18/5/1927.

(9) السياسة 18/5/1927.

(10) السياسة 11/8/1931.

(11) البلاغ 16/11/1929.

(12) المصدر السابق.

(13) كوكب الشرق 17/12/1933 فلسطين الشهيدة بقلم محمد علي الطاهر.

(14) المصدر السابق.

(15) الشورى 17/12/1923, 15م-كوكب الشرق 2/11/1933.

(16) الأهرام 3/9/1929, 2/3/1930، حديث لسماحة مفتى القدس نقلا عن الويل أكسبريس تأثير حوادث فلسطين على البلدان المجاورة نقا عن التايمز.

أحـــداث البـراق

(17) المصدر السابق.

(18) الأهـرام 6/12/1929.

(19) البـلاغ 5/9/1929, 12/10/1929.

(20) البـلاغ 14/5/1929.

(21) انظر أعداد البلاغ 2/9/1929, 16/4/1930 لماذا ثارت فلسطين بقلم فلسطيني منكوب.

(22) الاتحاد 14/9/1929, 23/12/1929 الاضطرابات في فلسطين نقا عن النيرانيست.

(23) السياسة 31/8/1929, 4/9/1929 حالة فلسطين وتصريح بلفور نقلا عن التايمز الديلي ميل.

(24) المقطم 19/9/1929 المأساة الفلسطينية وافتراءات اليهود في المشكلة 6/11/1929 في المشكلة الفلسطينية دفع تهم آيبان من الطائفة الإسرائيلية بمصر.

(25) البلاغ 28/8/1929 على نكر الاضطرابات لها فلسطين. المصدر السابق.

(26) المبلاغ 12/8/1929 مسألة البراق في بيت المقدس.

(27) البـلاغ 5/9/1929.

(28) البـلاغ 2/9/1929.
(29) المصدر السابق.
(30) الاتحاد 14/9/1929 الاضطرابات في فلسطين وتصريح بلفور.
(31) المصدر السابق.
(32) الاتحاد 14/10/1929 المشكلة الفلسطينية وهل من سبيل لحلها.
(33) الاتحاد 23/12/1929 تعليق منقول عن الديلي ميل.
(34) المصدر السابق.
(35) انظر الملحق (الاتحاد7/9/1929) رقم (23)
(36) الاتحاد 14/10/1929 انظر الملحق (24).
(37) السياسة 4/9/1929
(38) السياسة 21/8/1929- مدى الحوادث الفلسطينية.
(39) السياسة 4/9 /1929- عبرة المأساة الفلسطينية.
(40) المصدر السابق.
(41) المقطم 4/9/1929- عبرة المأساة الفلسطينية.
(42) المقطم 19/11/1929- المأساة الفلسطينية وقع مهم.
(43) المقطم6/11/1929- في المشكلة الفلسطينية وقع مهم.
(44) المقطم 24/9/1929- الحالة الحاضرة لفي فلسطين.
(45) المقطم 29/8/1929- فلأجل البراق آم أتجل الوطن القومي.
(46) المقطم 28/8/1929- حوادث فلسطين كلمة آلي عقلاء الفريقين.
(47) الأهرام 3/9/1929- حديث مع سماحة المفتي نقلا عن الديلي أكسبريس
(48) الأهرام 27/9/1929- حديث لرئيس المجلس الأعلى عن الديلي.
(49) السياسة 4/9/1929- صدى الحوادث الفلسطينية وموقف مصر فيها.
(50) السياسة 4/9/1929- مصدر سابق.
(51) الأهرام 29/8/1929- الثورة في فلسطين وأسبابها.
(52) المصدر السابق.
(53) المقطم 23/9/1930 مهزلة تحقيق البراق بقلم عزار ليفي.
(54) المصدر السابق.
(55) كوكب الشرق 8/12/1929 لحيرة البريطانية في المسألة الفلسطينية، بقلم شكيب ارسلان.
(56) المصدر السابق.
(57) إسرائيل 11/4/1930 نظرات في تقرير لجنة التحقيق. * سعد يعقوب المالكي رئيس تحرير صحيفة الشمس الصهيونية (1934).
(58) إسرائيل 11/4/1930
(59) المصدر السابق.
(60) كوكب الشرق 8/12/1929
(61) البلاغ 25/9/1929 حاجة الشرق إلى الدعاية بمناسبة حوادث فلسطين الأخيرة.
(62) كوكب الشرق 4/1/1930 ماذا كشفت هيئات التحقيق بفلسطين المصدر السابق.

(63) البلاغ 25/9/1929 مصدر سابق.

(64) كوكب الشرق 14 مايو سنة 1931 متى ينطلق السر تشانسور بكلمة العفو المنتظر.

(65) كوكب الشرق 28/6/1930 دنشواي الثانية في فلسطين.

(66) المصدر السابق.

(67) إسرائيل 26 يونيو 1931 حداد على شهداء اللجنة العربية تحث على الأجرام.

(68) المصدر السابق.

(69) الشورى 28/8/1929 ماذا في فلسطين.

(70) إسرائيل 4 يوليو سنة 1930 بكاء الأهرام على المبكى وغيرتها على العرب.

(71) إسرائيل 25 يوليو سنة 1920 زكي باشا يحرض على الثورة.

(72) إسرائيل 31 يونيو 1920 كلمة هادئة حول مشكلة المبكى.

انتفاضة ١٩٣٣

مع بداية الثلاثينيات وازدياد الوعي لدى الجماهير العربية في فلسطين وأدراك اللجنة التنفيذية العربية أن وسائلها السلمية لم تحقق للبلاد شيئا وان كل الجهود آلتي بذلتها القناع الحكومة البريطانية بتغيير سياستها ذهبت أسدى وان أتراضي البلاد ستنقل رويدا إلى اليهود، وان قوافل المهاجرين تتوالى على البلاد بالطرق المشروعة وغير المشروعة، وان الأعوام تمر دون أن تحصل البلاد على شكل من أشكال الحكم الديمقراطي-حينئذ لم يكن هناك بد من تحول نضال الحركة الوطنية التي كانت تتجه بادئ الآمر ضد الصهيونية إلى نضال ضد حكومة الانتداب مباشرة، بعد أن ثبت بالدليل القاطع عدم جدوى سياسة التعاون التي كان ينادي بها البعض من القيادات الوطنية الفلسطينية. ومن دلائل هذا التحول إقرار سياسة اللاتعاون التي اتخذتها اللجنة التنفيذية العربية إزاء حكومة الانتداب، وذلك على اثر مؤتمر يافا الكبير الذي انعقد في مارس 1933، والذي اتخذ عدة قرارات تعد منعطفا هاما في استراتيجية الحركة الوطنية في فلسطين. إذ أن أتعلان سياسة اللاتعاون كخطوة أولى في مواجهة السياسة البريطانية في فلسطين كان يعني في الواقع أعلام حكومة الانتداب أن العرب قد وضحت أمامهم الرؤية وأصبحوا يدركون أن الوطن القومي هو وليد السياسة البريطانية، وان التناقض الأساسي إنما هو بين الحركة الوطنية والانتداب، آما الحركة الصهيونية فهي تشكل جزءا من هذا التناقض الرئيسي ولكنه يمثل المرتبة الثانية في الأهمية. وقد اتسمت مظاهرات أكتوبر 1933 بالأسلوب السلمي حيث تجرد المتظاهرون من أية أسلحة. ولم تحدث مصادمات بين المتظاهرين والشرطة في المدن آلتي لم يتعرض فيها الجنود البريطانيون للجماهير[1]، وما حدث بعد ذلك من مصادمات يرجع إلى تفريق المظاهرات السلمية بالقوة والعنف. ولو أن المظاهرات تركت لكي تسير في طريقها لما سفكت الدماء ولما أزهقت الأرواح ولما أثارت السلطات ضد أهالي فلسطين على بريطانيا[2].

وقد استجابت الجماهير استجابة شاملة عميقة لنداءات اللجنة التنفيذية وتعليماتها وانخرطت الجموع في المظاهرات التي شطت جميع المدن الفلسطينية، مما يدل على أن الشعب الفلسطيني كان يثور بإمكانيات ثورية ومشاعر عميقة بالسخط على الانتداب البريطاني وسياسته الموالية للصهيونية التي تأكدت من خلال وقائع مادية ملموسة تحمل خطر الفناء القومي لهذا الشعب على شكل مهاجرين جدد ينتزعون الأرض والرزق والهوية القومية. ولكن كان الشعب الفلسطيني يفتقر في تلك المرحلة إلى القيادة التاريخية الملائمة، فقد كانت اللجنة التنفيذية العربية إفراز الواقع الفلسطيني في بداية العشرينات وكان من العسير على قيادة بهذا التكوين الفضفاض والقيادات الإقطاعية التي يحكم طبيعتها الطبقية أن تقود المسيرة القيادة الصحيحة التي تلتقي ومستوى الآمال الوطنية. لم يكن هناك تناقض أساس بينها وبين الاستعمار البريطاني ولذلك كانت تتعاون معه، وكانت تثق فيه، إلى أن اضطر نتيجة الضغوط الشعبية بسبب زيادة الهجرة وحوادث إجلاء الفلاحين عن أراضيهم نتيجة بيع الإقطاعيين لها واستخدام العنف في إجلاء الفلاحين وسقوط مزارعي وادي الحوارث برصاص الجند الإنجليز (فصار من الواجب اللازم توجيه الكفاح نحوهم، انهم بيدهم وحدهم التعديل والنقض والإبرام وقد كانوا أصل البلاء وظلوا كذلك)[3].

وقد عالجت الصحافة المصرية اضطرابات 1933 باهتمام يفوق اهتمامها بمتابعة أحداث البراق 1929. فقد كانت معظم الصحف المصرية وخصوصا المقطم والأهرام وكوكب الشرق تتابع تفاصيل المظاهرات واجتماعات اللجنة التنفيذية العربية وردود الفعل داخل فلسطين وخارجها من خلال مراسلين خصوصيين في القدس ويافا وحيفا. وقد كان يغلب على الأهرام الطابع الخبري، فقد انفردت بعدة تقارير وتحقيقات صحفية تعد وثائق تاريخية هامة لهذه الأحداث[4]. كذلك شاركتها المقطم، فقد كان مراسلها في فلسطين كريم ثابت يواليها بتحقيقات خبرية عن حالة فلسطين أثناء المظاهرات[5]، فضلا عن سلسلة المقالات التحليلية التي نشرتها بتوقيع نفس المحرر بعنوان (ماذا رأيت في فلسطين) وقد استغرقت عشرة أيام[6]. وقد اهتمت الأهرام بنشر خطب وبيانات الزعماء الوطنيين أثناء المؤتمرات الوطنية التي انعقدت قبل مظاهرات 11 أكتوبر سنة 1933 وأثناءها وبعدها. أما كوكب الشرق فهي

تنفرد عن بقية الصحف المصرية بنشر بيانات ونداء آت اللجنة التنفيذية العربية. وقد كرست صفحاتها لأقلام الكتاب الفلسطيني في مصر مثل آمين سعيد ومحمد علي الطاهر ولنشر بيانات وبرقيات اللجنة العربية الفلسطينية في مصر[7].

وقد استخدمت كوكب الشرق مختلف الأساليب الصحفية في معالجتها المظاهرات سنة 1933، فهناك التحقيقات الخبرية والمقالات التحليلية والتصريحات والبلاغات الرسمية فضلا عن الأخبار. ومن المقال السياسي كان له السيادة في كوكب الشرق وكذلك في معظم صحف هذه الفترة.

وقد انفردت المقطم وكوكب الشرق بتحليل أسباب الاضطرابات في حين اكتفت البلاغ بمتابعة أنباء المظاهرات ومتابعة محاكمة الزعماء العرب، وقد انفردت بنشر تحقيق صحفي شامل عن المحاكمة[8]، أما صحيفة السياسة فقد خصصت في شهر نوفمبر صفحة لكاملة بمناسبة وعد بلفور عالجت من خلال المقال والقصيدة والتعليق والخبر مأساة الشعب الفلسطيني في مواجهة الخطر الصهيوني والانتداب البريطاني، ونشرت بيانا موقعا باسم شبان فلسطين العرب في مصر يتضمن تحليلا تاريخيا لوعد بلفور ردور بريطانيا في تنفيذه. وتضمن هذا البيان نداء إلى العالمين الإسلامي والعربي بمناسبة وعد بلفور يستصرخ المسلمين والعرب لإنقاذ إخوانهم الفلسطينيين من نتائج تحقيق وعد بلفور[9].

تغطية أحداث 1933:

في 8 أكتوبر 1933 عقدت اللجنة التنفيذية العربية اجتماعا برئاسة موسى كاظم الحسيني.. . وجرى البحث في مسألة الهجرة: الصهيونية وبيع الأراضي وتليت فيه الاقتراحات التي وردت من لجنة مؤتمر الشباب وبعض أهالي القدس[10]، وبعد البحث والمداولات وجد المجتمعون أن سياسة الاحتجاجات ومقابلات الحكومة لم تجد نفعا، ولذلك تقرر بالإجماع ما يلي:

1-الإضراب العام والسير بالمظاهرات

2- أن يذاع على الآمة، القرار التالي:

وقد قررت اللجنة أن تدعو جميع أعضائها للاشتراك في هذه

المظاهرات، الحاضرين منهم والغائبين وتعلمهم أن كل من يتخلف عن الاشتراك في هذه المظاهرات سوف يعلن اسمه في الصحف المحلية لترى الآمة رأيها فيه. وقد وقع الأعضاء الذين حضروا الاجتماع على هذه القرارات وانفض الاجتماع(11).

وقد اشتمل البيان الذي أذاعته اللجنة التنفيذية على عدة قرارات منها أتعلان سخط الآمة العربية في فلسطين على عبث الحكومة البريطانية بحقوق أصحاب البلاد ودعوة الآمة إلى الإضراب برا وبحرا في جميع مدن فلسطين يوم 13 أكتوبر، وان تقام مظاهرة كبرى في القدس في ذلك اليوم يقودها رئيس وجميع أعضاء اللجنة التنفيذية.

وقد أعلنت حكومة الانتداب أنها لن تسمح بأي تجمعات أو مواكب تعرض البلاد للفوضى والخطر(12). ولكن خرجت المظاهرة في الموعد المحدد حيث هاجمتها الشرطة وقد اشتركت النساء العربيات في المظاهرة واصطدمت بهن الشرطة (وكن أشد جرأة وأقداما من رجالهن في وجه سلطات الانتداب)(13). وقد استخدم البوليس النار في قمع هذه المظاهرة مما أدى إلى سقوط عدد من القتلى في ساحة البوابة التي أطلقت عليها الجماهير فيما بعد ساحة الشهداء (14). واجتمعت اللجنة التنفيذية العربية في مساء نفس اليوم وقررت القيام بمظاهرة في يافا يوم27 أكتوبر على أن تستمر سلسلة المظاهرات حتى توافق الحكومة البريطانية على الطالب الوطنية(15).

مظاهرات عيد الفطر (يناير 1934):

أن سلسلة المظاهرات والإضرابات التي بدأت منذ أواخر أكتوبر واستمرت حتى بداية نوفمبر في معظم مدن فلسطين، والتي حوكم بسببها قادة الحركة الوطنية قد أحدثت تصدعا ظاهرا في الإدارة الانتدابية وبذرت بذور الشقاق بين الإدارة والبوليس. وقد ظهرت بوادر هذه الأزمة بوضوح عندما أعلنت اللجنة التنفيذية عن اعتزامها القيام بمظاهرات وطنية عامة في جميع أنحاء البلاد وذلك يوم عيد الفطر. حينئذ ارتأت إدارة على رأسها المندوب السامي أن يسمح بهذه المظاهرات كي لا تقع صداحات بين الشعب. والبوليس الجاهل، مما يتمخض عن نتائج أسوأ مما وقع في

المظاهرات الماضية[16]. ولكن البوليس وعلى رأسه مدير الآمن العام مستر سيايسر أصر على عكس ذلك زاعما أن التصريح يشجع العرب على المظاهرات ثم يشجع اليهود عليها فيختل النظام وتقع السلطة في ورطة المظاهرات، وأعلن كفاءة البوليس لقمع أي مظاهرة. وقال أن الشدة وليس التساهل هي التي تحفظ للسلطة هيبتها في البلاد[17]. وقد عرض الرأيان معا مع تقرير لجنة التحقيق في المظاهرات الماضية على وزير المستعمرات أثناء اجتماع المندوب السامي في مصر. وكان رأي وزير المستعمرات في جانب رأي الإدارة ضد رأي البوليس وسمح للمظاهرات أن تقوم واستقال مدير الآمن البريطاني احتجاجا على ذلك وأحدث ضجة كبيرة لدى الدوائر الصهيونية، فما كاد يعلن نبا سماح السلطة بالمظاهرات واعتزال مدير الآمن لوظيفته حتى شنت الصحف اليهودية حملة تناولت المندوب السامي والقاضي يوديلى ونعت على السياسة البريطانية ضمنها وانحناءها أمام العرب. وزعمت أن الإدارة البريطانية تهدف بهذا الموقف إلى (تخويف اليهود وكسر شوكة معارضتهم وتعويدهم على أن يتقبلوا بكل سكون ما سوف يجد من الأمور التي ستثقل على كاهل الشعب اليهودي وتعترض مشاريعه الصهيونية)[18].

وقد قام رئيس المجلس المحلي اليهودي بالقدس بمقابلة حاكم اللواء وبسط له مخاوف اليهود من المظاهرات العربية فطمأنه الحاكم وأفهمه أن المظاهرات ستسير حسب التعليمات والأوامر وان الحكومة قد اتخذت كافة الإجراءات لحفظ النظام والآمن[19].

ورغم أن العرب أكدوا أن المظاهرات لن تخرج عن غايتها وأنها ستبتدئ وتنتهي سلمية ما دام البوليس قد منع التعرض لها، فقد أصر البوليس على اتخاذ الإجراءات الشديدة والتحفظات للطوارئ فجيء بالمصفحات والرئاسات إلى كل مكان واستعين بالجيش، فملأ الدساكر والقرى وصدرت الأوامر للموظفين وللبوليس أن يكونوا في المراكز منذ السادسة صباح أول أيام عيد الفطر. وقد قامت المظاهرات في موعدها بعد صلاة العيد وشملت كل فلسطين[20].

ومما يسترعي الانتباه في هذه المظاهرات الشعبية المظاهرة التي قامت بها بلدة بيت لحم المسيحية والتي اهتمت كوكب الشرق بنشر تفاصيلها

كاملة لإبراز مظهر الوحدة الوطنية وتأكيدا لغلبة العامل القومي على العامل الديني في مسالة الصراع الصهيوني الفلسطيني.

انتفاضة القساة نوفمبر 1935:

قبل نهاية1935 كتب واكهوب المندوب السامي البريطاني في فلسطين إلى وزارة المستعمرات يقول أن ثلث القرويين قد أصبحوا بالفعل دون أراض يمتلكونها، كما أن عدد العمال العاطلين في المدن

اخذ في الازدياد، فضلا عن تصاعد السخط والاستياء من حكومة الانتداب لدى العرب في فلسطين. والواقع أن الهجرة اليهودية التي بلغت عام 1935 رقما قياسيا (60 ألف مهاجر) أحدثت ضغوطا إضافية على المؤسسات الصهيونية لشراء المزيد من الأراضي لاستيطان المهاجرين الجدد من اليهود. أشار واكهوب في نفس التقرير الذي قدمه إلى كتليف ليستر وزير المستعمرات البريطاني إلى أن عدد صفقات بيع الأراضي قد بلغ سنة 1934- 1178 صفقة بينها ما لا يقل عن 1116 صفقة لا تقل مساحة الأرض المباعة في كل منها عن 100 دون. ومعنى ذلك طرد آلاف من الفلاحين اخذ في الازدياد، فضلا عن تصاعد السخط والاستياء من حكومة الانتداب لدى العرب في فلسطين. والواقع أن الهجرة اليهودية التي بلغت عام 1935 رقما قياسيا (60 ألف مهاجر) أحدثت ضغوطا إضافية على المؤسسات الصهيونية لشراء المزيد من الأراضي لاستيطان المهاجرين الجدد من اليهود. أشار واكهوب في نفس التقرير الذي قدمه إلى كتليف ليستر وزير المستعمرات البريطاني إلى أن عدد صفقات بيع الأراضي قد بلغ سنة 1934 - 1178 صفقة بينها ما لا يقل عن 1116 صفقة لا تقل مساحة الأرض المباعة في كل منها عن 100 دون. ومعنى ذلك طرد آلاف من الفلاحين العرب بلا مورد رزق[21]. لان عمليات البيع كانت تتضمن شرط الحصول عليها خالية من الفلاحين العرب. وفي 16 أكتوبر سنة1935 اكتشفت شحنة من الأسلحة المهربة إلى اليهود في ميناء سافا. وقد كان اكتشاف هذه الشحنة دليلا على أن اليهود يتسلحون سرا وبتواطؤ من الحكومة. وقد أدى ذلك إلى إثارة الخواطر والفزع لدى العرب. أتسفر عن حملة شديدة شنتها الصحافة

العربية ضد الحكومة البريطانية وضد اليهود[22]. وفي أكتوبر1935 تشكلت لجنة من الأحزاب الفلسطينية ما عدا حزب الاستقلال قابلت المندوب السامي وقدمت له عريضة تتضمن المطالب الوطنية وهي تنحصر في مصادرة الأسلحة الموجودة في المستعمرات اليهودية واتخاذ التدابير الحازمة لمنع إدخال السلاح إلى اليهود عن طريق التهريب أو غيره وإنشاء حاميات من الشباب العربي لحراسة السواحل. وقد شنت الصحف اليهودية حملة عنيفة على هذه المطالب وحذرت الحكومة من احتمال الخضوع للضغوط العربية آو ما أسمته (الإرهاب العربي)[23]. وقد أصدر الحزب العربي الفلسطيني بيانا إلى العالم الإسلامي والعربي بمناسبة حادث تهريب السلاح أعلن فيه ما يلي: (أن الحكومة البريطانية المنتدبة ترى هذه المؤامرة تحاك منذ أتتين فتسهل لها تهريب السلاح من أيدي العرب بجميع الطرق المشروعة وغير المشروعة حتى تصل البلاد إلى ذلك الموقف الرهيب الذي يجد فيه كل عربي نفسه أعزل من كل سلاح في مقاومة اليهودي المدجج بجميع الأسلحة) إلى أن يقول (أن على آهل هذه البلاد المقدسة للإسلام والعروبة واجبين الأول أن يدافعوا عن هذه البلاد حتى الموت وهاهم اليوم يجابهون الموت والثاني أن يعلنوا للمسلمين ما حل في بلادهم المقدسة من الأخطار كي يهبوا لمساعدتهم)[24]. وقد قررت لجنة الأحزاب الفلسطينية الدعوة إلى إضراب شامل يوم 26 اكتوبر 1935 احتجاجا على عمليات تهريب الأسلحة، وبالرغم من أوامر الحكومة بالمنع فقد أضربت البلاد في اليوم المحدد وشمل الإضراب البلاد كلها وتناول جميع مرافقها، وتضامنت جميع الهيئات وانقطعت المواصلات طوال النهار بين المدن الفلسطينية كلها. وتوقفت أعمال البنوك وجميع المهن الحرة والمدارس. ويواصل مراسل كوكب الشرق في القدس وصف هذا الإضراب الذي لم تعهده البلاد من قبل من حيث شموله ونجاحه وعدم وقوع أحداث أو صدامات خلاله يقول: (لقد كان، الهدوء شاملا والناس منصرفين بكلياتهم إلى تحقيق فكرة الإضراب تحقيق شاملا من غير أن يعرضوا الآمن العام لآي قلق آو اضطراب. وكانت اللجان المختلفة تشرف أشرافا دقيقا على تنظيم الإضراب والهدوء وقد لجأ الصهيونيون إلى منازلهم فلم يبرحاها طيلة اليوم)[25].

في الوقت الذي أضربت فيه المدن الفلسطينية يوم 26 أكتوبر سنة1935-

كانت تجري استعدادات عسكرية لا مثيل لها وذلك بسبب الحرب الإيطالية الحبشية. والواقع أن هذه الاستعدادات كانت قد بدأت منذ أغسطس 1935 وما أن حلت نهاية أكتوبر حتى كان الإنجليز على أتم استعداد لمواجهة الطوارئ المحتملة[26] في هذا المناخ المشحون بالتوتر والاستعداد العسكري من جانب الحكومة البريطانية لمواجهة الخطر الإيطالي وما رافقه من تدهور المعنويات وفقدان الأمل لدى الفلسطينيين في احتمال أن تستجيب الحكومة للمطالب الوطنية بشان الهجرة وبيع الأراضي والحكم الذاتي، يضاف إلى ذلك كله عجز وجبن القيادة الوطنية التقليدية والأحزاب الفلسطينية عن أيجاد مخرج للحركة الوطنية التي أصبحت تدور في حلقة مفرغة من الاحتجاجات والمظاهرات والإضرابات السلمية-ولم يكن أمام الفلسطينيين بديل سوى اللجوء إلى العنف آو الثورة المسلحة.

وتمثل حلقة القسام إحدى حلقات الجهاد التي تكونت في بداية الثلاثينيات خارج الإطار التقليدي للحركة الوطنية الفلسطينية. وقد استطاع الشيخ عز الدين القسام بحكم ثقافته الأزهرية غير التقليدية (فقد تتلمذ على يد الأمام الشيخ محمد عبده)[27] وبحكم تمرسه في النضال ضد الاستعمار الفرنسي في سوريا من استخلاص عدة دروس حاول أن يفيد بها الحركة الوطنية في فلسطين. فقد كان مقتنعا بان تحرير فلسطين لن يتم من خلال (الأفنية)[28] على حد قوله وان أصحاب المصلحة في تحرير فلسطين هم أقل الطبقات ثراء آو أكثرها فقرا، ويتكون منهم الفلاحون الذين طردوا من ارافعيهم التي بيعت للصهيونيين والممال الذين أخرجوا من أعمالهم كي يشغلها عمال يهود. ولذلك توجه الشيخ القسام مباشرة إلى هذه الفئات يبث فيها الوعي ويرسم لها طريق الخلاص (كتاب الله في يد والبندقية في اليد الأخرى)[29]، وقد حدد لهم القسام العدو بوضوح كامل: الاستعمار البريطاني أولا ثم الصهيونية. وقد بدأت المرحلة الأولى لنشاط الشيخ القسام سنة 1928 وكانت تتكون المجموعة الأولى من بعض الجائلين والفلاحين. وقد حاول الشيخ القسام أن يحصل على موافقة المفتي على تعيينه ماذونا شرعيا في حيفا ولكن الحاج أمين الحسيني رفض عدة مرات. كان القسام يتطلع إلى هذا المنصب من أجل أن تتاح له حرية الحركة والانتقال بين الفلاحين والطبقات الكادحة. وقد استمر الشيخ

القسام في جهاده السري حتى أوائل عام 1935 حيث استطاع بمعاونة رفاقه تنظيم عملهم الثوري وتفسحه إلى فروع يختص كل منها بجزء من مسئوليات الثورة: فرع للدعاية والثاني يتولى التموين والثالث للعلاقات الخارجية والرابع للتدريب العسكري والخامس للرصد آو التجسس على اليهود والبريطانيين[30]. وقد عجلت الظروف السيئة التي سادت فلسطين سنة1935 بخروج القسام وصحبه من حيفا إلى الريف للعمل وسط الناجين والأعداد للثورة. وكانت السلطات البريطانية تراقب تحركات القسام ورفاقه. وقد خصصت لذلك عددا من رجال البوليس السري[31]. وهناك اختلاف بين المراجع على تحديد يوم خروج القسام من حيفا بعضهم يقول أن ذلك تم ليلة 12 نوفمبر سنة1935 وكان معه 25 من رجاله والبعض الآخر يرجح خروجه بعد الإضراب الكبير في 26 , 27 أكتوبر1935، كما لم يرد في الصحف المصرية أي إشارة إلى تاريخ خروج القسام من حيفا.

والخلاصة.. أن المواجهة التي تمت بين القسام ورفاقه مع القوات البريطانية لم تكن متكافئة وانتهت باستشهاد القسام بعد معركة باسلة خاضها باستبسال واستشهد فيها هو واثنان من رفاته وأسر خمسة آخرون وفر الباقون إلى الجبال. ولقد كان لاستشهاد القسام على هذه الصورة وقع أليم وحزين في جميع أنحاء فلسطين شيع جثمانه في حيفا بمظاهرة وطنية كبرى. وقد تفاوت اهتمام الصحف المصرية بحركة القسام. وكانت بعض الصحف (البلاغ وكوكب الشرق) تطلق عليها اسم العصبة المجاهدة، آما الصحف اليهودية المصرية فقد كانت تنعتهم بالأشقياء والقتلة الأشرار[32].

هذا وقد أدى المصلون في كل مساجد فلسطين صلاة الغائب على أرواح الشهداء، كما أرسل النحاس باشا زعيم مصر برقية إلى جمعية الشبان المسلمين بحيفا يعزيها في الشهداء. وقدم المجلس الإسلامي الأعلى إلى عائلة الشهيد عز الدين القسام عشرة جنيهات ولعائلات الشهداء زملائه خمسة جنيهات وقرر إرسال أبناء الشهداء إلى مدرسة دار الأيتام التابعة للأوقاف ليتعلموا على نفقة الأوقاف. وقد قامت كوكب الشرق بمحاولة ذكية لكشف الأساليب المغرضة التي لجأت أليها سلطات الانتداب لتشويه صورة الشيخ القسام في أذهان الجماهير وإظهاره في إطار متخلف غير

عصري كما لو كان درويشا آو رجل دين تائها في الغيبيات، فقد أعلنت سلطات الانتداب وهي التي كانت قد تولت نقل جثث الشهداء إلى حيفا انهم قد عثروا على حجاب في عمامة فضيلة الشيخ عز الدين هذا نصه: (أعوذ بالله من كيد الشيطان الرجيم في كل ما أنا عازم عليه، أعوذ بعزة الله وقدرته تفاديني تسبحانك رب العزة عما يصفونه وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين). وترد كوكب الشرق على هذه الفرية المغرضة تقول: (آن آهل حيفا جميعا يعرفون آن فضيلة الشهيد الشيخ عز الدين كان عدوا للاحجبة وللخرافات يحمل عليها حملات شديدة في محاضراته في المسجد وجمعية الشبان المسلمين وله تأليف سرد فيها فصولا حمل فيها على الذين يغررون بالسذج ويجعلون الحجاب من الأيمان فكيف حمل حجابا ذلك نصه في ساعته الأخيرة ؟ هل يريد الإنجليز آن يصوروه للشعب شيخ أحجب وتمائم بينما كلهم يعرفونه عالما من أجل العلماء أو ماذا)[33].

وقد تزعمت صحيفة الشمس اليهودية حملة هجوم شعواء على الشيخ القساة ورفاقه زاعمة انهم (لو كانوا أشقياء كما نعتهم الحكومة في بلاغها الرسمي لحفظوا للشعب العربي الكريم حسن سمعته ولصانوا له ضميره ولكنهم لم يكونوا ويا للآسف لصوصا يقطعون الطريق بل عصبة إرهابية مضطرمة مضطربة تقذف الحمم والنار والموت على شعب هادئ مسالم) [34]. وتحاول الصحيفة بخبث إيقاع القراء في مغالطات متعمدة وتشويه حقيقة القساة والحركة القسامية وإظهاره في صورة رجل الدين الوقور الذي هجر محرابية القدس (وخرج إلى الجبال والوديان القفار لا لوجه الله والوطن ولا لنصرة الدين والمسلمين بل ليغتال شباب اليهود الهادئين الآمنين)[35].

وهذه مغالطة مفضوحة من جانب الصحافة اليهودية في مصر. فالمعروف أن الشيخ القسام كان دائما يؤكد لتلاميذه بأن العدو الأساسي هو الاستعمار البريطاني ثم الصهيونية فالإنجليز هم الأصل والصهيونية الفرع. وتواصل الصحيفة مغالطاتها تقول: (أننا كنا نساير الصحف العربية في هذا العمل لو قامت عصابة الشيخ عز الدين تحارب الحكومة وجها لوجه آو لو حدث الاصطدام مع اليهود علنا وفي وضح النهار.. ولكن تختط هذه العصابة لنفسها خطة الغدر فتمكث بالجبال وتغتنم فرصة سدول الظلام وتغتال

الضعفاء، هذا العمل لا يعد غضبة للعرب والدين والوطن بلي حربا بحق الرب والدين والوطن يتبرءون من أبطال من هذا القبيل)[36].

والواقع أن انتفاضة القسام قد صاحبتها ظروف مد ثوري اجتاحت المنطقة العربية بأكملها واستمرت من 1935- 1937. ونلاحظ هنا التفاعل بين ما يحدث في فلسطين وأحداث العالم العربي. ومما لا شك فيه أن الانتفاضات الثورية في هذا القطر العربي أو ذلك أثرت على مسيرة الحركات الوطنية في باقي الأقطار العربية الأخرى. ويشير إلى هذا تقرير اللجنة الملكية لعام 1937 حين يقرر (أن ضغط اليهودية الأوروبية على فلسطين في تلك الفترة كان يرافقه في نفس التوقيت وبنفس الشدة تأثير الأحداث في الأقطار المجاورة. ففي شتاء 1935- 1936 شهدت المنطقة انبعاثا في النشاط الوطني وخصوصا في مصر وسوريا بحيث حقق أهدافه في فترة وجيزة)[37].

والمقصود بالانتفاضة الوطنية التي حدثت في مصر في نوفمبر 1935 الإضرابات والمظاهرات العنيفة التي اجتاحت القاهرة وغيرها من المدن وأدت إلى مصادمات مع قوات الآمن وسقوط قتلى وجرحى. كما أجبرت هذه الانتفاضة الأحزاب على تأليف جبهة وطنية في 10 ديسمبر1935 طالبت بإعادة دستور سنة 1923 والاعتراف باستقلال مصر استقلالا تاما. وإزاء الضغط الوطني من جانب الجماهير اضطرت بريطانيا إلى التفاوض مع زعماء الجبهة في مارس سنة 1936 وانتهت المفاوضات بالمعاهدة التي نصت على إنهاء الاحتلال العسكري البريطاني رسميا والموافقة على انضمام مصر إلى عصبة الأمم. وتعهدت مصر بوضع إمكانياتها تحت تصرف بريطانيا أثناء الحرب كما تعهدت بان لا تنتهج سياسة خارجية تتعارض مع مصالح بريطانيا. ورغم أن معاهدة سنة 1936 بشروطها التي تجعل استقلال مصر استقلالا شكليا فقد اعتبرتها الحركة الوطنية المصرية آنذاك نصرا كبيرا حققته. أما الانتفاضة في سوريا فقد بدأت بمظاهرة دمشق في 19 يناير سنة 1936 وتجددت في الأيام التالية على نحو اعنف، مما أدى إلى وقوع اصطداما دامية بين المتظاهرين والجيش الفرنسي، ثم تبلورت في إضراب عام حتى تنال البلاد حقوقها التي تلخصت في إعادة دستور الجمعية التأسيسية وإلغاء نظام الانتداب أتعلان استقلال سوريا. وقد امتد الإضراب إلى سائر مدن سوريا خصوصا حمص وحماة وحلب[38]، وانتهى هذا

الإضراب بعد حوالي خمسين يوما في مارس 1936 بعد أن تعهدت الحكومة الفرنسية بإعادة الحياة النيابية إلى سوريا وعقد اتفاق مع حكومة وطنية ينص على الاعتراف باستقلال البلاد. وفعلا جرت هذه المفاوضات الفرنسية الجانب الجماهير اضطرت بريطانيا إلى التفاوض مع زعماء الجبهة في مارس سنة 1936 وانتهت المفاوضات بالمعاهدة التي نصت على إنهاء الاحتلال العسكري البريطاني رسميا والموافقة على انضمام مصر إلى عصبة الأمم. وتعهدت مصر بوضع إمكانياتها تحت تصرف بريطانيا أثناء الحرب كما تعهدت بان لا تنتهج سياسة خارجية تتعارض مع مصالح بريطانيا. ورغم أن معاهدة سنة 1936 بشروطها التي تجعل استقلال مصر استقلالا شكليا فقد اعتبرتها الحركة الوطنية المصرية آنذاك نصرا كبيرا حققته. أما الانتفاضة في سوريا فقد بدأت بمظاهرة دمشق في 19 يناير سنة 1936 وتجددت في الأيام التالية على نحو اعنف، مما أدى إلى وقوع اصطداما دامية بين المتظاهرين والجيش الفرنسي، ثم تبلورت في إضراب عام حتى تنال البلاد حقوقها التي تلخصت في إعادة دستور الجمعية التأسيسية وإلغاء نظام الانتداب أتعلان استقلال سوريا. وقد امتد الإضراب إلى سائر مدن سوريا خصوصا حمص وحماة وحلب[38]، وانتهى هذا الإضراب بعد حوالي خمسين يوما في مارس 1936 بعد أن تعهدت الحكومة الفرنسية بإعادة الحياة النيابية إلى سوريا وعقد اتفاق مع حكومة وطنية ينص على الاعتراف باستقلال البلاد. وفعلا جرت هذه المفاوضات الفرنسية السورية بعد انتصار الجبهة الشعبية في الانتخابات الفرنسية (يونيو 1936) وانتهت بمعاهدة مقيدة أيضا ولكنها تضمنت اعتراف فرنسا باستقبال سوريا. وقد ساهم هذا الرصيد الوطني في كل من سوريا ومصر في خلق الإطار العام الذي جرت فيه ثورة 1936 في فلسطين. وكان هدا النشاط الوطني في القطرين العربيين عاملا في ثورة سنة 1936، ولكنه لم يكن حافزا لأن الحافز كان يكمن في السياسة البريطانية والممارسة الصهيونية المعادية للشعب الفلسطيني والتي كانت سبا لجميع انتفاضاته وهباته الوطنية في سنوات 1921، 1929، 1933.

الهوامش

(1) الجامعة الإسلامية/11/1933.
(2) كوكب الشرق 1933/11/1.
(3) محمد عزه دروزه-الحركة العربية الحديثة-القدس 1937 ص 97.
(4) الإهرام 33/11/1, 1933/10/17, 1933/10/3 انظر 1933/10/28.
(5) المقطم 1933/10/29, 11/1.
(6) المقطم 1933/11/6, 1933/11/8, 1933/11/12.
(7) كوكب الشرق 1933/11/2.
(8) البلاغ 1933/11/6, 1934/3/22.
(9) السياسة 1933/11/2.
(10) الأهرام 1933/3/29 سياسة اللاتعاون في فلسطين.
(11) كوكب الشرق 1933/10/22 اللجنة التنفيذية تقر القيام بالمظاهرات.
(12) كوكب الشرق 1933/10/11.
(13) أميل الغوري: المؤامرة الكبرى. اغتيال فلسطين وحق العرب ص 73.
(14) المصدر السابق ص 213 أنظر الملحق رقم (29).
(15) الأهرام 1933/10/28 حوادث خطيرة في فلسطين.
(16) الأهرام 1933/10/28.
(17) كوكب الشرق 1933/10/31.
(18) البلاغ 1934/1/19.
(19) المصدر السابق.
(20) إسرائيل 1934/1/20.
(21) كوكب الشرق 1934/1/24.
(22) الكيالي-مصدر سابق ص 290، المقطم 8/12/1934.
(23) المقطم 22/10/1935.
(24) البلاغ 5/11/1935، المقطم 24/10/1935.
(25) كوكب الشرق 27/10/35- رسالة عرب فلسطين إلى إخوانهم المسلمين المصدر السابق.
(26) المقطم 17/9/1935, 17/10/1935.
(27) صبحي ياسين المصدر السابق ص 27، عبد الوهاب الكيالي ص 295.
(28) كامل خله-المصدر السابق.
(29) عبد الوهاب الكيالي-الصدر السابق.
(30) إسرائيل 2/12/1935، الشمس 28/11/1935.
(31) كوكب الشرق 29/11/1935 العصبة المجاهدة في فلسطين.
(32) الأهرام 20/12/1935.

(33) كوكب الشرق 29/11/1935.
(34) المصدر السابق.
(35) الشمس 28/11/1935- ليتهم كانوا أشقياء.
(36) المصدر السابق.
(37) أتميل توما-مصدر سابق.
(38) المصدر السابق.

مصر والثورة الفلسطينية
الكبرى ١٩٣٦

بدأت الثورة بإعلان العرب الإضراب العام إظهارا لسخطهم على فتح باب الهجرة إلى فلسطين على مصراعيه وما ترتب عليه من ضياع حقوقهم، ولكن الحكومة البريطانية لجأت إلى مواجهة الموقف أقص درجات العنف والشدة أعلنت الأحكام العرفية لعلها تعيد الآمن والهدوء إلى البلاد. وقد ظهرت أول مرة خلال هذه الثورة فكرة التقسيم، إذ أرسلت الحكومة البريطانية عام 1936 لجنة تحقيق ملكية عرفت باسم لجنة بيل وبعد دراسة طويلة اقترحت اللجنة حلا أساسيا لمشكلة فلسطين هو تقسيمها إلى ثلاث مناطق هي:

1- دولة يهودية تمتد على الساحل من حدود لبنان إلى جنوب يافا.

2- دولة عربية في الأجزاء الباقية وتضم شرق الأردن.

3- منطقة انتداب بريطاني دائم تشمل الأماكن المقدسة والقدس.

وقد اشترطت اللجنة على كل عربي يبيع أرضه لليهود أن يحتفظ منها بالقدر الذي يقيم أوده وأود آسرته-وبخصوص الهجرة أشارت اللجنة بضرورة وضع حد أتقصى لعدد اليهود الذين يسمح بدخولهم فلسطين كل عام[1].

هذا وقدمت بريطانيا مشروعها إلى عصبة الأمم فوافقت عليه، ومن العرب الذين لم يوافقوا على مبدأ التقسيم نهضوا لمقاومة المشروع فتجددت الثورة سنة 1938.

وإذا كان لم يقدر للشعب المصري أن يضع إمكاناته وخبراته لمساندة الشعب العربي في فلسطين في فترة ما قبل الثورة وذلك بسبب انشغاله بالنضال الوطني من اجل استقلال مصر فان الفرصة قد واتته وبصورة فعالة، وان كان ذلك قد تم بشكل فردي فلقد تكونت خلال النصف الأول من الثلاثينات عصبة الشيخ عز الدين القسام التي رفعت راية المقاومة المسلحة في وجه بريطانيا. وقد شارك أحد المصريين ويدعى حنفي عطية

في انتفاضة القسام واستشهد معه. وكان حنفي عطيه أحد المصريين الذين كانوا يعملون في سكة حديد حيفا. ومن الغريب أن الصحف المصرية لم تتفق على تحديد اسمه[2]. كذلك فان الإضراب العربي الكبير الذي حدث في فلسطين في أبريل 1936 بدا بمقتل عربيين كان أتحدهما مصريا أثناء زيارته أتحد أصدقائه الفلسطينيين. وقد كان لهذا الإضراب وما تخلله من أعمال ثورية أثاره البائرة والملموسة على مصر الشعبية والرسمية، فكانت الجمعيات الإسلامية مثل الشبان المسلمين والأخوان المسلمين ورجال الدين وطلبة الجامعات والاتحاد النسائي المصري أكثر الهيئات استجابة ومساندة للثورة الفلسطينية.

رد الفعل الشعبي وموقف الأحزاب المصرية من الثورة

قام الشبان المسلمون بتشكيل لجنة عليا لإغاثة منكوبي فلسطين، وكانوا يصدرون البيانات وينظمون المحاضرات وقد لعب رئيسهم الدكتور عبد الحميد سعيد دورا كبرا في تعبئة الرأي العام المصري لصالح الثورة الفلسطينية. وقد بلغ اهتمامه حدا وصل إلى حد تقديم استقالته من الحزب الوطني في يوليو 1936 من اجل التفرغ لخدمة الشئون الإسلامية التي كانت القضية الفلسطينية تتصدرها في تلك المرحلة.

أما الأخوان المسلمون فقد قاموا بتعبئة الجماهير من خلال شعبهم المختلفة في أنحاء البلاد. كما ساهموا في جمع الأموال من أجل فلسطين[3].

وفيما يتعلق بنشاط الهيئات الإسلامية الأخرى في هذا المجال فقد ركزت جمعيتا تضامن العلماء والهداية الإسلامية على عقد الاجتماعات المتواصلة في مختلف المدن المصرية مع الاستمرار في حملة التبرعات من اجل المجاهدين الفلسطينيين.

وبالنسبة للحركة الطلابية المصرية فقد اجتمع طلبة جامعتي فؤاد الأول (القاهرة) والأزهر وشكلوا لجانا لمساندة الثورة الفلسطينية. ولم يتخلف القطاع النسائي عن الركب. إذ اجتمع الاتحاد النسائي المصري في يمنيو 1936 لبحث الحالة في فلسطين واتخذ عدة قرارات هامة لمسانده القضية الفلسطينية تتركز حول افتتاح اكتتاب عام وتشكيل لجنة لجمع التبرعات مع إرسال برقيات احتجاج إلى سلطات الاحتلال البريطاني ومناشدة نساء

العالم مساندة القضية والدعوة إلى إيقاف الهجرة اليهودية. وكانت السيدة هدى شعراوي تعتزم بناء على تفويض لجنة السيدات العربيات بالقدس عرض قضية فلسطين على مؤتمر السلم العالمي الذي انعقد في بروكسل في سبتمبر 1936 لكنها اضطرت إلى العودة من أوروبا قبل عقد المؤتمر فقامت بهذه المهمة من خلال مراسلة المؤتمر.

أما موقف الأحزاب المصرية من الثورة الفلسطينية فتتلخص فيما يلي: حزب الوفد ممثل الحركة الشعبية آنذاك وكان يرأسه مصطفى النحاس الذي كان ولراس الوزارة في المرحلة الأولى من الثورة تجسد موقفه الشعبي فقط في التبرع بأربعين جنيها لعرب فلسطين من جيب النحاس شخصيا[4]. وبالنسبة للحزب الوطني فلم يكن يبدي اهتماما ملموسا بالقضية الفلسطينية في تلك الفترة وكانت المسالة الوطنية والمسائل الداخلية في مصر تستغرق اهتمامه تماما لدرجة أنه عند مراجعة إحدى الخطب السياسية التي ألقاها حافظ رمضان رئيس الحزب في 14 أغسطس 1936 تبين لنا غياب القضية الفلسطينية تماما عن أذهان قادة الحزب في الوقت الذي كانت الثورة الفلسطينية في ذروة اشتعالها[5].

وهناك بعض المبادرات الفردية التي عبرت عن المشاعر الشعبية إزاء الأوضاع المضطربة في فلسطين وأبرز هذه المواقف ما حدث من جانب أحد أبناء الإسكندرية الذي قام بتوزيع منشورات بعنوان: «دقي يا طبول الجهاد الثائرة» دعا فيه أبناء الإسكندرية إلى مساندة الشعب العربي في فلسطين، وقد استدعته الشرطة ومنعته من الاستمرار في هذا العمل. وأغلب الظن أنه كان يمثل إحدى التنظيمات الشعبية ذات النشاط السري[6].

كذلك عبر بعض الشعراء المصريين عن تعاطفهم مع الشعب الفلسطيني أثناء الثورة.

هذا وقد نبه الأمير عمر طوسون المندوب السامي البريطاني في فلسطين إلى خطورة النتائج المترتبة على ما يجري في فلسطين في ذلك الوقت مناشدا إياه سرعة العمل على حسم الموقف[7]، وذلك رغم عدم وضوح أبعاد الصراع الفلسطيني الصهيوني في ذهن الأمير، إذ انه رفض تحويل التبرعات الخاصة بلجنة مساعدة الحبشة إلى فلسطين على أساس أنها جمعت من أناس ينتمون إلى ديانات وجنسيات متعددة بينما الصراع في

فلسطين بين اليهود والمسلمين، ولذلك فان المعركة تخص المسلمين وحدهم[8].

وفي يوم 17 يونيو 1936 احتفلت مصر بيوم فلسطين وقد اختارته اللجنة العليا لإغاثة منكوبي فلسطين بمناسبة مرور ستين يوما على إضراب فلسطين، فلم يكد يطلع الصباح حتى كانت لجان الإعانات قد بدأت طوافها بالقاهرة وسائر المدن لجمع التبرعات.

كما احتفلت اللجنة العليا لإغاثة فلسطين يوم 29 يوليو 1936 بمرور مائة يوم على الإضراب وقد تم هذا الاحتفال بمقر الشبان المسلمين بالقاهرة حيث حضره كبار رجال الدولة وعلى رأسهم رئيس مجلس الشيوخ المصري والدكتور عبد الحميد سعيد الذي كان يرأس الاحتفال. وقد وجه بيانا إلى ملوك المسلمين وأمرائهم أوضح لهم مهام اللجنة وأهدافها وناشدهم المشاركة والإسراع بالعمل على حماية الأماكن المقدسة بفلسطين ومنح عطفهم ورعايتهم لقضية المسلمين والعرب في فلسطين[9].

وقد آثار صدور تقرير اللجنة الملكية للتحقيق موجة عامة من السخط الشعبي تمثلت في عقد العديد من الاجتماعات وإرسال برقيات الاحتجاج والاستنكار لمشروع التقسيم. وعقدت اللجنة التنفيذية للدفاع عن فلسطين اجتماعا أكدت فيه رفضها لمقترحات اللجنة الملكية. وقد تميزت هدى شعراوي بموقف مبادر إذ أرسلت خطابا إلى مصطفى النحاس تطالبه بالإفصاح عن موقف الحكومة المصرية أسوة بالحكومات العربية الأخرى وتحثه عن اتخاذ موقف إيجابي لمساندة شعب فلسطين[10]. كذلك أترسل محمد محمود باشا زعيم المعارضة ورئيس حزب الأحرار الدستوريين آنذاك برقية إلى عرب فلسطين يؤكد تضامن المصريين معهم ورفض مشروع التقسيم. وكان بيان مصر الفتاة من أشهر البيانات التي استنكرت التقسيم حيث نبهت إلى الأخطار التي يحملها مشروع التقسيم بالنسبة لمصر وطرحت مقابل ذلك ضرورة السعي لخلق تحالف عربي قومي.

كذلك استنكرت جماعة (الأخوان المسلمين) مشروع التقسيم أعلنت عن وقوفها إلى جانب المجاهدين المدافعين عن حقوقهم وحقوق المسلمين في الأرض المقدسة.

أما سائر الهيئات الشعبية مثل مؤتمر الطلبة العرب بمصر ولجنة السيدات المسلمات واتحاد طلاب الجامعة واتحاد طلاب الأزهر فقد قامت

بمظاهرات ضخمة للأعراب عن استنكارها للتقسيم وتأييدها للشعب الفلسطيني[11]. ومما يجدر الإشارة إليه الوفد الذي تم تشكيله من أهالي بور سعيد والإسماعيلية والذي التقى باللورد بيل رئيس لجنة التحقيق الملكية عندما كانت اللجنة في طريق عودتها إلى إنجلترا بعد انتهاء مهمتها في فلسطين. وقد قدم الوفد إلى اللجنة مذكرة مكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية وموقعا عليها من أهالي بور سعيد تتضمن مشاعر الشعب المصري تجاه شقيقتهم فلسطين وتعبر عن تأييدهم الكامل لمطالب الشعب الفلسطيني[12].

رد الفعل الرسمي إزاء الثورة

أما عن موقف مصر الرسمي خلال الإضراب وإثناء المرحلة الأولى من الثورة والتي دامت ستة أشهر كاملة فلم يصدر أي بيان أو تصريح رسمي يتعلق بهذه الأحداث سوى أن حمد الباسل باشا قدم اقتراحا إلى مجلس النواب يطلب إصدار بيان يتضمن الإعراب عن مشاعر الأسف إزاء الأحداث المحزنة التي تجري في فلسطين ويبدي تعاطفه مع الأمة الفلسطينية التي ضحت بأعز أبنائها من أجل الحياة الكريمة ويرجو أن تنتهي هده الحالة وفقا لمبادئ العدل والإنصاف. وقد وافق المجلس بالإجماع على هذا الاقتراح، كذلك وافق مجس الشيوخ على اقتراح مماثل قدمه الشيخ عباس الجمل بعد ذلك بأسبوع[13]. هذا وقد أشارت إحدى الوثائق البريطانية إلى أن مصطفى النحاس أبدى رغبته للمسئولين البريطانيين في التوسط لتسوية المسالة الفلسطينية لكن رغبته لم تجد صدى لديهم[14]. وأوضح النحاس موقفه من الأحداث الجارية في فلسطين في العام التالي في مجلس الشيوخ وذلك من خلال رده على الاستجواب الذي قدمه الدكتور حسين هيكل عن سياسة الحكومة إزاء الوضع في فلسطين. وقد أكد النحاس مدى حرص مصر على استمرار العلاقات الطيبة مع فلسطين وان الحكومة المصرية تتابع باهتمام ما يجري هناك وسوف تتخذ الإجراءات الملائمة في الوقت المناسب. واقتصر حديثه على تلك المعاني العامة والتي تؤكد ما أشارت إليه الوثائق البريطانية من اتصال النحاس بالمسئولين البريطانين بشان فلسطين. ولكن من الواضح أن موقف الحكومة المصرية سواء أثناء فترة الإضراب أو

بعدها يعكس مدى حرصها على عدم الإساءة لعلاقاتها مع بريطانيا خصوصا بعد توقيع معاهدة 1926. وقد عبر عن ذلك أحمد حافظ عوض صاحب جريدة كوكب الشرق الذي قال (إننا لا نحب أن نكون في فلسطين ثورة ضد بريطانيا حليفتنا كما إننا لا نحب أن يفتك الإنجليز بإخواننا العرب في فلسطين)[15].

ومما يؤكد هذا الاتجاه التصريح الذي أدلى به محمود بسيوني رئيس مجلس الشيوخ المصري في ذلك الحين أثناء الحفل الذي أقامته له جمعية الهداية الإسلامية وأثير فيه موضوع الثورة الفلسطينية، فأشار رئيس مجلس الشيوخ في خطبته إلى مدى الاعتزاز الذي يكنه المصريون لإخوانهم الفلسطينيين واعتراف بالتقصير نحوهم وطالب بضرورة إنصافهم والعطف على منكوبيهم[16].

وفي 11 نوفمبر 1936 وصلت لجنة التحقيق الملكية برئاسة ايرل بيل إلى فلسطين للتحقيق في أسباب الانتفاضات التي قامت بفلسطين وكي تتوصل إلى صبغة ملائمة لتنفيذ صك الانتداب في فلسطين مع مراعاة التزامات بريطانيا نحو العرب ونحو اليهود. وقد أثار صدور تقرير اللجنة الملكية نقمة عربية شاملة وأرسلت اللجنة العربية العليا البرقيات إلى ملوك العرب ورؤسائهم تطالبهم بالسعي لإنقاذ فلسطين. وكان تصريح مصطفى النحاس في مجلس الشيوخ أول بيان رسمي يؤيد عرب فلسطين ويتعهد بالعمل من اجل تحقيق مطالبهم[17]. وقد أرسل النحاس بوصفه زعيما لحزب الوفد مذكرة إلى الحكومة البريطانية طالب فيها بإيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية مؤكدا أن مصر لن تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي تجاه ما يجري في فلسطين. وتشر إحدى الوثائق البريطانية إلى أن مصطفى النحاس قد تحدث مع السير مايلز لزميسون في 25 يوليو 1937 بشان مشروع التقسيم الذي ورد في تقرير اللجنة الملكية وأعرب عن أسفه واستنكاره لهذا المشروع، كما عبر عن قلقه إزاء احتمال وجود دولة يهودية مجاورة لمصر ونبه إلى أن الحل الوحيد هو العمل على أيجاد دولة عربية مستقلة ومتحالفة مع بريطانيا. كما طالب بتقييد الهجرة اليهودية إلى فلسطين بالشكل الذي يؤدي إلى اقتلاع أصحاب الأرض الأصليين من جذورهم. وقد طالب النحاس الحكومة البريطانية بضرورة التأني في تنفيذ مشروع التقسيم الذي اعتبره سياسة

مشئومة. ورغم هذا الموقف الذي يتسم بقدر كبير من التعاطف والإحساس بالمسئولية القومية من جانب زعيم الوفد المصري إزاء القضية الفلسطينية فمن الغريب أن مصطفى النحاس قد رفض من ناحية أخرى فكرة العمل المشترك مع الدول العربية لحل القضية الفلسطينية مما سهل الأمور كثيرا للحكومة البريطانية الطلاق يدها في فلسطين[18].

أما فيما يتعلق بموقف مصر الرسمي من مشروع التقسيم فلم يصدر تصريح رسمي يستنكر التقسيم ويعلن تأييد الحكومة المصرية لحقوق الفلسطينيين. ورغم أن النحاس ظل يؤكد أن المفاوضات جارية مع بريطانيا حول المسألة الفلسطينية آلا أن ذلك لم يسفر عن نتائج محددة في هذا الصدد. وقد تسبب الموقف المصري الرسمي في إحراج الجالية المصرية بفلسطين. ولكن لم يدم هذا الموقف طويلا إذ سرعان ما شاركت مصر في المؤتمر العربي العام في بلودان في سبتمبر 1937 حيث انتخب محمد علي علوبة رئيسا للمؤتمر. كذلك قامت مصر بدور ملحوظ في مؤازرة الوفد الفلسطيني عند عرض القضية على عصبة الأمم ولم تلبث الحكومة المصرية أن أعلنت عن رفضها لمشروع التقسيم في خطاب قوي ألقاه واصف غالي وزير الخارجية المصرية أمام عصبة الأمم[19]. وقد كان لهذا الموقف صدى عميقا في نفوس الشعب العربي في فلسطين عبرت عنه الصحف الفلسطينية. وعندما استأنفت الثورة في فلسطين في منتصف أكتوبر 1937 ازداد اهتمام مصر وحماسها للثورة الفلسطينية. وفي أول فبراير 1938 تحرك نواب مصر تحركا جماعيا من اجل فلسطين: فقد أرسل فريق كبير من نواب مصر وشيوخها احتجاجا إلى السفير البريطاني في مصر استنكروا فيه أعمال بريطانيا في فلسطين وطالبوا بضرورة أيجاد حل عادل للقضية يقوم على أساس الاعتراف بحقوق الشعب العربي بفلسطين[20]. كما قام محمد محمود باشا رئيس الوزراء المصري في ذلك الوقت بأجراء اتصالات مع وزير المستعمرات البريطاني بشأن التوصل إلى حل للقضية الفلسطينية. وقد اقترح لتحقيق ذلك عقد مؤتمر يجمع بين العرب واليهود من أجل التوصل إلى تسوية نهائية لهذه المشكلة. وقد أعرب رئيس الوزراء المصري عن اسفه للإجراءات التي قامت بها بريطانيا ضد القادة الوطنيين في فلسطين كما طالب بضرورة إيقاف الهجرة اليهودية أثناء عقد المؤتمر

المقترح، ولكن وزير المستعمرات البريطاني لم يشاركه الثقة في إمكانية نجاح مثل هذا المؤتمر(21).

هذا وقد شاركت مصر في مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن في فبراير 1939 وكان أول مؤتمر رسمي تشترك فيه الحكومة. المصرية من أجل فلسطين. وقد كان علي ماهر المتحدث الرسمي باسم الوفود العربية كلها. وعندما أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض لعام 1939 كان من رأي محمد محمود باشا قبول هذا الكتاب. وقد حاول إقناع القيادات الفلسطينية بذلك ولكنه لم يوفق مما اضطره إلى رفض المشروع(22).

موقف الصحافة المصرية من الثورة

لقد تباينت اتجاهات الصحف المصرية إزاء الثورة الفلسطينية وذلك طبقا لمواقعها الفكرية وانتماءاتها السياسية والقومية فكان بعضها يكتفي بنشر البلاغات الرسمية البريطانية عن أحداث الثورة آو نشر برقيات وكالات الأنباء الأجنبية الموالية للصهيونية، وأبرز مثال لذلك صحيفة المقطم التي كانت تمتنع عن نشر بيانات اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة. وهناك صحيفة الأهرام التي كانت تتخذ موقفا سلبيا تظاهرا منها بالحياد. وكانت تحاول إضفاء الطابع الإنساني على رؤيتها للقضية الفلسطينية ولذلك حاولت أن تقيم الثورة تقييما إنسانيا حياديا. ويمكن آن نعزو أسباب ذلك إلى الحرص على عدم إغضاب بريطانيا باعتبارها أتحد الأطراف الرئيسية في الصراع الدائر في فلسطين، وخصوصا أن المفاوضات المصرية البريطانية التي انتهت بتوقيع معاهدة 1936 كانت آنذاك في ذروة تواصلها. وهناك سبب آخر هو ارتباط بعض هذه الصحف بشركة الإعلانات الشرقية التي كان يسيطر عليها كبار الرأسماليين اليهود في مصر. وقد كانوا يمارسون سيطرتهم على كل ما ينشر بخصوص الصراع العربي الصهيوني في فلسطين. وقد أعرب بعض الكتاب والمفكرين المصريين عن استنكارهم للموقف الذي اتخذته تلك الصحف والذي يعكس تجاهلها المتعمد لأحداث الثورة الفلسطينية الفلسطيني وكان من ابرز هؤلاء الكتاب عبد القادر آلماني والدكتور حسين هيكل بهيكل حيث نشر عدة مقالات تضمنت توجيه اللوم الشديد آلي بعض الصحف المصرية التي أبدت تخاذلا وسلبية إزاء ما يدور في فلسطين(23).

وقد اختلف الآمر كثيرا بالنسبة للصحف الحزبية التي عبرت بأشكال متفاوتة عن مواقف أحزابها من الثورة الفلسطينية، فنلاحظ أن جريدة المصري لسان حال حزب الوفد لم يتح لها معاصرة الإضراب الكبير الذي بدأ في 20 أبريل 1936 ولا العصيان المدني الذي بدا في 15 مايو من نفس العام، وكذلك لم تعاصر معارك المائة يوم وان أتيح لها فرصة تغطية الفترة الأخيرة من الإضراب الكبير ويرجع ذلك إلى صدورها في بداية شهر أكتوبر 1936. ولما كانت نهاية الإضراب الكبير قد أرخ لها في 12 أكتوبر 1936 فان «المصري» قامت بتغطية نهاية هذا الإضراب. وتمثلت التغطية الصحفية في مجموعة من الأخبار والبرقيات الواردة من القدس ولندن وجنيف وكلها تتحدث عن انتهاء الإضراب. ولكن مما يجدر الإشارة إليه أن المعاهدة المصرية البريطانية التي وقعت في 1936 كانت الشغل الشاغل للصحيفة الوفدية. وقد اقتصرت معالجات «المصري» لأحداث الثورة الفلسطينية على الجانب الخبري إذ أن مقالاتها كانت مخصصة للحديث عن الأوضاع الداخلية في مصر. وقد قامت صحيفة المصري بتغطية مؤتمر بلودان الذي عقد في سبتمبر 1937 ونشرت عدة صور لأقطاب المؤتمر. ومن الغريب أن هذه الصحيفة «المصري» قد اقتصرت على نشر خبر قصير في تغطيتها للمرحلة الثانية من الثورة التي بدأت بإضراب القدس في أكتوبر 1937. كذلك التزمت المصري بنفس المنهج الخبري في متابعتها للأوضاع الداخلية في فلسطين التي تمثلت في الإضرابات وحالات التمرد، موضحة موقف الأطراف المعنية مع التركيز على الشخصيات الوطنية الفلسطينية. وقد تصدت صحيفة المصري للرد على بعض الشخصيات المصرية التي حاولت محاربة الوفد المصري باستغلال القضية الفلسطينية كوسيلة للدعاية لأنفسهم والهجوم على الوفد وكانت تشير إلى محمد علي علوبه باشا ومحمد حسين هيكل[24]. وكانت المصري تخصص عمودين من صفحتها الرابعة لمتابعة أخبار فلسطين.

ومما يثير الدهشة أن حادثا هاما مثل مؤتمر قادة الثورة الفلسطينية الذي عقد في أغسطس 1938 لم تشر إليه المصري على الإطلاق.

هذا بينما تبدي المصري اهتماما ملحوظا بمؤتمر القاهرة الذي عقد في يناير 1939 لبحث القضية الفلسطينية ومؤتمر لندن الذي عقد في

مارس من نفس العام. وتنشر المصري في صدر صفحتها الأولى خطبة النحاس في وفد المجاهدين الفلسطينيين الذين زاروا مصر في يناير 1939 تحت عنوان (قضية فلسطين حقة وعالة وحلها يسير). وتتابع الجريدة أنباء مؤتمر القاهرة التحضيري وتتحدث عن نجاحه وذلك في شكل تقرير إخباري يخلو من التعليق، أما مؤتمر لندن فقد تابعت المصري أنباءه في الصفحات الأولى. وحين تحتل أنباء الكتاب الأبيض الذي تعتزم الحكومة البريطانية تقديمه بصدد القضية الفلسطينية صفحات الصحف تنشر المصري في صدر صفحتها الأولى في 16 مايو 1939 مقالا تهاجم فيه السياسة البريطانية في فلسطين وتتهمها بأنها تعمل على البقاء فيها إلى الأبد. وتصف الصحيفة المقترحات بأنها لا تحقق شيئا من آمال العرب القديمة ولا ترد إليهم حقوقهم المقدسة التي دفعوا ثمنها غاليا من دماء ضحاياهم الطاهرة[25].

كما توجه الصحيفة نقدا قاسيا لموقف الحكومة المصرية التي اكتفت باتخاذ موقف الوسيط لحمل الحكومات العربية على قبول وجهة النظر البريطانية، وتعزو الصحيفة فشل مؤتمر لندن إلى موقف الحكومة المصرية منه. وتنتهز الصحيفة هذه الفرصة كي تعقد مقارنة بين موقف الحكومة المصرية التي كان يرأسها آنذاك محمد محمود باشا من القضية الفلسطينية وذلك الموقف الذي اتخذته وزارة النحاس باشا الذي أقسم بالالتزام ومساندة القضية الفلسطينية. وقد أولت «المصري» اهتماما كبيرا لموضوع الكتاب الأبيض وحرصت على نشر مقتطفات من الصحف البريطانية وردود فعل الساسة العرب والإنجليز، كما فندت الكتاب الأبيض وعرضت المقترحات التي يتضمنها عرضا نقديا مفصلا.

آما صحيفة الأخوان المسلمون لسان حال جماعة الأخوان المسلمين فقد اهتمت بنشر أخبار المعارك وتفاصيل سفر أفواج المتطوعين بالإضافة آلي نشر قوائم التبرعات. وكانت تنشر أنباء المعارك ضمن الأبواب الخاصة بالدعوة الإسلامية. وكانت جريدة الأخوان المسلمين تدعو العرب في مصر وفلسطين إلى مواجهة الخصوم الدينيين، وتقصد بهم اليهود، بسلاح الأيمان بالحق. وكانت تركز على الأهمية الدينية لفلسطين وان الفلسطينيين ليسوا آلا حراسا للمقدسات الإسلامية. وقد نشرت جريدة الأخوان المسلمين

نداء من مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين بالقاهرة إلى شعب الجماعة بالقطر المصري والشعوب الإسلامية عامة أوضحت فيه قلقها بسبب الحوادث التي كانت تجري في فلسطين وتهيب بالشعوب العربية مسلميها ومسيحييها أن يمدوا يد العون لفلسطين المجاهدة الباسلة. ثم تذكر أهم القرارات التي اتخذتها جماعة الأخوان المسلمين في هذا الصدد مثل تأليف لجنة مركزية من الأخوان لتلقي التبرعات وإرسال بر قوية احتجاج آلي المندوب السامي البريطاني في فلسطين وإرسال برقية تأييد ومساندة لقادة الثورة الفلسطينية. وتوالي جريدة أخوان المسلمين نداءاتها لنصرة الشعب الفلسطيني مذكرة القراء بالدور البطولي الذي يقوم به أبناء فلسطين لدفع الشر في إخوانهم الشرقيين، فضلا عما يقومون به في حراسة المقدسات نيابة عن أربعمائة مليون مسلم. وتوجه الصحيفة لومها إلى العالم الإسلامي في افتتاحية تخصصها للحديث عن اليوم الخامس عشر بعد المائة بمناسبة مرور مائة يوم على الإضراب الكبير في فلسطين. وتشير الأخوان المسلمون إلى تقصير العالم الإسلامي في مد يد العون إلى الشعب الفلسطيني وتحثهم على تعويض ما فات. وقد كانت هذه الافتتاحية موقعة بإمضاء حسن ألبنا المرشد العام لجماعة الأخوان المسلمين. كذلك تواصل الصحيفة الإشادة ببطولة الثوار الفلسطينيين والتذكير بتضحياتهم والتنديد بالسياسة البريطانية في فلسطين وذلك في عدة افتتاحيات شغلت الصفحات الأولى من الصحيفة حتى نهاية عام 1936[26].

وبالنسبة لصحيفة مصر الفتاة لسان حال حزب مصر الفتاة فقد اهتمت بالتغطية الخبرية لأنباء المعارك وسفر أفواج المتطوعين من كتائب مصطفى الوكيل وعمليات الإرهاب التي قام بها الصهاينة في فلسطين. وكذلك أولت اهتماما بارزا لأنباء استشهاد المناضلين العرب في فلسطين وتشييع جنازاتهم. وقد حرصت الصحيفة على تعزيز أخبار المعارك والتطوع بتحقيقات مصورة. واهتمت مصر الفتاة في معظم الأحاديث الصحفية التي قامت بأجرائها مع كبار الشخصيات المصرية والعربية بشأن الأحداث التي تجري في فلسطين بالتركيز على أبرز مدى اتفاقهم مع خط مصر الفتاة ورؤيتها الخاصة للقضية الفلسطينية ككل. ومن أمثلة ذلك الأحاديث التي آجرتها مع كل من فكري عبيد وعادل زعتر ومحمد على علوية والأمير عبد الكريم

وحافظ وهبه وعبد المجيد سليم. هذا ومن الملحوظ أن القيادة الفردية لمصر الفتاة التي تمثلت في شخصية احمد حسين قد عكست نفسها بوضوح على صفحات الجريدة من خلال الافتتاحيات التي وقع معظمها باسمه وكانت تتميز بالطابع البلاغي والإنشائي وتكرار المضمون إلى حد كبير. كما تتجلى في غزارة كتاباته عن ذكرياته في فلسطين وسوريا، والتي لم يكن يخلو منها عدد من الأعداد، وخصوصا في فترات تفاقم الأزمة أثناء تصاعد أحداث الثورة. وكانت مصر الفتاة تعكس في كتاباتها عن فلسطين عداء شديدا لكل من الشيوعيين بسبب وجود عناصر يهودية داخل صفوفهم والأخوان المسلمين الذين وصفتهم الصحيفة وخصوصا زعيمهم حسن ألبنا بالدجل والشعوذة، وكانت دائما تتساءل عن مصير الكتائب المزعومة التي أعدها للجهاد من اجل فلسطين.

وفي أبرز سمات اهتمام مصر الفتاة بفلسطين دعوتها الدائمة للأغنياء لتقديم التبرعات لمساندة الكفاح الفلسطيني ضد اليهود. والواقع أن صحيفة مصر الفتاة كتعبير عن فكر ذلك الحزب لم تطرح فهما صحيحا لطبيعة الحركة الصهيونية بل ركزت على الجوانب العنصرية والشعارات السوفيتية، وان كانت قد طرحت فهما صحيحا لضرورة تصدي العرب جميعا لمساندة قضيتهم الأولى أي القضية الفلسطينية. وكانت صحيفة مصر الفتاة تحرص في نداءاتها على التوجه إلى الشعوب، في حين امتلأت صفحاتها بالهجوم على الحكومات العربية واتهامها بالتخاذل. و قد برز هذا الاتجاه بوضوح في الأربعينيات.

والواقع أن صحيفة مصر الفتاة لم تعاصر المرحلة الأولى من ثورة 1936 في فلسطين ولكن أتيحت لها فرصة التعبير عن اتجاهاتها في هذا الصدد بعد صدور تقرير اللجنة الملكية الذي تضمن فروعا لتقسيم فلسطين. وقد قامت صحيفة مصر الفتاة بنشر البيان الشهير عن القضية الفلسطينية الذي يتضمن معارضتها الحادة لمشروع التقسيم والمطالبة بضرورة مقاومته بكل السبل وذلك لعديد من الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وقد لخصتها الصحيفة أبرزت من خلالها خطورة شروع التقسيم على مصر ذاتها وليس فلسطين فقط.

هوامش

(1) انظر: أميل نوفا-مرجع سابق ص 252، ومحمد عزه دروزه-مرجع سابق.
(2) المقطم 22/11/1935، الأهرام 23/11/1935.
(3) الأخوان المسلمون 28/4/1936, 2/6/1936.
(4) الأخوان المسلمون 19/6/1936.
(5) الأهـرام 15/8/1936.
(6) الأهـرام 18/6/1936.
(7) الرابطة العربية 29/7/1936.
(8) الأخوان المسلوق 2/6/1936.
(9) الأهـرام 18/6/1936, 7/8/1936.
(10) المؤتمر النسائي الشرقس المرآة العربية وقضية فلسطين ص 15.
(11) أنيس صايغ-مرجع سابق.
(12) الأخوان المسلمون 2/9/ل1937.
(13) مضابط مجلس الشيوخ والمنواب 27/7/1926, 20/7/1936.
(14) عادل عنيم-المحركة الموطنية الفلسطينية من ثورة 1936 حتى قيام الحرب العالمية الثانية-رسالة الدكتوراه غير منشورة-جامعة عين شمس القاهرة 1976- ص 649.
(15) الرابطة العربية 6/1/1937.
(16) الرابطة العربية 30/9/1936.
(17) أنيس صايغ-الفكرة العربية في مصر مرجع سابق.
(18) عادل غنيم-ثورة 1936- مصدر سابق.
(19) محمد عزة دروزه-مصدر سابق.
(20) صحيفة السياسة 2/2/1938.
(21) عادل غنيم-ثورة 1936 مرجع سابق.
(22) انظر أنيس صايغ ص 243، حافظ وهبه خمسون عاما في جزيرة العرب القاهرة 1960 ص 158.
(23) الأخوان المسلمون 12/10/1936.
(24) انظر أعداد المصري أكتوبر 1936، سبتمبر وأكتوبر 1937، أغسطس 1938.
(25) انظر المصري يناير 1939، فبراير-مارس 1939، مايو 1939.
(26) انظر الأخوان المسلمون 28/4/1936, 19/5/36, 26 مايو، 1926, 11, 25 أغسطس 1936.

الباب الثالث
الرأي العام المصري
وفلسطين في الاربعينات

6 مصر وفلسطين أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية

فلسطين أثناء الحرب العالمية الثانية (لمحة تاريخية):

بنشوب الحرب العالمية الثانية في صيف 1939 شهد المجتمع الدولي وضعا خيرا يتمثل في محاولة ألمانيا النازية السيطرة على أوروبا أولا والعالم ثانيا. وقد تسارعت الأحداث أتسفر التناقض داخل المعسكر الاستعماري من ناحية ونضال الشعوب والقوى الديموقراطية النازية من ناحية أخرى عن توزيع الدول والشعوب على جبهتي المعركة. وهكذا وقفت ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية واليابان العسكرية في جانب والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وبريطانيا والشعوب عامة في الجانب المقابل.

والأمر الهام هنا هو أن اندلاع الحرب العالمية الثانية قد اسهم في إيقاف محاولات القيادة التقليدية للحركة الوطنية الفلسطينية الإبقاء على استمرارية ثورة 1936 إذ شهدت تلك الفترة انحسار الثورة ثم توقفها في شهر سبتمبر، وهو شهر قيام الحرب. وقد ترتب على ذلك تشريد زعماء الثورة

وانتقال بعضهم إلى سوريا ولبنان واستحالة اتصالهم بالحركة الوطنية داخل فلسطين. كذلك انحسرت الحركة العربية المؤيدة لفلسطين.

واتسمت هذه الفترة بالركود في العلاقات بين العرب واليهود. فكان طابع الدعاية للثورة دفاعيا وسلبيا. بل أن الاختلاف حول الأساليب الواجب اتباعها قد أدى إلى حدوث انقسام في الحركة الوطنية. أما بالنسبة للتطوع إلى جوار بريطانيا فقد وقف العرب في بداية الأمر موقفا سلبيا، ثم تحول هذا الموقف بتأثير الدعاية التي قادتها العناصر العربية المتعاونة مع بريطانيا داخل فلسطين.

وكان الملمح البارز في هذه الفترة أن الحركة الوطنية الفلسطينية كانت هامدة خلال سنوات الحرب العالمية الثانية. ولم يختلف الوضع العربي خارج فلسطين عنه في داخلها، فقد كانت الجهود العربية مبعثرة وغير منظمة وتميزت بالطابع الدفاعي. وكانت ابرز الظواهر على هذا المحور جهود المفتي وكفاحه السياسي في أكثر من بلد عربي من اجل القضية الفلسطينية[1].

وعلى الجانب الآخر كانت الحركة الصهيونية قد دخلت معركتها الحاسمة، معركة إعلان بناء الوطن القومي اليهودي. ويمكن تلخيص سياسة القيادة الصهيونية خلال الحرب العالمية الثانية بملمحين جوهريين: أولهما مقاومة الكتاب الأبيض عن طريق تجاوز قيوده على الهجرة وانتقال الأراضي من ناحية. وقد توقع بن جوريون أن تؤدي الحرب إلى قيام الدولة اليهودية فكان يقول: (إذا كانت الحرب العالمية الأولى قد جاءت بوعد بلفور فالحرب الثانية ستأتي بالدولة اليهودية)[2]. ووعيا منها بحتمية تبوء الولايات المتحدة مكان الصدارة بين الدول الاستعمارية بعد انتهاء الحرب نقلت الصهيونية مركز ثقلها من لندن إلى الولايات المتحدة. وأدى هذا الانتقال من التعاون مع الاستعمار البريطاني إلى الاعتماد على الولايات المتحدة إلى أضعاف نفوذ حاييم وايزمان في القيادة لصهيونية وتعزيز موقع بن جوريون الأكثر ولاء للولايات المتحدة. ولعل تزايد نفوذ الطائفة اليهودية الأمريكية وتقلص نفوذ الكتلة الصهيونية في أوروبا من اثر الحرب كان أيضا أحد العوامل التي أسرعت في عملية التحول إلى الاستعمار الأمريكي. وقد حظيت المنظمة الصهيونية بتأييد متعاظم في الولايات المتحدة. وما أن جاء عام

1944 حتى قدم عدد كبير من الشيوخ والنواب إلى الكونجرس الأمريكي مشروع قرار يدعو إلى هجرة غير محدودة إلى فلسطين والى إقامة الدولة اليهودية. وتحت شعار الدفاع عن فلسطين أرادت بريطانيا أن تشكل جيشا يتحول فيه العرب واليهود إلى رفاق سلاح، غير إن هذه الفكرة فشلت. وشهدت هذه الفترة ازدياد عدد المتطوعين اليهود في الجيش البريطاني مما ساعد على البدء في استخدام الفيلق اليهودي في نهاية الحرب. وكان هذا مقدمة لإنشاء لواء يهودي كامل بمباركة أمريكية في عام 1944[3]. وفي ديسمبر1945 اتخذ الكونجرس الأمريكي قرارا بالإجماع ينص على ضرورة بذل الولايات المتحدة مساعيها الحميدة لدى سلطات الانتداب في فلسطين لفتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية. وفي أثناء ذلك تزايد الإرهاب الصهيوني ضد القوات البريطانية في فلسطين. وفي نهاية 1945 رضخت الحكومة البريطانية للضغط الأمريكي الصهيوني المتزايد وأعلنت استمرار فتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية وتشكيل لجنة انجلت أميركية مشتركة للبحث في إمكانيات فلسطين لاستيعاب مهاجرين يهود جدد. وسرعان ما بدأت اللجنة مهمتها في مطلع عام 1946، فزارت بعض بلدان أوروبا وبعض الدول العربية ثم انتقلت إلى فلسطين. وفي أبريل 1946، أصدرت اللجنة ألا نجلو أمريكية تقريرها الذي أوصت فيه بإدخال مائة آلف مهاجر يهودي إلى فلسطين وتسهيل انتقال الأراضي إلى المستوطنين اليهود البقاء فلسطين تحت الانتداب البريطاني.

وعلى المستوى العربي شهدت هذه الفترة قيام جامعة الدول العربية حيث أصبح من الصعب استبعادها عن تطورات القضية الفلسطينية، بل بدأت تتدخل عمليا في تشكيل قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية، مما كان له أثاره السلبية فيما بعد. وقد رفضت اللجنة العربية العليا مقررات اللجنة ألا نجلو أمريكية وتقرر عقد مؤتمر بلودان بسوريا حيث اتخذت قرارات علنية برفض ما توصلت إليه اللجنة المذكورة بالإضافة إلى القرارات السرية التي تضمنت المقاطعة الاقتصادية وبعض العقوبات[4].

وقد انتهت هذه الفترة بفشل محاولة التسوية ألا نجلو أمريكية، وبدأت فترة المشاريع البريطانية التي عرفت بأسماء أصحابها مثل موريسون. ومع هذه المشاريع قامت بريطانيا بمحاولة أخرى لصياغة حل يصون مصالحها.

ولهذه الغاية عقدت مؤتمرا جديدا في لندن بين أغسطس 1946 ويناير 1947 اشترك فيه ممثلو الدول العربية ووفد الحركة الفلسطينية والوكالة اليهودية.

وقد فشل المؤتمر في الوصول آي تسوية. وتميزت السياسة الصهيونية في هذه الفترة بأمرين: أولهما التمسك بالانتداب ومقاومة إحالة القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة من ناحية، وثانيهما تعميق التحالف مع الاستعمار الأمريكي من ناحية أخرى. أما بريطانيا فقد اضطرت إزاء تفاقم أزمتها إلى إحالة القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة أملا في الوصول إلى حل مناسب. وبدأت الجمعية العامة للأمم المتحدة في مناقشة المسالة الفلسطينية في مايو 1947. وانتهت المناقشات بإيفاد لجنة من الأمم المتحدة لتقصي الحقائق في فلسطين. وبذهاب اللجنة آلي فلسطين تصاعدت موجة الإرهاب الصهيوني، وزادت الهجرة غير الشرعية كنوع من الضغط. وجاء تقرير لجنة التحقيق مؤكدا على ضرورة إنهاء الانتداب وتقسيم فلسطين مع مرور فترة انتقالية، وان يتم التقسيم سياسيا مع قيام اتحاد اقتصادي. وفي 29 نوفمبر 1947 أقرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة مشروع التقسيم بأغلبية 33 صوتا ضد 13 وامتناع 10 دول عن التصويت من بينها بريطانيا. وبذلك دخلت القضية الفلسطينية مرحلة جديدة.

وما بين صدور قرار التقسيم وحدوث نكبة 1948 في شهر مايو حدثت مصادمات دامية بين العرب واليهود. وأعاد العرب تشكيل اللجان القومية وقاموا بتكوين فصائل المقاتلين من عرب فلسطين باسم الجهاد المقدس، وكان يرأسها عبد القادر الحسيني، ثم دخل جيش الإنقاذ المكون من متطوعين من الدول العربية. وفي مواجهة التسليح الحديث للصهيونيين كان العرب يتسلحون ببنادق قديمة ومحدودة العدد. آلا أن الفلسطينيين نجحوا في الحفاظ على اغلب مدنهم وقراهم إلى أن دخلت جيوش الدول العربية فلسطين في 15 مايو 1948، وهو تاريخ انسحاب القوات البريطانية عن كل فلسطين. ومع انسحاب بريطانيا من فلسطين حرصت على تهويد المناطق التي تركتها. وتقدمت الجيوش العربية لتحل محل الجيش البريطاني. وإزاء التفوق العربي جاء قرار مجلس الآمن بوقف القتال. وقد رفض العرب هذا

القرار ثم عادوا فقبلوه. وفي أثناء ذلك كانت القوات الصهيونية تتزود بالأسلحة من قبل المعسكر الاستعماري بقيادة الولايات المتحدة المتحد ثم تقدم برنا دوت بمشروعه الأول الذي رفضه كل من العرب واليهود، واستأنف القتال إلى أن فرضت الهدنة ثانية في 18 يوليو 1948. ثم تقدم برنا دوت بمشروعه الثاني، غير أن الصهاينة قاموا باغتيال برنادوت ونقض الهدنة. وانتكس العرب أمام غدر الصهيونية وخيانة الرجعية العربية. وبعد أن تأكد التفوق الصهيوني وافق مجلس الآمن على هدنة جديدة وإنشاء مناطق منزوعة السلاح وتخفيض القوات المسلحة. وعلى هذا النحو انتهت المعركة بقيام الكيان الصهيوني فوق الأرض الفلسطينية.

مصر وفلسطين في الأربعينات

من أبرز ما تتميز به الأوضاع السياسية في مصر في الأربعينات تبلور انتمائها العربي على المستوى الشعبي واستبدال السراي بمطمحها الإسلامية في العشرينات والثلاثينات طامح عربية. وقد اختارت السراي المجال العربي كي تمارس فيه سلطاتها في مواجهة الحكومة والبرلمان والحركة الشعبية على أساس أن هذا المجال سوف يقلل احتمالات الصدام التقليدية بينها وبين القوى السياسية المعارضة، وسيتيح لها فرصة انتزاع بعض المكاسب من خلال التقائها الشكلي مع الجماهير على المائدة العربية. وقد لعب الكفاح العربي في كل قطر على حدة ضد العدو المشترك الذي تمثل في الدول الاستعمارية دورا أساسيا في تقريب المشاعر والاهتمامات القومية. ومن هنا دخلت الشئون العربية تدريجيا في صميم النضال اليومي للحركة الوطنية المصرية ضد الاحتلال البريطاني وركائزه المحلية في مصر وفي المنطقة العربية،.. كما اصبح الجانب العربي من السياسة الرسمية أحد مجالات الصراع السياسي بين الحركة الوطنية بأجنحتها المختلفة وبين الرجعية المحلية والاحتلال.

ومن أبرز دلالات تصاعد الاهتمام الشعبي في مصر بالقضايا العربية موقف الوفد الذي تبلور بوضوح عند تكوين الطليعة الوفدية، حيث جاء في قرار تشكيلها أنها أداة رئيسية للاتصال مع شعب الوادي وشعوب الدول العربية[5].

آما القوى السياسية الأخرى مثل مصر الفتاة، فقد عرفت بتوجهها العربي منذ بداية تكوينها في الثلاثينات، وكذلك جماعة الأخوان المسلمين الذين كانوا يتبنون الاتجاه العربي كرابطة حضارية ومقدمة ضرورية لتحقيق الوحدة الإسلامية.

وبالنسبة لليسار المصري فقد ظهر بوضوح حرصه على الاهتمام بالتوجه العربي وتنميته في وجدان الشعب المصري وفي طرح مفاهيم صحيحة له. وعند تتبع الصحف اليسارية في مطلع الأربعينات مثل «الجماهير» لسان حال الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني أو الفجر الجديد لسان حال حزب العمال والفلاحين فأننا نلاحظ اهتماما متزايدا بالقضايا العربية وبضرورة توحيد كل القوى الثورية العربية في المعركة الموحدة ضد الرجعية العربية. وقد كانت القضية المحورية في ذلك كله في نظر اليسار المصري هي قضية فلسطين.

والخلاصة آن البعد العربي للواقع السياسي والحركة الوطنية في مصر قد استكمل ملامحه الرئيسية في تلك الحقبة واصبح جزءا لا يتجزأ من برامج وممارسات القوى السياسية والحكومة ذاتها كل حسب أهدافه وطموحاته. ويمكن القول أنه إذا كانت النزعة الإسلامية هي مدخل مصر إلى الفكرة العربية في العشرينات والثلاثينات فان التضامن بين الشعوب العربية ضد العدو المشترك وهو الاستعمار كانت هي المنطلق المصري إلى العروبة أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية.

ولقد طرحت القضية الفلسطينية نفسها بعد الحرب العالمية الثانية باعتبارها ذروة الصراع الدامي بين الشعب الفلسطيني والشعوب العربية في جانب والقوى الاستعمارية والصهيونية في الجانب المقابل. وكانت مظاهرات 2 نوفمبر 1945 التي قادها الإخوان المسلمون التجسيد المادي لحضور القضية في الشارع المصري، وكان عنفها وشمولها تعبيرا عن موقف المصريين عامة من قضية مصير فلسطين، كما كان مظهرا لالتحام قضية هذا البلد بالقضايا السياسية التي تشغل المصريين عامة.

ومنذ ذلك الحين بدأت القضية الفلسطينية وتتبع تطوراتها وأحداثها تحتل مكان الصدارة لدى الرأي العام المصري. ويمكن أن نعتبر أن فلسطين كانت محك الصراع المباشر بين الحركة الوطنية المصرية وبين الاستعمار

الجديد الممثل في الولايات المتحدة. وكان الصراع بين الاستعماريين البريطاني والأمريكي من أجل الاستحواذ على الشرق الأوسط بإمكانياته الإستراتيجية والبترولية ومحاولة التركيز على فلسطين باعتبارها المحور الذي سوف يمكن القادمين الجدد من تحقيق طموحاتهم وأهدافهم، علاوة على تحرك الصهيونية نحو الولايات المتحدة باعتبارها السيد الجديد القوي وانتقال الولاء الصهيوني من بريطانيا إلى أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية. كل ذلك كان مدرسة تلقت فيها الحركة الوطنية المصرية دروسا هامة في فهم دورها كجزء من قوى التحرر العربية في مواجهة الخصوم الجدد والتقليديين معا، أي أمريكا وبريطانيا والصهيونية.

وإذا ما حاولنا أن نتعرض لموقف مصر الرسمي من قضية فلسطين منذ مطلع الأربعينات وحتى نشوب حرب 1948، فإننا سوف نجد الملامح الرئيسية لهذه السياسة في كلمة القاهرة التي ألقاها عبد الرزاق السنهوري ممثل المملكة المصرية في مؤتمر فلسطين الذي عقد بلندن في نهاية عام 1946. ويمكن تلخيص الموقف المصري في ثلاث نقاط جوهرية:

أولا: رفض مصر القاطع لأي شكل من أشكال التقسيم آو إقامة دولة يهودية في هذا الجزء من العالم.

ثانيا: آن مصر لن تقف سلبيا حتى يصير الخطر اليهودي للعالم العربي حقيقة واقعة.

ثالثا: رفض اقتراح اللجنة ألا نجلو أمريكية الخاص بتحويل فلسطين آلي دولة اتحادية تتكون من الدولة العربية والدولة اليهودية باعتبار آن التقسيم ليس حلا يمكن فرضه آلا إذا كان هناك استعداد للإبقاء عليه بالقوة. وأكد ألسنه وري أن اليهود صمموا على تهويد فلسطين من خلال الهجرة وشراء الأراضي ثم التقسيم. وقد أتوضح ممثل مصر في المؤتمر كيف زاد عدد اليهود من خلال الهجرة من 50 ألف في مطلع الانتداب إلى 600 ألف عند انعقاد المؤتمر. وكذلك بالنسبة للأراضي فقد اشترى وانتزع اليهود حتى ذلك الوقت اكثر من 2 مليون دون وأصبح متوسط ما يملكه اليهودي 200 دون مقابل 8 دون مات فقط لكل عربي. ومعنى ذلك آن ملكية اليهود للأراضي قياسا إلى أعدادهم أصبحت تزيد على ملكية العرب بمقداره 25, 5. وفيما يتعلق بالتقسيم أوضح السنهوري انه غير عملي وصعب

التحقيق، كما أنه مرفوض من الحكومة المصرية رفضا باتا. ثم ختم المندوب المصري كلمته بتأكيد عروبة فلسطين وطالب بمنحها حق تقرير المصير وأكد عدم اعتراف مصر بحق اليهود في إقامة وطن قومي خاص بهم في فلسطين. كما طالب بوقف الهجرة اليهودية تماما وبصورة عاجلة ألانها تشكل أتهم جوانب المشكلة الفلسطينية[6].

ذلك كان موقف مصر الرسمي من فلسطين الذي أعلنته في مؤتمر لندن. ولكن كانت الساحة المصرية تشهد في ذلك الحين احتدام المعركة بين الحركة الوطنية المصرية في مواجهة السراي والاحتلال والحكومة الصدقية بسبب مشروع صدقي بيفن. ومع فشل مشروع صدقي بيفين اتضحت خيوط الموقف الغربي من القضية الفلسطينية والقضية المصرية في أن واحد. فقد ادعت بريطانيا في فبراير 1947 أنها غير قادرة على حل المشكلة الفلسطينية وأنها سوف تعرض الآمر على الأمم المتحدة لكي توصي بما تراه. والواقع أن الموقف البريطاني كان ترجمة عملية للاتفاق الذي تم بين بريطانيا والولايات المتحدة والذي يقضي بأن تترك فلسطين للولايات المتحدة من خلال تمكين الصهيونية منها، وان يبقى الإنجليز في مصر، وبهذا زاد تمسك بريطانيا بالبقاء العسكري في مصر..

وفي أبريل 1947 طلبت بريطانيا من السكرتير العام للأمم المتحدة أدراج قضية فلسطين في جدول أعمال الجمعية العامة في دورتها العادية، وانتهت جولة القضية داخل الأمم المتحدة بتشكيل لجنة تحقيق سميت لجنة فلسطين، اقترحت في التقرير الذي أعدته تقسيم فلسطين وإنشاء دولتين إحداهما للعرب والأخرى لليهود. وقد تابع الرأي العام المصري جميع مراحل بحث القضية الفلسطينية داخل الأمم المتحدة والتي انتهت بقرار التقسيم في نوفمبر 1947. وقد كان لهذا القرار صداه في الشارع المصري إذ اجتاح الجماهير سخط عارم وبدأت الإضرابات والمظاهرات-منذ بداية نظر القضية أمام الجمعية العامة. وقد كان إضراب 17 سبتمبر 1947 هو البداية ودعت إليه أحزاب مصر الفتاة والأخوان المسلمون والحزب الوطني. وفي دمشق وبيروت أعلن عن اعتبار يوم 4 أكتوبر يوم فلسطين وتم الإضراب يومها هناك، وأعلنت مصر في ذلك اليوم حالة الطوارىء وتم تشكيل الهيئة العليا لوادي النيل لإنقاذ فلسطين التي قامت بتنظيم حملات للتبرع والدعوة

لإنشاء كتائب التحرير[7].

ومنذ تلك اللحظة بدأت شعارات الكفاح المسلح ضد الصهيونية تطرح نفسها بحدة على الساحة المصرية وانقسمت إزاءها القوى الوطنية. فالوفد رغم اعتراضه الكامل على قرار تقسيم فلسطين فانه لم يرفع شعار الكفاح المسلح كما لم يدع إلى إنشاء كتائب لتحرير فلسطين بل تبنت هذا الموقف كل من جماعة الأخوان المسلمين ومصر الفتاة، إذ نظر كلاهما إلى فلسطين كمجال لحرب مقدسة وطنية ودينية ضد الصهيونية. وقد أعلن حزب مصر الفتاة عن تأليف عدة أنواع للنضال ضد الصهيونية في فلسطين وسافر أحمد حسين مع هذه الأفواج إلى سوريا باعتبارها خط الدفاع الأول عن فلسطين. كذلك آلف الأخوان كتائب للجهاد وأقاموا معسكرا للجبهة الجنوبية بفلسطين[8].

أما عن موقف اليسار المصري من تطورات القضية الفلسطينية في ذلك الحين فقد عارضت طليعة العمال والفلاحين قرار التقسيم وكانت تؤيد الدخول في الحرب ضد إقامة الدولة اليهودية. ولكن أيدت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حديثو) قرار التقسيم وعارضت الدخول في الحرب من أجل فلسطين. بل كانت ترى آن الكفاح المسلح يجب أن يوجه ضد بريطانيا وليس من اجل هذه الحرب في فلسطين[9]. وفي 21 ديسمبر 1947 أصدرت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني بيانا أوضحت فيه موقفها من التقسيم والحرب وعلقت على موقف الحكومات العربية وفسرت تأييدها لدخول الحرب من أجل فلسطين أبانه محاولة لصرف أنظار الجماهير الكادحة عن الكفاح في سبيل حل مشاكلها الاجتماعية والوطنية آلي أمر خارجي ينسيها هذا الكفاح.

وقد دفعت الحركة الشيوعية بسبب هذا الموقف ثمنا غاليا من رصيدها الشعبي وتعرضت لهجوم عنيف من جانب مصر الفتاة والأخوان المسلمين إذ طعناها في وطنيتها واتهماها بالتبعية للاتحاد السوفييتي الذي أيد قرار التقسيم أيضا.

قرار اشتراك مصر في حرب 1948

لقد وصلت الأوضاع الداخلية في مصر إلى ذروة تأزمها بسبب فشل

المفاوضات المصرية الذي أعقبه الفشل الثاني عند عرض القضية المصرية في مجلس الآمن، فضلا عن تصاعد الأزمة الاقتصادية وانتشار الإضرابات والمظاهرات الشعبية. وكان لا بد للسلطة السياسية المصرية من البحث عن مخرج. وكانت القضية الفلسطينية بما وصلت أتليه من تطورات معقدة تمثل مخرجا ملائما للنظام المصري، إذ كان قرار الاشتراك في الحرب من اجل تحرير فلسطين من الصهيونية بمثابة طوق الإنقاذ للسراي والحكومة كما أنه صادف استجابة جماهيرية بعيدة المدى. ولكن العقبة الوحيدة التي كانت تحول دون اتخاذ القرار هو سوء أحوال الجيش المصري وعدم استعداده للدخول في حرب على أرض فلسطين. والواقع أن الملك قد وجد في المسالة الفلسطينية ما يمكنه من استرداد بعض سمعته، فضلا عن حرصه على أن يبني لنفسه زعامة عربية في مواجهة العائلة الهاشمية في العراق والأردن.

ولذلك أوعز الملك إلى وزير الدفاع المصري بإصدار أوامره إلى الجيش بالتحرك دون علم رئيس الوزراء ودون انتظار موافقة البرلمان أو مجلس الوزراء. ورغم أن النقراشي رئيس الوزراء. المصري آنذاك كان مصرا على عدم اللجوء إلى القوة المسلحة حتى لا يدفع الجيش المصري إلى الهلاك بسبب وجود القوات البريطانية المرابطة في منطقة السويس وراء ظهره. ولكن فجأة تغير موقف النقراشي وطلب عقد جلسة عاجلة للبرلمان للحصول على موافقته على الاشتراك في الحرب[15]. ويعزى التحول في موقف النقراشي إلى رغبته في عدم نشوب أزمة دستورية فضلا عن أن استمرار معارضته لدخول الجيش المصري معركة فلسطين كان سوف يؤخذ على أنه خيانة وطنية كبرى.

وقد دخلت مصر الحرب مع الأردن وسوريا والعراق في 15 مايو 1948 لإنقاذ فلسطين. وكان الجميع يتوقعون أن تنتصر القوات العربية وان الحرب ستكون نزهة لن تستغرق أكثر من أيام. وفعلا بدأت انتصارات الجيش المصري المحارب في فلسطين. وخلال أسبوعين وصل الجيش المصري إلى مشارف تل أبيب وبدأت البلاغات العسكرية المصرية تتخذ لهجة حاسمة وهي تعلن للرأي العام أن القضاء على إسرائيل اصبح قاب قوسين. ولكن فجأة بدأت أخبار انتصارات الجيش المصري في فلسطين تتباعد وبدأت الضغوط الدولية حيث بدأت الهدنة الأولى و قبلتها الدول العربية. وعندما

استأنفت الحرب بدأ الصهاينة يحققون انتصارات متوالية ثم تبعتها هدنة ثانية وحرب ثانية. ولكن أصبح واضحا هذه المرة أن القوى التي تقف وراء إسرائيل قوة ضخمة ومريبة وان القوى التي يستند إليها العرب لا تعدو أن تكون قوة محلية ضعيفة مهتزة تفتتها الصراعات الخاصة.

هوامش

(1) أنظر / فلاح خالد علي / فلسطين والانتداب البريطاني-رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب-جامعة القاهرة 1976- الفصل الثالث

- اميل توما : مرجع سابق

- عبد القادر ياسين: كفاح الشعب الفلسطيني قبل عام 1948 - مركز الابحاث الفلسطينية - بيروت - مايو 1975 ص 206.

(2) اميل توما : مرجع سابق

(3) فلاح خالد : مرجع سابق الفصل الثالث.

(4) اميل توما : مرجع سابق وفلاح خالد- مرجع سابق- الفصل الخامس.

(5) رابطة الشباب 1947/3/20

(6) ملف الوثائق الفلسطينية الجزء الاول 1937 - 1949 - الهيئة العامة للاستعلامات القاهرة 1970، ص 796 - 770.

(7) الاهرام أعداد شهر يناير 1948

(8) الاهرام 1948/1/27

(9) أنظر الجماهير 10/19 , 1947/11/22

(10) أنظر طارق البشرى - مصدر سابق.

7 الصحافة المصرية وفلسطين في الأربعينات

١ - صحيفة المصري:

رغم أن المسألة المصرية وعلاقة مصر ببريطانيا شغلت معظم صفحات «المصري» في السنوات الأولى من مرحلة الأربعينات فقد بدأت أنباء فلسطين تلقى اهتماما متزايدا من جانب الصحيفة خصوصا في النصف الأخير من عام 1947. وتدريجيا بدأت القضية الفلسطينية تلقى اهتماما يوازي اهتمام «المصري» بالمسالة المصرية. وقد أبدت «المصري» اهتماما ملحوظا بمتابعة موقف بريطانيا من القضية الفلسطينية أثناء عرضها على الأمم المتحدة المتحد وشنت هجوما حادا على بريطانيا وحملتها مسئولية انتزاع فلسطين من أيدي أبناها وتسليمها للصهيونية بتسهيل الهجرة اليهودية وانتزاع الأرض من أيدي العرب. وكانت المصري دائما تبدي تشككها في الوعود البريطانية الخاصة بانسحابها من فلسطين. وقد نددت المصري بالوثيقة[1] التي قدمها أتسقف بيروت إلى لجنة التحقيق التي انتدبتها الأمم المتحدة لوضع تقرير عن المسألة الفلسطينية. ويرجع سبب رفض المصري

لهذه الوثيقة إلى ما جاء بها من أن فلسطين قد أحرزت تقدما كبيرا بفضل الاستعمار الصهيوني. كما اقترحت الوثيقة إنشاء وطن مسيحي في لبنان ووطن يهودي في فلسطين. وقد علقت الصحيفة على ذلك (بان هناك أيد أجنبية عن العرب قد بدأت تلعب في الخفاء)[2]. وتعرب المصري عن قلقها المتزايد إزاء تدفق الهجرة اليهودية على فلسطين، وتنشر أخبار الأفواج اليهودية في الصفحات الأولى منذرة ومحذرة من العواقب السيئة التي سوف تترتب على ذلك. كذلك أبدت المصري حماسها وتشجيعها لقرارات الجامعة العربية التي اتخذتها في بيروت بخصوص التدخل العسكري العربي لإنقاذ فلسطين[3]، على أساس أن تحرير فلسطين لن يتم آلا بقوة السلاح. وتواصل المصري ثناءها على اللغة الجديدة التي بدا يتعامل بها العرب مع العالم.

ويلاحظ في نهاية عام (1947) طغيان أخبار فلسطين على صفحات المصري سواء ما يتعلق بالموقف العربي أو الدول الشرقية من القضية آو انسحاب إنجلترا من فلسطين والأموال التي تجمع لليهود من أمريكا... الخ

وتهاجم المصري موقف الضعف الذي يتخذه رئيس وزراء مصر اتجاه القضية الفلسطينية وإنقاذها على اعتبار إن رؤساء وزراء الدول العربية جميعا قد تحدثوا عن مواقفهم باستثناء رئيس الوزراء المصري[4].

وفي إطار اهتمامها بالقضية الفلسطينية والتدخل العسكري من جانب الدول العربية لتخليص فلسطين من الصهيونية دعت المصري إلى تسليح جيش مصر من أجل إنقاذ فلسطين، وطالبت الصحيفة بان (يكون جيشنا على أهبة الاستعداد للقيام بواجبه على الوجه الأكمل-لقد كان الاستعداد العربي للدفاع عن فلسطين فرصة عرفت بها الحكومة وأدرك منها الرأي العام الحاجة السريعة إلى تقوية الجيش المصري)[5].

كانت المصري تنشر بعض التعليقات على الدعاية الصهيونية وتحاول من خلالها إثارة قضية دور مصر والعرب لمساندة شعب فلسطين، كان تقول مثلا: لقد حلق مرشح الجمهورية للكونجرس في الجو فوق مقر هيئة الأمم المتحدة وأخذ يلقى منشورات يطالب فيها الأمم المتحدة إعطاء فلسطين لليهود ثم تتساءل الصحيفة: (هذا ما يفعله..الصهيونيون لقضية غير مشروعة فماذا فعلنا نحن لقضيتنا المشروعة ؟ !)[6].

هذا وقد شنت المصري هجوما حادا على موقف أعضاء الأمم المتحدة من فلسطين وخصوصا الولايات المتحدة والدول الغربية التي تساند التقسيم، وكانت ترى أنهم لا زالوا مصممين على انتهاج الطريق الخاطئ بمساندتهم للصهيونية ووقوفهم من حقوق العرب موقف الخصم الألد. وهنا تكرر المصري ثناءها على الموقف العربي والقرارات التي اتخذتها الجامعة العربية بشأن استعداد الدول العربية للتدخل العسكري من اجل إنقاذ فلسطين، وتعتبر أن هذا هو الرد الوحيد على الدول الغربية وموقفها العدائي من العرب[7].

وقد كانت الافتتاحيات والمقالات هي القوالب الصحفية الرئيسية التي تناولت «المصري» من خلالها القضية الفلسطينية في الأربعينات مع عدم تجاهل القوالب الخبرية.

صحيفة صوت الآمة وفلسطين:

تعكس صحيفة صوت الآمة باعتبارها لسان حال الجناح اليساري في حزب الوفد إدراكا صحيحا لطبيعة الصراع العربي الصهيوني الدائر في فلسطين. وتخلو كتاباتها من النغمة العنصرية. كما أنها تضع البعد الديني للقضية في إطاره الصحيح. ويبرز ذلك من خلال متابعة كتاباتها عن القضية الفلسطينية في الأربعينات. ورغم إن حجم الاهتمام بالقضية الفلسطينية ليس كبيرا لدى صوت الأمة فان كتاباتها تتميز في هذا الصدد بنغمة راديكالية واضحة. فهي تطرح القضية كجزء من قضايا الشعوب العربية في مواجهة الصهيونية التي تعتبر جزءا من النظام الاستعماري العالمي.. وترى إن الحل لن يكون آلا بالسيف. وتحاول الصحيفة في أكثر من مقال للدكتور محمد مندور تفنيد الأساس الديني الخاطئ الذي تحاول الصهيونية إن تقيم دولتها على أساسه، وتؤكد استحالة اندماج هذه الدولة المزعومة الواقعة في قلب العالم العربي مع دول هذه المنطقة.. ويرى الدكتور مندور كاتب هذه المقالات أن الحل الحقيقي الوحيد هو الذي يتمثل في دستور فلسطين الذي قدمته الدول العربية إلى مؤتمر لندن سنة 1946[8]. ومما يجدر ذكره أن صحيفة صوت الآمة من الصحف المصرية القليلة التي كانت تفتح صفحاتها للكتاب الفلسطينيين في مصر.

صحيفة «الأخوان المسلمون» وفلسطين:

كان المقال هو القالب الصحفي الرئيسي الذي تناولت صحيفة «الأخوان المسلمون» من خلاله القضية الفلسطينية في الأربعينات وتحت عنوان ثابت (أخبار العالم العربي والإسلامي) كانت أنباء فلسطين تنشر بانتظام[9]. ورغم غلبة الطابع الديني على معظم الكتابات التي نشرتها صحيفة الأخوان عن الصراع الدائر في فلسطين فان بعض هذه الكتابات كانت تعكس وعيا سياسيا شاملا بأبعاد القضية ورؤية تنبؤية عن احتمالات تطورها في المستقبل. مثال ذلك المقال الذي كتبه علي قطب الشريف وهو أحد الكتاب البارزين في الصحيفة وخصوصا في القضية الفلسطينية. ويتضمن هذا المقال تعليقا للكاتب على اقتراح أمريكا بوضع فلسطين تحت الوصاية والرجوع عن قرار التقسيم. يحاول الكاتب أن يكشف الخدعة المزدوجة التي تقوم بها أمريكا لإرضاء العرب ظاهريا مع العمل على تحقيق آمال الصهيونية في اغتيال فلسطين واستخلاصها من أيدي العرب وتثبيت أقدام بريطانيا مرة أخرى وفتح أبواب الشرق الأوسط لمنح أمريكا فرصة السيطرة على البترول من ناحية والتربص بروسيا من ناحية أخرى. ويؤكد الكاتب في نهاية مقاله تمسك العرب باستقلال فلسطين وعروبتها[10].

يلاحظ على كتابات الأخوان المسلمين في صحيفتهم الرسمية التأكيد على الحلول الأخلاقية والتمسك بالدين (إذا كان الخصم يواجهنا بالسلاح المادي فلدينا سلاح الأيمان بالحق والوحدة من حوله)[11].(انه بغير العقيدة وبغير الأيمان والإسلام لن يكون النصر لفلسطين)[12].

تتردد نغمة عنصرية في اغلب كتابات صحيفة «الأخوان المسلمون» خصوصا عند التحدث أو الإشارة آلي الصهيونية واليهود (آن الصهيونيين أقذر شعب وجد على ظهر الأرض وهم مجموعة من الخونة والمخربين)[13].

رغم أن هناك خلطا واضحا في كتابات الصحيفة بين العروبة والإسلام فان مما يجدر الإشارة أتليه ذلك الفهم الصحيح للبعد العربي للقضية الفلسطينية الذي كانت تؤكده الصحيفة في معظم مقالاتها. مثال ذلك ما كانت تؤكده من (أن كل مقصر في حق فلسطين متنكر لعروبته مارق في دينه دعي في قوميته)[14].

ويغلب على كتابات «الأخوان المسلمون» الإلحاح على المسلمين بضرورة

التبرع من اجل فلسطين (أن الله قادر على تحريرها دون أموالكم ولكن عليكم التبرع لعلكم تنجون من غضب الله والناس)[15].

ويلاحظ على اهتمام الصحيفة بالقضية الفلسطينية في الأربعينات أنها لم تفقد الأمل مطلقا في إمكانية أن تقوم الحكومات العربية والجامعة العربية بدور أساسي في تحرير فلسطين من الصهيونية. ولذلك تكثر نداءات الصحيفة ومناشدتها للجامعة العربية أو الحكومات بتبني هذا الموقف آو ذاك.. وان كان ذلك الموقف لم يمنعها من طرح بعض الحلول الصحيحة للمسالة الفلسطينية: فهي ترى أن الحل يكمن في ضرورة تضامن العرب من اجل تخليص فلسطين من أيدي اليهود على أن يعيش هـؤلاء اليهود وفلولهم تحت حكم عربي عادل يقوم أهل فلسطين بتحديد شكله في استفتاء تجريه الجامعة العربية.[16] كذلك يبدو الخلط واضحا بين اليهودية كدين والصهيونية كحركة سياسية في معظم كتابات صحيفة «الأخوان المسلمون» (كل يهودي صهيوني وكل صهيوني يهودي)[17].

صحيفة مصر الفتاة وفلسطين:

يلاحظ أن القضية الفلسطينية كانت محورا لأغلب التحقيقات والأنباء والمقالات آلتي كانت تنشرها صحيفة مصر الفتاة في الأربعينات. ولكن كان هذا التدفق في النشر يرتبط غلبا بفترات المد التي شهدتها القضية في مرحلة الأربعينات. على أنه يلاحظ في فترات الانحسار قلة ما تنشره مصر الفتاة عن القضية الفلسطينية حتى يكاد يصل إلى العدم، مما يشير إلى أن اهتمام مصر الفتاة الإعلامي بالقضية لم يزد عن كونه ظاهرة موسمية أو ردود فعل وقتية في كثير من أتلاحيان. ومن أبرز سمات اهتمام مصر الفتاة بالقضية الفلسطينية في تلك المرحلة ما يلي:

1- الدعوة الدائمة للأغنياء إلى التبرع بالأموال والأسلحة والتطوع في صفوف المجاهدين (أن فلسطين في حاجة إلى الأموال والمجاهدين والى الأسلحة.. آما غير ذلك من المسائل فهي أساليب رخيصة تضر ولا تنفع فلنتعلم قليلا من أعدائنا الاستعماريين)[18].

2- كان أحمد حسين رئيس تحرير صحيفة مصر الفتاة أكثر كتاب الصحيفة اهتماما بالقضية الفلسطينية رغم أن كتاباته كانت تتميز بالأسلوب

الإنشائي والمبالغات. وقد دأب على توجيه النقد اللاذع للحكومات العربية التي لم تقدم للقضية الفلسطينية سوى الضجيج الفارغ دون أن تتحرك بجدية لإنقاذ شعب فلسطين. ويحاول أحمد حسين أن يضرب المثل بنفسه فيقرر الذهاب لتأدية واجبه كجندي في جيش إنقاذ فلسطين[19].

3- دأبت مصر الفتاة على توجيه هجوم متصل إلى الجامعة العربية وتحميلها مسؤولية تطورات المأساة الفلسطينية في الأربعينات خصوصا وأن الشعب الفلسطيني قد اعتمد على القوة العربية سواء الممثلة في الجامعة العربية أو الحكومات ولكنه لم يلق إلا الخذلان. وترى الصحيفة أن الأحجام العربي يرجع إلى الخوف من هزيمة الجيوش لكن الجيوش العربية لا تمد عرب فلسطين حتى بمجرد السلاح. وتطرح مصر الفتاة في مقابل هذا العجز الذي تبديه الحكومات والجامعة العربية مسئولية الشعوب العربية (فان العبء الأكبر من هذا الواجب سيصبح واقعا على كاهل الشعوب العربية وأحزابها ومنظماتها)[20]. ولذلك كانت مصر الفتاة توجه نداءاتها دائما إلى الشعوب العربية.

4- لم تتوقف النبرة العنصرية في كتابات مصر الفتاة: فهي تطالب باعتقال اليهود وسحقهم انتقاما للجرائم البشعة التي ارتكبوها في حق الفلسطينيين وخصوصا بعد وقوع مذبحة دير ياسين[21].

5- أبدت مصر الفتاة حماسا ملحوظا لكتائب المتطوعين من الدول. العربية. واعتبرت ذلك بادرة إيجابية لحل المشكلة الفلسطينية. وقد عززت ذلك بكتابات أحمد حسين الذي طالب بضرورة تدخل الجيوش النظامية إلى جانب المتطوعين وخصوصا بعد سقوط حيفا في أيدي اليهود.

صحف اليسار المصري وقضية فلسطين:

يمكن القول أن نشاط اليسار المصري تجاه القضية الفلسطينية في الأربعينات كان يدور حول محورين رئيسيين أولهما الكفاح ضد الصهيونية ومحاولة عزلها عن جماهير اليهود في مصر مع العمل على كشف علاقاتها المريبة مع السلطات المصرية آنذاك. وثانيهما الكفاح ضد الدعاوى العنصرية وكشف الأخطار التي تحملها ضد حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية. وقد تبلورت رؤية اليسار المصري لحل المشكلة الفلسطينية في آمر واحد

هو (جلاء الجنود البريطانيين عن فلسطين وقيام فلسطين الحرة الديمقراطية التي تستطيع في ظلها جماهير العرب واليهود أن تحل مشاكلها وأن تعيش في سلام ووئام لصالح الملايين لا لصالح حفنة من الاحتكاريين)[22]. هذا وقد حاولت صحف اليسار المصري أن تعكس هذا الموقف المبدئي على امتداد مرحلة الأربعينات. فكانت مجلة الفجر والضمير تمثلان وجهة نظر منظمة العمال والفلاحين في الفترة الزمنية الممتدة من 1945 إلى 1946. وقد لوحظ أن أغلب كتاباتهما كانت عن الصهيونية ومحاولة كشف مخططاتها في فلسطين والعالم العربي. وكانت صحيفة الفجر الجديد تنقل أحيانا عن الصحف الفلسطينية مثل صحيفة الاتحاد لسان حال الحزب الشيوعي الفلسطيني. وكانت تكثر من نشر بريد القراء الذي كان يدور معظمه حول مكافحة النشاط الصهيوني في مصر وحوادث 2 نوفمبر 1945 التي كان الهدف منها هو أتعلان احتجاج آل!عب الممري على محاولات الصهيونية لانتزاع الوطن الفلسطيني، وقد تخللتها بعض الاعتداءات العنصرية ضد اليهود المصريين. كما شنت الفجر الجديد هجوما مكثفا على الجامعة العربية وتواطئها مع القوى الاستعمارية وخصوما بريطانيا وأمريكا ضد فلسطين. وقد برز هذا الموقف من خلال تفنيدها لموقف القوى السياسية العربية من تقرير اللجنة ألا نجلو أمريكية وترحيبها بها وأيمانها بصداقة بريطانيا وأمريكا التقليدية للعرب (في حين شجبت الحركات التحريرية الشعبية في البلاد العربية نتائج التحقيق أخذت منه الموقف الوطني الصحيح، بمقاطعة اللجنة وهذا ما فعلته بوجه خاص عصبة التحرر الوطني الفلسطيني)[23].

آما مجلة الضمير لسان حال لجنة العمال للتحرير القومي وكانت تشكل مع مجلة الفجر الجديد موقفا متكاملا لجماعة الفجر الجديد فقد كان تركيزها على اليهود المصريين، خصوصا وان المشرفين على تحريرها وهم صادق سعد وريمون دويك ويوسف درويش كانوا يمثلون طلائع اليهود المصريين الماركسيين و قد خصصت معظم مقالاتها لكشف حقيقة الصهيونية وعلاقتها الوثيقة بالنظم الفاشية. وكانت «الضمير» تكرر دائما أن (الصهيونية لا تمثل حلا ديمقراطيا حقيقيا لمشكلة اليهود في العالم. بل أن المشكلة اليهودية ليست سوى جزء لا يتجزأ من نضال الشعوب كافة على اختلاف

أديانها في سبيل حريتها وديموقراطيتها)[24].

ومن أبرز صحف اليسار المصري صحيفة الجماهير لسان حال الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني المعروف باسم حدتو، وقد صدر العدد الأول منها في 7 أبريل سنة 1946. فذا كانت الجماهير منبرا علنيا لحدتو فأنها قد استطاعت في بعض أتلاحيان أن تعيد نشر النصوص الكاملة للمنشورات والبيانات التي أصدرتها قيادة التنظيم سرا ومن بينها وثائق هامة تتعلق بالقضية الفلسطينية. وقد قامت «الجماهير» بطرح الموقف المباشر والشامل لليسار المصري في فترة صدور قرار التقسيم والأعداد لقيام دولة إسرائيل والأعداد لحرب فلسطين عام 1948[25].

وقد واصلت حدتو مسيرة اليسار المصري في كفاحه ضد الصهيونية والعمل على كشف جوهرها العنصري وعمالتها للاستعمار من خلال العمل على توعية جماهير الطائفة اليهودية في مصر والوقوف في وجه محاولات جر الجماهير المصرية إلى مواقف عنصرية ضد اليهود المصريين. وقد تمثل ذلك في إصرارها على ضرورة التمييز بين الصهيونية كحركة سياسية وبين اليهودية كدين. وتأكيدا لهذا الموقف قامت حدتو بتكوين الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية في يمنيو 1947. وقد أصدرت هذه الرابطة بيانا أوضحت فيه اتجاهها المعادي للصهيونية وموقفها من القضية الفلسطينية وطالبت اليهود المصريين بضرورة الانضمام إلى الحركة الوطنية المصرية والتضامن معها في سبيل تحقيق جميع أهدافها[26].

والى جانب كفاحها ضد الصهيونية تناولت «الجماهير» القضية الفلسطينية بكل أبعادها الوطنية والقومية والدولية، وكانت ترى أن مشكلة فلسطين تنحصر حلها في الكفاح المشترك بين جماهير العرب واليهود معا للتخلص من الاستعمار ألا نجلو أمريكي وإنشاء دولة حرة ديمقراطية مستقلة وكانت «الجماهير» تؤكد في كتاباتها على العلاقة العضوية بين تحرير مصر وتحرير فلسطين إذ كانت تقول (آن تحرير فلسطين بل تحرير الشرق العربي يتطلب كخطوة أساسية وضرورية تحرير وادي النيل، فوادي النيل الحر المستقل يمكن أن يعبئ القوى ويجند الملايين التي تشترك اشتراكا أساسيا في حرب يخوضها إلى جانب الشعوب العربية لتحرير الشرق من نير الظلم والاستغلال والاستعمار)[27].

هوامش

(1) انظر المصري 1947/22/9 1947/23/9, 1947/24/9،
26/9/1947.

(2) المصري 29/9/1947 شيئا من الصراحة.

(3) المصري 11/10/1947.

(4) المصري 15/10/1947

(5) المصري 18/10/1947 تقوية الجيش المصري

(6) المصري 19/10/1947.

(7) المصري 13/10/1947.

(8) انظر صوت الآمة 1948/19/4, 1948/27/4, 1948/30/4
11/7/1948.

(9) الأخوان المسلمون العدد 188- 28/2/1948 (ماذا ينتظر العرب المسلمون).

(10) انظر الأخوان المسلمون 1936/28/4, 1936/19/5, 1948/14/2, 1948/21/2.

(11) الأخوان المسلمون 21/2/1948.

(12) الأخوان المسلمون 1948/21/2, 1948/30/3, 1948/26/5.

130) الأخوان المسلمون 1948/14/2, 1948/28/2.

(14) المصدر السابق.

(15) الأخوان المسلمون 15/5/1948.

(16) الأخوان المسلمون 29/5/1948.

(17) الأخوان المسلمون 5/1/1948.

(18) مصر الفتاة 12/1/1948.

190) انظر مصر الفتاة 1948/12/1, 1948/38, 1948/19/4.

(20) انظر مصر الفتاة 1948/19/4, 1948/26/4.

(21) مصر الفتاة 1948/19/4, 1948/26/4.

(22) الجماهير 19/5/1947.

(23) انظر الفجر الجديد يونيو 1945، نوفمبر1945، ديسمبر 1945، أبريل 1946، مايو 1946، الضمير 17/10/1945

(24) الضمير 7/5/1946.

(25) انظر رفعت السعيد-اليسار المصري والقضية الفلسطينية-مرجع سابق ص 86.

(26) بيان الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية-القاهرة-يونيو 1947.

(27) الجماهير 30/11/1947 وانظر أيضا أعداد الجماهير أبريل-مايو-يونيو-أكتوبر-نوفمبر 1947.

الصحافة المصرية ومشروع تقسيم فلسطين1947 :

أجمعت الصحف المصرية بمختلف اتجاهاتها ما عدا بعض صحف اليسار المصري على رفض قرار تقسيم فلسطين الذي اتخذته الأمم المتحدة في نوفمبر 1947. والواقع أن الأمم المتحدة كانت قد قررت في مايو 1947 تأليف لجنة تحقيق دولية تكونت من السويد وكندا واستراليا والهند وبيرو وهولندا وإيران وتشيكوسلوفاكيا وجواتيمالا ويوغوسلاف فيا وأوروجواي كلفتها ببحث القضية وإيجاد حل لها. وقد زارت اللجنة فلسطين واستمعت إلى شهادات القادة الصهيونيين بينما قاطعها قادة الحركة الوطنية الفلسطينية.

وقررت اللجنة الدولية بأكثريتها تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية. أما أقليتها وتتضمن ممثلي الهند وإيران ويوغوسلافيا فقد دعت آلي إقامة دولة ثنائية القومية اتحادية الشكل. ثم أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار التقسيم في 29 نوفمبر 1947 وهو يستند إلى مشروع الأغلبية. وقد قابلت الدول العربية مشروعي اللجنة (أغلبية القلية) وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بالرفض التام والقاطع دون أن تقدم آي بديل آو حل يتفق مع توازنات القوى العالمية والمحلية المحلية بل اكتفت برفع شعار فلسطين عربية مستقلة موحدة.

وقد وافقت على مشروع التقسيم مجموعة الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي[1]. ورغم أن مشروع التقسيم وقيام دولة يهودية بفلسطين كان يمثل جزءا من الاستراتيجية التي رسمتها الولايات المتحدة لمنطقة الشرق العربي بعد الحرب العالمية الثانية فقد كان تبرير الكتلة الاشتراكية لموقف التأييد الذي اتخذته تجاه تقسيم فلسطين ينحصر في اعتباره الحل الوحيد المتاح، وان توازنات القوى لا تحتمل حلا افضل منه. وقد تأثر اليسار المصري بموافقة الاتحاد السوفييتي على قرار التقسيم فاتخذ موقفا مماثلا. ورغم أن طليعة العمال والفلاحين قد عارضت قرار تقسيم فلسطين وأيدت الدخول في الحرب ضد إقامة الدولة الصهيونية فان الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني (حدتو) أيدت قرار التقسيم وعارضت بشدة دخول مصر الحرب[2]. وقد عكست صحيفة الجماهير موقف حدتو من التقسيم. وبررت تأييدها لمشروع التقسيم بقولها (أننا لا

نريد أن ننزع فلسطين من العرب ونعطيها لليهود بل ننزعها من الاستعمار ونعطيها للعرب واليهود ولا نوافق على التقسيم آلا مضطرين كأساس لاستقلال فلسطين ثم يبدأ كفاح طويل للتقريب بين وجهات النظر في الدولتين العربية واليهودية)[3].

والواقع أن الحركة الشيوعية في مصر قد عانت كثيرا بسبب هذا الموقف الذي تمسكت به في وجه تيار قوي جارف مشحون بالعواطف القومية والدينية تمسك برفض قرار التقسيم وحاولت الحركة استثمار هذه المشاعر الجارفة بالعمل على توجيهها ضد العدو الرئيسي أي الاستعمار (فلنوجه سلاحنا إلى الاستعمار البريطاني في فايد والقنال والسودان ولن يمكن تحرير فلسطين وظهورنا مكشوفة للعدو فلنحرر وادي النيل كي نتمكن من تحرير الشرق كله)[4].

على أن الرأي العام المصري الذي بلغ ذروة تعلقه واهتمامه بالقضية الفلسطينية التي كانت تحرك لديه مزيجا مركبا من المشاعر القومية والدينية، وجد في رفض التقسيم والدعوة للكفاح المسلح ضد إقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين العربية الإسلامية الوسيلة الوحيدة لمواجهة الاستعمار العالمي وعلى رأسه بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. ولذلك التقت كل التيارات السياسية على هذا الاتجاه العام الرافض ق فلسطين. وكان في مقدمة هذه القوى الوفد وجماعة الأخوان المسلمين وحزب مصر الفتاة. وقد عبرت «المصري» عن موقف الوفد من التقسيم وشنت هجوما حادا على المنظمة الدولية واعتبرتها متواطئة مع التكتل الغربي الجديد بقيادة أميركا التي تهدف إلى تحويل فلسطين إلى قاعدة ارتكاز لها في المنطقة العربية بجانب المملكة العربية السعودية حقل البترول الكبير[5].

وبعد صدور قرار التقسيم في 29 نوفمبر 1947 خصصت المصري افتتاحياتها لإعلان رفضها لقرار التقسيم وتأكيد عروبة فلسطين والدعوة إلى الكفاح المسلح باعتباره البديل الوحيد لفشل العرب في إقناع المنظمة الدولية بحقوقهم العادلة. آما صحف الأخوان المسلمين ومصر الفتاة فقد عبرت عن مواقف تنظيماتها آلتي تتسم بالتشدد الذي وصل في بعض أتلاحيان إلى حد التعصب والطابع العنصري. وقد انتهز صالح العشماوي فرصة صدور قرار التقسيم وشن هجوما شاملا على المنظمة الدولية وبريطانيا

والولايات المتحدة والدول العربية واعتبرهم جميعا مسئولين عما حدث لفلسطين ورفع شعار الجهاد المقدس على أتساس انه لا حل لقضية فلسطين آلا السيف[6]. وفيما يتعلق بموقف صحيفة مصر الفتاة فقد اتسم بدرجة عالية من الانتقال والعدوانية تجاه الحكومات العربية بالذات. فقد حملتها الصحيفة الجزء الأكبر من مسئولية ما حدث لفلسطين ولم تكتف بالدعوة إلى الكفاح المسلح فحسب بل بادر أحمد حسين نفسه بإعلان تطوعه في صفوف المناضلين من اجل فلسطين متخذا من ذلك وسيلة لتوجيه اللوم والنقد للقادة العرب الذين لم يفعلوا لفلسطين شيئا سوى بعض الضجيج المزعج. ويعلق احمد حسين على ذلك في إحدى افتتاحيات مصر الفتاة بقوله: (كيف يستطيع زعيم آن يبعث الناس إلى الميدان وهو قاعد في بيته يكتفي بالخطب والعظات.. فإذا كنت قد أسرعت إلى سوريا لا تدرب فلكي أستطيع أن احمل غيري على متابعتي)[7].

الصحافة المصرية وحرب فلسطين 1948:

تعتبر الحرب العربية الإسرائيلية 1948 خاتمة للمؤامرة الصهيونية التي سعت منذ البداية إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ولم تلبث القوى الخارجية والمؤثرات الدولية والأوضاع المحلية في المنطقة العربية وفلسطين أن ساهمت في خلق المناخ المناسب أتعلان دولة إسرائيل على حساب الشعب الفلسطيني.

وقد جاء قرار دخول مصر حرب فلسطين في 13 مايو 1948 تجسيدا واقعيا لالتقاء مصالح السلطة السياسية في مصر آنذاك مع موجة الحماس الجماهيري للحرب. وكانت حرب فلسطين أول نشاط للجيش المصري في القرن العشرين يرتبط بالآمال الشعبية والوطنية، مما جعل الجماهير تحتضن كافة العمليات العسكرية بآمالها وحماسها، ونما لديها الشعور بانتماء الجيش أو على الأقل انتماء بعض الضباط المقاتلين إلى الحركة الشعبية. وقد بدأت الصحف تعبر عن هذا الاتجاه، فتابعت الصحافة المصرية مختلف مراحل حرب فلسطين على المستوى المحلي والعربي والعالمي منذ بداية مايو 1948، رغم تنوع تياراتها وتعدد انتماءاتها الرسمية والشعبية بالأخبار والبرقيات الخاصة. باستعدادات الجيوش العربية للدخول إلى

فلسطين أو الفظائع التي كانت ترتكبها الصهيونية، في تلك الفترة.

ويلاحظ الاهتمام المتزايد الذي أبدته صحف الوفد وهي المصري وصوت الآمة بتتبع أنباء الحرب وتطوراتها والتعليق عليها وقد طغت أخبار فلسطين على صفحات صحيفة المصري حتى أن صفحة الرياضة قد تقلصت أو كادت تزول كما اختصرت صفحة الوفيات إلى عمود واحد. وتخصص المصري بعض افتتاحياتها للهجوم على أمريكا خصوصا بعد اعترافها بالدولة اليهودية. كذلك تندد بموقف الاتحاد السوفييتي لنفس السبب. كما يلاحظ اهتمام المصري بالصور والخرائط والرسوم التي توضح موقف الأطراف المتحاربة[8]. وتستنكر الصحيفة موقف مجلس الآمن من القضية وتتهمه بالتخبط. ويلاحظ أن المصري كان ينشر بانتظام البلاغات العسكرية التي تصدر عن الجيش المصري، هذا فضلا عن تفاصيل المعارك آلتي كانت تدور على أرض فلسطين. هذا ولا تخفي صحيفة المصري فرحتها عند إعلانها نبا دخول القوات المصرية مدينة الخليل وتثني على الجيش المصري وقياداته مشيرة إلى (أن ما فعلته القوات المصرية إلى ألان يدل على شدة باس وعلو كعب في التكتيك الحربي وعلى أن الثقة الكبيرة التي وضعت في قواعدها كانت في محلها حقا)[9].

وتحمل المصري على مجلس الآمن وأمريكا وبريطانيا معا بسبب الاقتراح الذي قدمته بريطانيا بإيعاز من أمريكا بتكليف المقاتلين في القدس بوقف إطلاق النار. وقد حذرت المصري من غدر الصهيونيين ولذلك كانت ترى ضرورة الاستمرار في القتال دون الآخذ في الاعتبار لقرار مجلس الآمن الذي يقض بوقف القتال. وقد شاركت معظم الصحف المصرية صحيفة المصري في موقفها من الهدنة وحذرت أنذرت وأصرت على ضرورة الاستمرار في الحرب رغم قرار مجلس الآمن. وقد تزعمت هذا الموقف صحف الأخوان المسلمين ومصر الفتاة وصوت الآمة. وعندما عين الكونت برنا دوت السويدي الجنسية وسيطا لحل الخلاف بين العرب والصهيونيين علقت صحيفة المصري قائلة (آن وساطة الكونت برنادوت الأولى قد أنقذت اليهود من اضطهاد ظالم) مشيرة بذلك إلى توسطه بين الحلفاء وألمانيا النازية أثناء الحرب العالمية الثانية. وأكبر الرجاء أن تكون وساطته الثانية كفيلة بإنقاذ العرب من اغتصاب يهودي ظالم)[10] وتزف الصحيفة آلي كل

عربي نبا سقوط القدس القديمة في أيدي العرب وان كانت تبدي اسفها لتهدم بعض مبانيها التاريخية وتحمل اليهود مسئولية ذلك فهم الذين حولوا مدينة السلام آلي مدينة استعر فيها القتال[11]. والمعرة ف أن القدس ظلت محاصرة طيلة أتثنى عشر يوما من جانب القوات الأردنية.

آما القرار الثاني الذي أصدره مجلس الآمن بفرض هدنة في فلسطين مدتها أربعة أسابيع فقد قوبل بهجوم كبير من جانب الصحف المصرية. وقد أجمعت هذه الصحف على أن هذه الهدنة لن تكون في صالح العرب بل سوف تعطي اليهود فرصة ذهبية لإعادة النظر في خططهم وأحوال دولتهم المزعومة ولذلك قبلوا الهدنة ورحبوا بها[12].

وقد نددت صحيفة «الأخوان المسلمون» بقرار الهدنة، وكتب صالح عشماوي يطالب برفض مقترحات برنادوت واستئناف القتال فورا ورفض مد الهدنة لفترة تالية. وعندما تعذر إلغاء الهدنة وفرض وقت القتال اشتدت الصحيفة في هجومها على الإنجليز والأمريكان والأمم المتحدة وطالبت الدول العربية بضرورة الانسحاب من المنظمة الدولية والسعي لتكوين عصبة الأمم الإسلامية[13] أما صوت الآمة فقد استنكرت قبول العرب للهدنة وأوضحت أهمية استئناف القتال في رفع معنويات الجماهير ومواصلة النضال المسلح حتى يتم تحرير فلسطين بأكملها[14]. وتحت عنوان (وقف القتال) نددت «المصري» بخرق اليهود للهدنة وكتبت تقول (لقد كان هذا منتظرا منهم أتنهم قوم قامت سياستهم على الغدر وعلى خلف الوعد فهما صنوان) وتبرر المصري قبول العرب للهدنة بقولها (آن الشعوب العربية قبلت الهدنة على كره ألانها تريد أن تثبت للعالم كله حسن نيتها ورغبتها الدائمة في صون السلام)[15].

ولا تتوقف صحيفة الأخوان المسلمين عن ترديد وجهة نظرها التي تتمثل في أن قضية فلسطين لن تحل آلا على أرض فلسطين ولن تحل بغير أسلوب واحد هو القوة ومنطق الآمر الواقع. وترى الصحيفة آن استئناف القتال في جميع الجبهات هو الكفيل برد العدوان الصهيوني خصوصا وان العالم اليوم لا يفهم لغة المنطق والبرهان بقدر ما ينصت آلي لغة القوة وصوت المدفع[16].

ومن المواقف المشهودة لصحيفتي «الأخوان المسلمون» ومصر الفتاة

تصديهما للدفاع عن اشتراك مصر في حرب فلسطين خصوصا بعد أن ارتفعت بعض الأصوات المصرية آلتي تنتمي إلى قطاعات البورجوازية الصناعية تستنكر المشاركة المصرية والتضحية بالشباب المصري في حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل. وترد صحيفة مصر الفتاة على لسان أحمد حسين قائلة بأننا ما نظرنا في يوم من الأيام إلى قضية فلسطين باعتبارها قضية عربية بل باعتبارها قضية مصرية بحتة، وان الوضع في فلسطين لم يعد يحتمل أي تهاون خاصة إذا نظرنا إلى الخطر الذي يمثله قيام دولة يهودية على حدود مصر. وتتساءل الصحيفة ماذا سيكون الحال إذا قامت هذه الدولة واستمرت لبضع سنوات والدول الغربية تؤازرها هذه المؤازرة. أشهد أن هذا سيكون البلاء المبين[17].

آما صحيفة «الأخوان المسلمون» فقد قامت بالرد على رئيس اتحاد الصناعات المصري الذي أعلن إشفاقه على الجيش المصري ونصح بالعمل على قبول الهدنة. وهنا انبرت الصحيفة الإسلامية للدفاع عن واجب الشعب المصري والجيش المصري في الإسهام في الحرب المقدسة ضد الصهيونية. وحرصت صحيفة «الأخوان المسلمون» على كشف حقيقة العلاقة المريبة آلتي تربط بين باشوات مصر ورأسمالييها بالشركات اليهودية وسادتهم البريطانيين. ونعت على الشعب المصري تعاسته وبؤسه في ظل وجود باشوات يتلهون بمشاهدة الدماء والأشلاء ولا باس بان يقوموا بدور القضاة والوسطاء أيضا[18].

هوامش

(1) انظر أتميل توما-مصدر سابق ص 306 , 307- جامعة الدول العربية-الأمانة العامة-إدارة شئون فلسطين-مذكرة عن مراحل تطور القضية الفلسطينية-عام 1960 ص 2 , 3.

(2) طارق البشرى-مصدر سابق ص 262.

(3) الجماهير 22/11/1947.

(4) الجماهير 7/12/1947.

(5) المصري 19/10/1947.

(6) انظر الأخوان المسلمون أكتوبر ونوفمبر 1947.

(7) مصر الفتاة 12/1/1948.

(8) انظر جريدة المصري طوال شهور مايو ويونيو ويوليو 1948.

(9) المصري 22/5/1948.

(10) المصري 27/5/1948.

(11) المصري 29/5/1948.

(12) المصري 20/5/1948.

(13) انظر الأخوان المسلمون 3, 7, 10/7 , 24/7/1948.

(14) صوت الامة11/7/1948.

(15) المصري 12/6/1948.

(16) انظر الأخوان المسلمون 10/7/1948 , 22/10/1948 , 30/10/1948

(17) مصر الفتاة 10/12/1948

(18) الأخوان المسلمون 29/5/1948.

الخاتمه

لقد تركز هدف هذه الدراسة في محاولة قياس وتحديد اتجاهات الرأي العام المصري من خلال الصحف نحو القضية الفلسطينية في العشرينات والثلاثينات والأربعينات. أي منذ شهر يوليو 1922 وحتى مايو 1948، فهو يبدأ بالعام الذي تقرر فيه رسميا الموافقة على صك الانتداب البريطاني على فلسطين. ويعتبر هذا التاريخ البداية الفعلية لتأسيس الوطن القومي اليهودي في فلسطين. وينتهي بعام 1948 الذي يرمز إلى ضياع فلسطين العربية وقيام دولة إسرائيل فوق الأراضي الفلسطينية المغتصبة.

ولقد تطرقت الدراسة إلى خوض أهم أحداث القضية الفلسطينية خلال العشرينات والثلاثينات والأربعينات كما تعرضت للتيارات الفكرية والسياسية الرئيسية التي سادت المجتمع المصري في تلك الفترة وهي التيار الإسلامي والتيار المصري والتيار الشرقي ثم التيار العربي. و قد استلزم ذلك ضرورة الإلمام بأوضاع الصحافة المصرية باعتبارها أداة التغير الرئيسية عن الرأي العام المصري آنذاك، فضلا عن دورها في تشكيل هذا الرأي وتوجيهه. ثم انتقلت هذه الدراسة ألي الكشف عن علاقة الواقع المصري بمعطياته السياسية والفكرية والإعلامية بتطورات القضية الفلسطينية فحرصت على إبراز المواقف والاتجاهات التي تبنتها القوى السياسية المصرية والسلطة الحاكمة والرأي العام

المصري من القضية الفلسطينية منذ صدور وعد بلفور حتى لحظة تجسيده كيانا ماديا تمثل في قيام دولة إسرائيل على حساب الأرض والشعب العربي في فلسطين...

وقد تبلورت الدراسة وأسفرت عن النتائج التالية:

1- إن الاهتمام المصري بالقضية الفلسطينية كان موجودا خلال العشرينات والثلاثينات والأربعينات ولكنه كان موزعا كالتالي:

أ- كان الاهتمام بالقضية الفلسطينية محصورا في طبقة المهاجرين السوريين واللبنانيين والفلسطينيين منذ أواخر القرن الماضي حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

ب- كان الاهتمام محصورا في الفئات الدينية طوال العشرينات وقد كانت قضية البراق سنة 1929 هي الحادث الأول الذي أثار اهتمام الشعب المصري بالقضية الفلسطينية على نطاق واسع. وكانت المبادرة في ذلك الموقف للفئات الإسلامية في مصر وخاصة جمعية الشبان المسلمين التي كانت تقيم اجتماعا سنويا في ذكرى وعد بلفور وتعقد المؤتمرات وتجمع التبرعات من اجل الشهداء الفلسطينيين كما كانت تتبادل الزيارات مع فروع الجمعية في المدن الفلسطينية (يافا وحيفا والقدس)، كما أوفدت من جانبها وفدا برئاسة محمد علي علوبه وعبد الحميد سعيد للدفاع عن ملكية العرب لحائط البراق أمام اللجنة الدولية التي شكلتها عصبة الأمم للتحقيق في النزاع. وقد انتقل الاهتمام إلى سائر التنظيمات الشعبية مثل نقابة المحامين التي قررت إيفاد مجموعة من كبار المحامين المصريين للدفاع عن الأحرار الفلسطينيين الذين اعتقلتهم السلطات البريطانية في أحداث البراق.

وتعتبر الصحافة المصرية في العشرينات مؤشرا هاما للاهتمام الشعبي في مصر بالقضية الفلسطينية. ففي الوقت الذي اتسم فيه موقف الحكومات المصرية إزاء القضية بالتخاذل وانعدام الاهتمام، بل وصل أحيانا إلى حد اتخاذ مواقف معادية، كانت الصحافة المصرية بمختلف أجنحتها واتجاهاتها تتابع باهتمام تطورات القضية الفلسطينية من كافة زواياها، وتبدي تفهما عميقا وإدراكا مبكرا للخطر الصهيوني في فلسطين والعالم العربي. وقد ساهمت بالفعل في خلق تراث من الاهتمام المصري بالقضية الفلسطينية.

ومما يجدر الإشارة إليه في هذا الصدد الفجوة التي كانت قائمة بين الأحزاب المصرية وموقفها من القضية الفلسطينية وموقف الصحف التي كانت باسمه. وأبرز مثل على ذلك حزب الوفد فقد كانت صحف الوفد تبدي اهتماما وتعاطفا شديدا مع القضية الفلسطينية، في حين كان موقف الوفد من القضية في تلك المرحلة يشوبه الغموض واللامبالاة، وانعدام الإدراك لخطورة الصراع الدائر في فلسطين، مما يدل على أن موقف هذه الصحف من القضية الفلسطينية لم يكن يعكس الموقف الفكري أو السياسي لحزب الوفد، وتفسير ذلك أن الصحف الوفدية لم تكن صحفا حزبية بالمعنى المتفق عليه علميا، بل كانت مرتبطة بسياسة الوفد فيما يتعلق بالقضايا الداخلية وهما قضيتا الاستقلال والدستور. أما فيما عدا ذلك فإن هذه الصحف كانت تعكس ثقافة واتجاهات رؤساء تحريرها سواء ما يتعلق بالمسائل الفكرية أو السياسية. ومع منتصف الثلاثينات بدأ الاهتمام المصري بالقضية الفلسطينية يصبح أكثر اتساعا ويضم قطاعات أوسع من الرأي العام والقوى السياسية المصرية.

جـ- أما في الأربعينات يمكن القول أن فلسطين كانت محك الصراع المباشر بين الحركة الوطنية المصرية وبين المعسكر الاستعماري بنوعيه القديم الممثل في بريطانيا والجديد الممثل في الولايات المتحدة، وكان الصراع بين الاستعماريين البريطاني والأمريكي من اجل الاستحواذ على الشرق الأوسط بإمكانياته الاستراتيجية والبترولية ومحاولة التركيز على فلسطين باعتبارها المحور الذي سوف يمكن القادمين من تحقيق طموحاتهم وأهدافهم، علاوة على تحرك الصهيونية نحو الولايات المتحدة باعتبارها السيد الجديد وانتقال الولاء الصهيوني من بريطانيا إلى أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية، كل ذلك كان مدرسة تلقت فيها الحركة الوطنية المصرية دروسا هامة في فهم دورها كجزء من قوى التحرر العربية في مواجهة الخصوم الجدد والتقليديين معا أي أمريكا وبريطانيا والصهيونية.

هذا وقد كان موقف مصر الرسمي من فلسطين، والذي أعلنته الحكومة المصرية على لسان ممثلها عبد الرزاق السنهوري في مؤتمر لندن في نهاية عام 1946 تلخيصا وافيا لموقف الرأي العام المصري بجميع مستوياته الرسمية والشعبية من القضية الفلسطينية إذ عبرت مصر عن رفضها القاطع لآي

شكل من أشكال التقسيم لفلسطين آو إقامة دولة يهودية في هذا الجزء من العالم. كما أعلنت عن استعدادها للحيلولة دون تحقيق الهدف الصهيوني ولو أدى ذلك إلى استخدام القوة. وقد كان هذا الموقف بداية لسلسلة من الأحداث والقرارات التي اتخذت طابعا حادا تمثل أولا في الإضرابات والمظاهرات الشعبية التي أزدحم بها الشارع المصري تعبيرا عن سخط الجماع الرأي العام المصري على قرار التقسيم في نوفمبر 1947.

وتمثل ثانيا في شعارات الكفاح المسلح ضد الصهيونية التي بدأت تطرح نفسها على الساحة المصرية منذ تلك اللحظة وانقسمت إزاءها القوى الوطنية. فالوفد رغم اعتراضه الكامل على قرار التقسيم لم يرفع شعار الكفاح المسلح، كما لم يدع إلى إنشاء كتائب لتحرير فلسطين بل تبنت هذا الموقف كل من جماعة الأخوان المسلمين ومصر الفتاة. أما اليسار المصري فقد انقسم إزاء تطورات القضية الفلسطينية في الأربعينات، إذ عارضت طليعة العمال والفلاحين قرار التقسيم وكانت تؤيد الدخول في حرب ضد إقامة الدولة اليهودية. ولكن أيدت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدت) قرار التقسيم وعارضت الدخول في الحرب من أجل فلسطين.

ويمكن تحديد ابرز السمات التي تميزت بها خريطة الرأي العام المصري الرسمي والشعبي ممثلة في الصحف واتجاهاتها ورؤيتها البعاد الصراع الفلسطيني الصهيوني على النحو التالي:

هناك ثلاث منطلقات فكرية أساسية انطلقت منها الصحف المصرية في تصويرها للصراع وهي:

1- الرؤية القومية.

2- الرؤية الدينية.

3- الرؤية المختلطة.

وسنتناول كلا منها بالتفصيل:

أولا: الرؤية القومية:

وهي تستند في تصوير الصراع إلى إدراك واع مستنير بكل أبعاد الصراع، من أنه في جوهره صراع قومي يستهدف الفلسطينيين شعبا ووطنا، وان اللقاء الاستراتيجي بين المصالح الصهيونية ومصالح الاستعمار البريطاني

في مرحلة تاريخية محددة قد أسفر عن هذا التحالف البريطاني الصهيوني الذي كانت بدايته وعد بلفور ثم تبلور في الجهود المشتركة بين الحركة الصهيونية وحكومة الانتداب البريطاني لوضع هذا الوعد موضع التحقيق، وما ترتب على ذلك من صراعات وصدامات بين القومية الفلسطينية المهددة بالفناء في جانب والحلف البريطاني الصهيوني في جانب آخر.

وكانت تتبنى هذه الرؤية بعض الصحف الوفدية واليسارية، وخصوصا صحيفة صوت الأمة لسان حال الطليعة الوفدية التي كانت تطرح القضية كجزء من قضايا الشعوب العربية في مواجهة الصهيونية التي تعتبر جزءا من النظام الاستعماري العالمي، وصحيفة الحساب الجماهير والفجر الجديد لسان حال اليسار الماركسي كذلك فان صحف السياسة لسان حال الأحرار الدستوريين والأهرام والاتحاد، الناطقة باسم حزب الاتحاد الذي كان يمثل وجهة نظر السراي، كانت تتبنى هذه الرؤية مع بعض التحفظات، إذ كانت ترى أن الاستعمار البريطاني هو الذي وضع مشروع الوطن القومي اليهودي وهو الذي يؤازره ويعمل على تنفيذه في فلسطين، وهو الذي يظاهر اليهود على العرب، وان الاستعمار البريطاني لم يبعث باليهود إلى فلسطين حبا باليهودية آو تنفيذا لفكرة إنسانية، ولكن لكي يجمل من فلسطين بركانا من القلاقل والاضطرابات ويخلق فيها حالة سياسية تقتضي دائما وجوده وسيطرته.

ثانيا: الرؤية الدينية:

وهي تصور الصراع على أنه صراع بين اليهودية والإسلام، وانه يستهدف انتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين، وهدم المسجد الأقصى كي تقيم اليهودية على أنقاضه هيكل سليمان. وهي تنظر إلى الصهيونية باعتبارها حركة تهدف إلى الاستيلاء على أرض البعاد بقوة المال وقوة الحراب وإنشاء مملكة يهودية تعيد مجد ملوك إسرائيل. وتتبنى هذا الاتجاه صحيفتا كوكب الشرق (والأخوان المسلمون). فهؤلاء يردون الصراع إلى أسباب دينية إذ يرون آن بريطانيا تهدف بسياستها إلى ابعد من أيجاد وطن لليهود آو أراحتهم من التشتت والتفرق في أنحاء الدنيا، بل تدفع بهم إلى هذه البقعة لأغراض دينية، فلعلها تريد أن تصل بمسألة حكم بيت المقدس إلى نهاية

حاسمة لا تتجدد. ويعتقدون أن بريطانيا قد اختارت اليهود للقيام بهذا الدور لأنها تعلم جيدا بأنها لو دفعت بأفواج المسيحيين إلى فلسطين فانهم سوف يمتزجون مع العرب ويؤلفون وحدة تفسد على بريطانيا مخططها ولذلك استعانت بريطانيا باليهود لما لهم من ظروف وتكوين خاص يجعلهم ينفرون من التآلف مع أي شعب آخر.

وتتبنى مجلة الاتحاد الإسرائيلي لسان حال اليهود القرائن الرؤية الدينية ولكن لتبرير إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين. إذ أنها تتبنى الرؤية الصهيونية القديمة التي تدور حول العودة إلى أرض الميعاد التي تحدث عنها العهد القديم.

3- الرؤية المختلطة:

آي التي تستند إلى العاملين الديني والقومي في تفسيرها للصراع في فلسطين: فهي تصور الصراع من الزاوية الدينية وترى أن الصهيونية قائمة على فكرة دينية وسياسة مذهبية لا تتفق مع ظروف العصر. وكانت تدرك أن بريطانيا هي الأصل في الصراع ولكنها كانت تهتم بالتركيز على الجوانب الدينية في الصراع. وكانت تتبنى هذا الاتجاه الوطن والبلاغ وكوكب الشرق والشورى.

وقد طرحت الصحف المصرية أربعة حلول لحسم الصراع الدائر في فلسطين.... .

أ- حل ينحاز إلى الجانب الفلسطيني:

وتتبناه معظم الصحف المصرية وخصوصا الأهرام والبلاغ وكوكب الشرق والحساب والأخوان المسلمون والوطن وصوت الآمة ومصر الفتاة والجماهير والفجر الجديد. ولكن تتباين اتجاهات الصحف داخل إطار هذا الحل، فالأهرام تؤيد الحركة الوطنية الفلسطينية ولكنها لا تؤيد الالتجاء إلى العنف، بل ترى أنه كلما ابتعد الوطنيون الفلسطينيون عن استخدام العنف فان حجتهم ستتظل قوية ويبقى صوتهم عاليا مسموعا، ولا بد لهم أن يروا يوما ثمرة جهادهم واتحادهم. آما الوطن فقد كانت تؤكد في معظم مقالاتها على صلابة الحركة الوطنية الفلسطينية ووحدة المسلمين،. والمسيحيين في فلسطين وإصرارهم على مقاومة إنشاء الوطن القومي لليهود ولو أدى ذلك

آلي فنائهم. وتطرح البلاغ حلا لا يقتصر على النضال السياسي فحسب بل يعتمد أيضا وبنفس الأهمية على العامل الاقتصادي الاقتصاد فكانت تهيب بالفلسطينيين أن يتجهوا بكل قواهم آلي أحياء المشروعات الوطنية وإنشاء الشركات الصناعية والتجارية، إذ لا يجب أن يعتمدوا فقط على تفوقهم السكاني ونظامهم السياسي، بل لا بد من دخولهم حلبة المنافسة الاقتصادية مع الصهيونيين حتى لا ينفرد الصهيونيون بالزعامة الاقتصادية التي ستمكنهم من بلوغ الزعامة السياسية.

آما صحيفة الأخوان المسلمين فقد كانت تؤكد على الحلول الأخلاقية والتمسك بالدين، ولم تفقد الأمل مطلقا في إمكانية أن تقوم الحكومات العربية والجامعة العربية بدور أساسي في تحرير فلسطين من الصهيونية. ولكن يلاحظ أنها التقت مع صحف كل من مصر الفتاة وموت الآمة (الطليعة الوفدية) والفجر الجديد (طليعة العمال والفلاحين الماركسية) في رفع شعار الكفاح المسلح لتحرير فلسطين من الصهيونية.

2- حل ينحاز إلى الطرف الصهيوني:

وتتبناه السياسة (الأحرار الدستورين) والاتحاد (السراي) والمقطم (الاحتلال البريطاني) بالإضافة إلى الصحف الصهيونية (إسرائيل والشمس والاتحاد الإسرائيلي) وترى أن إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين هو الحل الأوحد المطروح لمشكلة اليهود في العالم، وان حياة فلسطين قد بلغت من الازدهار والقوة خلال السنوات التي أنفقت فيها الهجرة اليهودية مصحوبة برؤوس الأموال مما لا يمكن إغفاله، وانه من الخطأ البين الاعتقاد بأن فلسطين أصبحت مأوى للفقراء والمشردين. ولذلك فان إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين يعد فاتحة عهد جديد فيها وسيكون هذا العهد حافلا بالعجائب والمدهشات.

3- حل ينحاز إلى الطرف البريطاني:

وتتبناه المقطم والسياسة والاتحاد.. . بالرغم من كل السلبيات والصعوبات التي أحاطت بالتجربة الصهيونية في فلسطين فان هذه الصحف كانت شديدة الثقة في كفاءة الحكم البريطاني. وكانت تعتقد أن التجربة قد أثبتت ضرورة استمرار الحكم البريطاني لفلسطين، إذ لا يمكن ضمان العدل والأنصاف للعرب واليهود والحالة على ما هي عليه. إذ لا بد أن تكون

هناك قوة أعلى من الفريقين توازن كفتيهما وتعادلهما فلا ترجح كفة عن الأخرى.

4- حل يؤمن بالوطن المشترك:

ويدعو إلى الاتفاق بين العرب واليهود، وقد تبنى هذا الحل كل من لم الاتحاد والسياسة والمقطم بالإضافة إلى الصحف الصهيونية في مصر.

وفي إطار هذا الحل توجد بعض الاختلافات بين مواقف الصحف: فالاتحاد كانت ترى ضرورة الاتفاق بين الفريقين لتسوية ما بينهما من خلافات استنادا إلى أن مبادئ الوفاق والتحكيم قد أصبحت شعار العصر في فض الخصومات والمنازعات الدولية والقومية. وكانت الاتحاد تبرر هذا الحل بأن بريطانيا قد هددت بالعدول عن إنجاز المشروعات الإصلاحية الكبيرة في فلسطين وشرق الأردن ما لم يتوصل العرب واليهود إلى عقد اتفاق بينهما بآي ثمن.

وترى «السياسة» أنه في ظل إصرار حكومة الانتداب على تنفيذ وعد بلفور، فالحل الوحيد المطروح هو الاتفاق بين العرب واليهود، وان كانت تبدي تحفظا إزاء موقف العرب الذين يخشون أن يستخدم هذا التفاهم كوسيلة لحملهم على الاعتراف بمشروعية الوطن القومي. «وهذا لن يكون أبدا آلا إذا انتفى عن الوطن القومي آي مغزى سياسي وأصبح وطنا روحيا لا أكثر ولا أقل». آما المقطم فقد كانت ترى آن هذا البلد (وتقصد فلسطين) محكوم عليه بأن يكون وطنا مشتركا بين الشعبين الشقيقين اليهودي والعربي، سواء رضيا أم أبيا، فذا كانت هناك بعض العوائق الخارجية التي قد تعرقل مسيرة الحركة الصهيونية، فأنها لا تستطيع بأي حال إسقاطها والقضاء عليها طالما هناك شعب إسرائيل حي على وجه الأرض.

لقد حاولت هذه الدراسة أن تعكس بأمانة العلاقة العضوية بين الحركة الوطنية المصرية وحركة التحرر الوطني العربية كما جسدتها مواقف واتجاهات الأحزاب والقوى السياسية المصرية والسلطة الحاكمة وسائر قطاعات الرأي العام المصري إزاء القضية الفلسطينية منذ بداية القرن وحتى قيام دولة إسرائيل على الأرض الفلسطينية. ومع أن قيام إسرائيل كان تتويجا للمخطط الاستعماري الصهيوني الذي استهدف منذ مطلع القرن ضرب حركة القومية العربية، وبرغم النجاح الذي صادفه هذا المخطط

والذي تمثل في تجزئة الوطن العربي وانقسام الحركة الوطنية العربية بسبب الموقف من قرار التقسيم، وكانت حرب فلسطين وبالصورة التي وقعت بها تتويجا لهذا النجاح-مع كل ذلك فقد دل النضال العربي في السنوات التي تلت 1648 ضد الاستعمار والرجعية في شتى صورها على أن أحد بواعثه الأساسية كان الدرس الذي تلقاه العرب في مأساة فلسطين ذاتها . لقد كانت نكبة فلسطين وما وراءها من أسباب عميقة وما حملته من معان، مدرسة وطنية كبرى تلقت بفضلها حركة التحرر الوطني العربية وخصوصا الطلائع المصرية ابلغ الدروس القومية. ولم يكن مصادفة آن تساعد حرب فلسطين على خلق الأساس الموضوعي للتغيير الوطني والاجتماعي في الوطن العربي كله. وقد تضافرت شتى العوامل لتجعل من أرض فلسطين آمان الذي يشهد ميلاد الثورة المصرية.

لقد جاءت حرب فلسطين وصفقة الأسلحة الفاسدة والكشف عن مجاري السراي إيذانا بالقضاء على النظام الملكي الاستعماري في مصر. وقامت ثورة يوليو المصرية 1952 كي تكشف عن الحلقة المفقودة في حركة التحرر الوطني العربية، إذ عبرت منذ اللحظات الأولى لقيامها عن وعي قياداتها بالعلاقة المصيرية التي تربطها بحركة التحرر العربية، كما أدركت أن قضية فلسطين دون كل القضايا العربية هي جوهر قضية التحرر العربي.

ومع المعارك المتصلة والدائمة التي خاضتها ثورة يوليو كانت حركة التحرر الوطني العربية تواصل اكتشاف طريقها . لقد كان الجلاء عن مصر خطوة نحو تحرير فلسطين وكانت معارك الأحلاف والمشاريع الاستعمارية وضرب احتكار السلاح ومؤتمر باندونج ثم تأميم قناة السويس 1956 وتحقيق الوحدة المصرية السورية 1958 دفعة هائلة لحركة النضال العربي، وبشير الخروج من الدائرة الاستعمارية. وحين انصرفت ثورة يوليو مؤقتا لتدعيم طريق تطورها الوطني والاجتماعي في الأعوام التي تلت الانفصال لم يكن ذلك نكوصا آو تخليا عن التزاماتها القومية، بل كان يمثل إحدى الحلقات التي ارتدت شكلا جديدا في قضية التحرير العربية والفلسطينية.

فذا كانت قيادة ثورة يوليو لم تتح للقوى السياسية المصرية فرصة مواصلة أتعبر عن اتجاهاتها ومواقفها من القضية الفلسطينية (كما حدث ورأينا في المرحلة السابقة على الثورة)، فان ذلك يرجع إلى انفراد الثورة

المصرية بصنع واتخاذ القرار السياسي على المستوى الوطني (مصريا) وعلى المستوى القومي (عربيا). وقد أدى ذلك إلى احتواء ثورة يوليو للمشاعر الوطنية المصرية إزاء فلسطين كما ساعدها على أن تقفز بقضية التحرر الوطني في فلسطين إلى قضية التحرر الاجتماعي والسياسي في الوطن العربي ككل.

وقد كان الانبثاق العفوي لعدد من المنظمات الفلسطينية التي حطت شعار الكفاح المسلح تعبيرا عن الضرورة الحتمية لظهور أداة فلسطينية تتولى دورها في المرحلة الجديدة.

ولكن ظلت فلسطين قلب وجوهر القضية الوطنية المصرية وعبرت الصحافة المصرية عن موقف السلطة السياسية لثورة يوليو التي احتكرت الأشراف على أدوات التعبير السياسي والإعلامي، وان لم يحل ذلك دون التعبير عن الاختلافات القائمة داخل السلطة الحاكمة وقطاعات الرأي العام المصري. فإذا كانت الأهرام قد حطت لواء التعبير عن الاتجاه الرسمي لثورة يوليو إزاء تطورات القضية الفلسطينية وخصوصا الكفاح الفلسطيني المسلح ودوره في استعادة فلسطين، فقد كانت «الجمهورية» تهتم بالتعبير عن الاتجاه الشعبي إزاء قضية الكفاح الفلسطيني المسلح . أما صحيفة الأخبار فقد تأرجح موقفها: إذ كانت في البداية تتبنى الاتجاه الأمريكي ثم تغيرت مواقفها بتغير قياداتها الصحفية فبدأت تتبنى شعار الكفاح المسلح وتدافع عن الثورة الفلسطينية المسلحة طوال النصف الثاني من مرحلة الستينات. أما الأهرام فقد كانت تؤيد الكفاح المسلح الفلسطيني ولكنها كانت تعبر عن موقف السلطة السياسية في تفضيلها للحرب الوطنية النظامية. وهنا تبقى إشكالية علاقة السلطة السياسية بالصحافة وانعكاس ذلك على الدور الذي تقوم به الصحافة في التعبير عن الرأي العام فضلا عن التأثير فيه. ونلاحظ ذلك بوضوح في التغير الذي طر على موقف الصحافة المصرية من قضية الكفاح الفلسطيني المسلح في السبعينات.

المراجع

أولا- مصادر أساسية

١- الصحف والمجلات:

الصحف المصرية(عينة البحث)

أ- صحف الوفد:

1- البـلاغ: 1923 , 1924 , 1925 , 1926 , 1927 , 1928 , 1929 , 1930 , 1931 , 1932 , 1933 , 1934، 1935.

2- كوكب المشرق: 1924 , 1925 , 1926 , 1927 , 1928 , 1930 , 1931 , 1932 , 1932 , 1934 , 1935.

ب- الأحرار الدستوريين:

3- السياسة: 1923 , 1924 , 1925 , 1926 1927 , 1928 , 1929 , 1930 , 1931 , 1933 , 1934 , 1935

جـ- الرأي:

4- الاتحاد: 1925 , 1926 , 1927 , 1928 , 1929 , 1930 , 1931 , 1932 , 1933 , 1934 , 1935

د- الصحف الطائفية:

5- الوطن: 1924 , 1925 , 1926 , 1928 , 1929

هـ- اليسار المصري:

6- الحساب: 1925.

و- الأهرام:

7- الأهرام: 1922 , 1923 , 1924 , 1925 , 1926 , 1927 , 1928 , 1929 , 1930 , 1931 , 1932 , 1933، 1934 , 1935.

ز- المقطم:

8- 1922 , 1923 , 1924 , 1925 , 1926 , 1927 , 1928 , 1929 , 1930 , 1931 , 1932 , 1933 , 1934، 1935.

حـ- الأخوان المسلمون:

9- 1933 , 1934 , 1935.

ط- الصرخة:

10- 1933 , 1934.

ك- الصحف الفلسطينية:

الشورى:

11- 1924 , 1935 , 1928 , 1929 , 1930.

الإخاء:

12- 1924 , 1939 , 1930 .

الصحف الصهيونية:

13- إسرائيل: 1930 , 1931 , 1932 , 1933 .
14- الشمس: 1934 , 1935 .
15- الاتحاد الإسرائيلي: 1924 , 1925 , 1929 .

صحف أخرى:

16- الرابطة الشرقية: 1928 , 1929 .
17- الشبان المسلمين: 1929 , 1930 .
18- الفتح: 1926 , 1929 , 1930 .
19- المجلة الجديدة: 1929 , 1934 .
20- شئون فلسطين: بيروت مايو 1972، أغسطس ونوفمبر سنة 1974 .
21- الأديب-بيروت-مايو 1967 .
22- الجامعة الإسلامية ديسمبر 1933 .
23- آلف باء-أبريل 1924 .
24- الجهاد يناير 1932 .
25- زور اليوسفي مايو1935 .

2- أحاديث شخصية:

1- عدة لقاءات مع الدكتور أنيس صايغ خلال عام 1972، يونيو 1973 بالقاهرة .. .. ثم في نهاية 1973 .

2- لقاء مع الشيخ عبد الله العلايلي وحوار معه عن (تاريخ الاهتمام المصري بالقضايا العربية والقضية الفلسطينية بشكل خاص) أكتوبر 1973 .

3- حديث شخصي مع مسيو ريمون دويك عن (اليهود واليسار المصري)-القاهرة-نوفمبر 1974 .

4- حوار مطول مع المهندس احمد صادق سعد عن (اليهود والحركة الصهيونية في مصر) في عدة لقاءات القاهرة-يناير75.

5- حديث مع مسيو جاكو دي كومب وهنرييت دي كومب عن اليسار الماركسي والقضية الفلسطينية فبراير1975- القاهرة.

6- حديث مع السيد البير اربيه عن حركة معاداة اللاسامية في مصر-القاهرة-مارس 1975 .

3- مذكرات شخصية:

1- احمد حسين: أيماني-مطبعة الرغائب-الطبعة الأولى-القاهرة 1936 .
2- احمد حسين: 50عاما مع العروبة وقضية فلسطين-المكتبة العصرية-صيدا-بيروت 1971 .
3- حسن ألبنا: مذكرات الدعوة والداعية-دار الكتاب العربي-القاهرة 1961 .
4- خليل سكاكيني: يوميات خليل سكاكيني-القدس 1955 .
5- محمد علي الطاهر: ظلام السجين-القاهرة 1951 .
6- د. محمد حسين هيكل: مذكرات في السياسة المصرية-الجزء الأول-القاهرة 1951 .

4- مذكرات غير منشورة:

1- د. جيهان رشتي: محاضرات في تحليل المضمون-كلية الأعلام 1975.
2- سيد ياسين: مناهج البحث علوم الأعلام-محاضرات لشعبة الدراسات العليا بكلية الأعلام-1975.
3- عبد القادر ياسين: مذكرات عن الحركة الوطنية الفلسطينية-1920- 1948.
4- عبد القادر ياسين: بحث عن موقف الشيوعيين المصريين القضية الفلسطينية في الثلاثينات والأربعينات.
5- د. محمد أنيس: الحركة الوطنية في مواجهة الاستعمار الأوروبي-سلسلة محاضرات المعهد العالي للدراسات الاشتراكية-1969.
6- د. محمد أنيس: من الإقطاع إلى الرأسمالية-محاضرات المعهد العالي للدراسات الاشتراكية-1969.

5- رسائل جامعية غير منشورة:

1- ذوقان قرقوط-الفكرة العربية في مصر من أيام محمد علي ماجستير كلية الآداب-جامعة القاهرة 71.
2- عايدة نصير-الكتب العربية التي صدرت بمصر بين عامي 1926- 1940 ماجستر-جامعة القاهرة 1966.
3- محمود فياض-الصحافة الأدبية في مصر فترة ما بين الحربين دار العلوم-جامعة القاهرة-رسالة دكتوراه 69.
4- وجيه سمعان-الصحافة والحياة السياسية في مصر 1923- 1936 ماجستير جامعة القاهرة 1973.

ثانيا: مصادر عامة

1- دراسات تاريخية (أ- القضية الفلسطينية)

1- د. احمد طربين: فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار 1922- 1939- معهد الدراسات العربية. القاهرة-1972.
2- احمد صادق سعد-فلسطين بمخالب الاستعمار-القاهرة 1947.
3- د. انيس صايغ-فلسطين والقومية العربية-م. ا. ف بيروت 66.
4- الحكم دروزه-ملف القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي م. ا. ف بيروت 1973, 5- د. اميل توما-بذور القضية الفلسطينية-م ا. ف بيروت 73.
6- اميل الفوري-المؤامرة الكبرى-اغتيال فلسطين وحق العرب-القاهرة-1955.
7- اكرم وعمر زعيتر-القضية الفلسطينية-بيروت 1959.
8- العسكرية الصهيونية-المجلد الأول-مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام-القاهرة 1972.
9- ج. م. ن جذيز-فلسطين إليكم الحقيقة-4 أجزاء-ترجمة احمد خليل الحاج-القاهرة 1972.
10- د. خيرية قاسمية-النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه من 1908- 1918- م. ا.ف بيروت 1974.

11 .-د. رفعت السعيد-اليسار المصري والقضية الفلسطينية-بيروت 1975.
12- سعد الياس-الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة-بيروت 1971.
13- صبحي ياسين-الثورة العربية الكبرى-1936- 1939 القاهرة 1959.
14- عادل احمد غنيم-الحركة الوطنية الفلسطينية-من 1917- 1936 القاهرة 1975.
15- عبد الوهاب الكيالي-وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البرلطاني والصهيوني 1918- 1939- بيروت 1968.
16- عبد الوهاب الكيالي-تاريخ فلسطين الحديث-بيروت 1970.
17- عمر الصالح البرغوتي-تاري فلسطين-القدس 1923.
18- عودة بطرس عودة-القضية الفلسطينية في الواقع العربي-القاهرة 1970.
19- عيسى السفرى-فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية-يافا 1937.
20- د. كامل محمود خله-فلسطين والانتداب البريطاني 1922- 1939 م. ا. ف بيروت 1975.
21- د. فاضل حسين-تاريخ فلسطين السياسي تحت الإدارة البريطانية-بغداد 1967 - مترجم.
22- د. فايز صايغ-الاستعمار الصهيوني د فلسطين-م. ا. ف-بيروت 1965.
23- محمد علوبة-فلسطين وجارتها-القاهرة 1945.
24- محهد رفعت-قضية فلسطين-القاهرة 1947.
25- منيرة ثابت-قضية فلسطين-القاهرة 1939.
26- ناجي علوش-المقاومة العربية في فلسطين-1917- 48 بيروت67.
27- ، ، ، - الحركة الوطنية الفلسطينية امام اليهود والحركة الصهيونية من 1882- 1948- بيروت 1975.
28- نبيل بدران-التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني-الجزء الأول-عهد الانتداب-م. ا. ف بيروت 69 .
29- نجيب صدقه-قضية فلسطين-بيروت 1946.

ب- تاريخ مصر السياسي

1- د. إبراهيم عبده وخيرية قاسمية-اليهود في البلاد العربية بيروت-1971.
2- احمد شفيق باشا-هوايات مصر السياسية-الحولية السادسة 1929- القاهرة-1931.
3- د. احمد عبد الرحيم مصطفى-تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة-معهد الدراسات العربية بالقاهرة 1973.
4- احمد غنيم واحمد آبو كف-الحياة اليهودية والحركة الصهيونية في مصر-القاهرة 1969.
5- د. اسحق موسى الحسيني-الأخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة-بيروت 1952.
6- د. أنيس صايغ-الفكرة العربية في مصر-بيروت 1957.
7- د. جمال حمدان-شخصية مصر-دراسة في عبقرية المكان-القاهرة 67.
8- جاكوب لانداو-الحياة النيابية والأحزاب في مصر 1866- 1952. ترجمة سامي الليثي-القاهرة 1974.
9- د. رفعت السعيد-تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر 1900-1925 دار الفارابي-بيروت 1972.
10- د. رفعت السعيد-اليسار المصري 1925- 1940 بيروت 1972.
11- شهدي عطية الشافعي-تطور الحركة الوطنية المصرية 1882- 1956- القاهرة 1957.

12- د. راشد البراوى-حقيقة الانقاب الأخير في مصر-القاهرة 1953.
13- صلاح عيسى-الثورة العربية-القاهرة 1973.
14- طارق البشرى-الحركة السياسية في مصر-45- 1952 القاهرة 1972.
15- فوزي جرجس-دراسات في تاريخ مصر السياسي-القاهرة 1958.
16- د. لويس عوض-تاريخ الفكر المصري الحديث-القاهرة 1969.
17- د. محمد أنيس ورجب حراز-التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث-القاهرة 1972.
18- يونان رزق-الحياة الحزبية في مصر في عهد الاحتلال البريطاني 1882- 1914 القاهرة 1970.

2- دراسات صحفية:

1- د. إبراهيم عبده-تطور الصحافة المصرية أثرها في النهضة الفكرية والاجتماعية-الطبعة الأولى-القاهرة 1944.
2- أنور الجندي-تطور الصحافة في مصر-القاهرة 1968.
3- تطور الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها حتى الحرب العالمية الثانية-القاهرة 1966.
4- د. حسنين عبد القادر-الصحافة كمصدر للتاريخ-القاهرة 1938.
5- د. خليل صابات وسامي عزيز ويونان رزق: حرية الصحافة في مصر 1898- 1924.
6- الصحافة رسالة واستعداد وعلم وفن-دار المعارف-القاهرة.
7- د. رفعت السعيد-الصحافة اليسارية في مصر1925- 1945 دار الطليعة-بيروت
8- د. سامي عزيز-الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال البريطاني 1882- 1892- القاهرة 1969.
9- د. عبد اللطيف حمزة-أدب المقامة الصحفية في مصر-القاهرة 1963.
10- الصحافة المصرية في مائة عام-القاهرة 1960.
11- قصة الصحافة العربية في مصر منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين-بغداد-1967.
12- قسطاكي الياس عطارد-تاريخ تكوين الصحف المصرية-القاهرة 1938.
13- فاروق أبو زيد-الصحافة وقضايا الفكر الحر في مصر-القاهرة 1974.

3- مراجع عامة:

1- د. محمد سويتم العمرى-المجتمع العربي وتطوراته الاجتماعية والسياسية-القاهرة 1965.
2- د. أحمد طربين-الوحدة العربية 1916- 1945- القاهرة 68.
3- د. أنيس صايغ-تطور المفهوم القومي عند العرب-بيروت 1961.
4- الياس مرقص-تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي-بيروت 64.
5- آمين سعيد-الثمرة العربية الكبرى-الجزء الثالث-القاهرة 1934.
6- أتنور الجندي-القومية العربية والوحدة الكبرى.
7- د. جلال يحيى-العالم العربي الحديث فترة ما بين الحربين-القاهرة 1966.
8- جورج انطونيوس-يقظة العرب-ترجمة ناصر الدين الأسد واحسان عباس-بيروت-1969.
9- حازم نسبيه-القومية العربية-فكرتها-نشأتها-تطورها-ترجمة عبد اللطيف شراره-بيروت 1959.
10- سيتون وليمز-بريطانيا والدول العربية ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى-القاهرة 1952.
11- لوتسكي-تاريخ الاقطار العربية الحديثة-موسكو 1971.
12- د. محمد أنيس-ورجب حراز-الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر -القاهرة 1967.

13- محمد رفعت-التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة 1964.
14- محمد عزه دروزه-حول الحركة العربية الحديثة-صيدا 1959
15- محمد عماره-العروبة في العصر الحديث-القاهرة 1967.
16- محمود كامل المحامي-عروبتنا-القاهرة 1964.
17- محمد علي الفنيت-ثورات العرب في 1919- الجزء الأول 1962.
18- نجلاء عز الدين-العالم العربي ترجمة محمد عوض إبراهيم وآخرون-القاهرة 1964.

المراجع الأجنبية: المراجع الإنجليزية:

1- Abcariu, M.P : Palestine through The Jog of propaganda - London, 1996
2- Antonius, G: The Arab Awakening, London 1939.
3- Cohen, Israel: A short history of Zionism London-Frederik Muller, 1951.
4- Esco Foundation: Palestine, a study of Jewish Arab and British policies-2 vols. New Haven 1947.
5- Fadden. T. Johnson : Daily Journalism in the Arab States, Columbus, Ohio State Univ. prex 1953
6- Howard Morley Sachar : The course of modern Jewish History - London - 1963.
7- Ivar Spector : The soviet Union and the Moslem World 1917 - 1956 - Washington press, Seatle, 1959.
8- John Robert, Hadawi Sami: The Palestine Diary, vol. 1914 - 1945 - the P.Research Center - Beirut 1969.
9- Laqueur Walter : Communism and Nationalism in the Middle East - London, Routledge and Kegan Paul, 1957.
10- Main, Earnest: Palestine at the Crossroads - London George and Unwin LTD. 1937.
11- Marlowe, John : Anglo - Egyptian relations 1800 - 1953. London, the cresset press 1954.
12- Merril. John Calhoun: The Elite press - great newspaper of the world-New York - 1963.
13- Merril, John : The Foreign Press, a survey of the Worlds Journalism Louisiana Univ.press - 1970.
14- Kepearlman, Moshe: Ben Gurion looks back N.Y., Simon and Schuster, 1965.
15- Samuel, V. : Memories London, 1945.
16- Weizmann, Chaim: Trial and Error, an autobiography - London-Hamish Hamilton, 1949.
17- Williams, FR : Press, Parliament and people in Egypt - London, 1946.
18- Young, H: The independent Arab-London 1933.
19- Young, G: Egypt - London, 1937.

مراجع فرنسية:

1- Colombe, Marcel: L'evolution de l'Egypte - Paris G.P. Maison Neuve 1951.
2- Fargeon Naurice: Les juifs en Egypte. Depuis les Origines. jusqu'a ce jour. Le Caire - 1938.
3- Ramadan, A.M.S; L'evolution de la logislation sur la presse en Egypte - Paris, 1935.
4- Revesky, Abraham: les Juifs en Palestine, Paris. 1936.

5- Rodinson, Maxime: Israel et le Refus Arabe 75 and d'histoire, Paris 1968.

6- Le Groupe d'etudes de l'Islam: L'Egypte in dependante le Caire, 1937.

7- Le Revue Nouvelle, Numero special Avril 1973, 29 annee - Tome L 11 N4 Palestiniens sans Palestine.

مراجع روسية:

1- د. خليل عبد العزيز - الصحافة المصرية المعاصرة - رسالة دكتوراه جامعة موسكو 1973 (ترجمة المؤلف)

2- لوتسكي - المشكلة الفلسطينية من 1920- 1947 - موسكو 1947. (ترجمة وتلخيص معهد الاستشراق بموسكو)

3- بوليكاف وآخرون - التاريخ المعاصر للبلدان العربية - موسكو 1968. (ترجمة حاتم الأنصاري)

مراجع عبرية:

1- بهوشع بورات - الحركة الوطنية الفلسطينية 1918 - 1929 - الجامعة العبرية القدس 1970 - ترجمة القسم العبري بمركز الأبحاث الفلسطينية-بيروت.

2- اهارون كوهين - إسرائيل والعالم العربي - تل أبيب 1964. (ترجمة هيئة الاستعلامات)

المؤلفة في سطور:

د. عواطف عبد الرحمن

* ولدت في أسيوط عام 1939.

* تخرجت في كلية الآداب جامعة القاهرة-قسم الصحافة عام 1960، وحصلت على درجة الماجستير في الدراسات الأفريقية عام 1968، ودرجة الدكتوراه في الأعلام 1975.

* تعمل حاليا مدرسة للصحافة بكلية الأعلام جامعة القاهرة.

* من مؤلفاتها المنشورة:

* اكتشاف أفريقيا (مع آخرين) دار المعرفة القاهرة 1961.-

* إسرائيل وأفريقيا (1948 - 1973) مركز الأبحاث الفلسطينية 1974

* الصحافة العربية في الجزائر، معهد الدراسات العربية-القاهرة 1978.-

* بريد القراء في الصحافة العربية (مع آخرين) مركز البحوث الاجتماعية واو لجانية، القاهرة 1979. كما نشرت العديد من الأبحاث منها:-

* الرؤية المصرية للخليج العربي، دراسة تحليلية لاتجاهات الصحف المصرية نحو الخليج في السبعينات ورقة مقدمة إلى ندوة دراسات الخليج، البصرة، مارس 1979.

* القدس في الصحافة العربية، ورقة مقدمة لندوة القدس، معهد الدراسات العربية 1978.



العلاج النفسي الحديث
قوة للانسان

تأليف:

د. عبد الستار ابراهيم